الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها - تلمسان -

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في البلاغة والأسلوبية

بعنـــوان

أساليب الترديد في القرآن الكريم
دراسة أسلوبية وبلاغية

إعداد الطالب
شعيب يحيى

إشراف الأستاذ الدكتور
شريفي عبد اللطيف

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د. محمد عباس	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د. شريفي عبد اللطيف	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د. زمري محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
أ.د. الشيخ بوقربة	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	عضوا
د. محمد سعيدي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة مستغانم	عضوا
د. محمد مذبوحي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سيدي بلعباس	عضوا

السنة الجامعية: 1435 / 1436هـ - 2014 / 2015م

الإهداء

إلى والدي رحمه الله

المقدّمة

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين حمداً كثيرا طيّبا مباركا فيه، وصلّى الله على سيدنا محمّد النبيّ الأكرم، خاتم الرسل الهادي إلى السبيل الأقوَم. وبعد؛ لقد كان القرآن الكريم وما زال كتابَ العربية الأوّلَ الذي انبثَقَتْ منه العلوم، وتسابَقَتْ إليه العقول، وسَهِرَتْ في دَرْسِه وتدبُّرِه القلوب. وقد تناوَلَتْه كثيرٌ من الأبحاث والدراسات، بلَغَت المئات والآلاف، فلم يخلَقْ على مرّ السنين، ولم ينْضُب منه مَعين، بل كان مثل الكَوْن البديع، تتجلَّى فيه العَظَمةُ والإعجاز، فيزيدُ عنه القصورُ والعَجْز.

ولا يزال العلماء يؤلِّفُون في إعْجازه ما أمْكَنهم، ويردُّون مطاعن الطاعنين ما استطاعوا، وكان من بين القضايا المهمّة التي أثيرت من قديمٍ في كتاب الله، قضيةُ الترديد في ألفاظه وآياته؛ فبدأت أوّلَ ما بدأت في نسبة السجع إلى القرآن، وتلك الحروف التي تتردّد على مسافةٍ تقصر أو تطول أيصحُّ أن نسمّيَها سجعا؟، وأيضاً الآيات التي تردَّدَتْ بشكْلٍ كاملٍ على طول السورة، فجاوز بعْضُها الثلاثين، هل نعُدُّها من التكرار ؟، ثمّ قضية القصَص القرآني وتردُّد القصّة في أكثر من سورة وما صاحَبَها.

فالترديد في القرآن الكريم زاخر وافر في كثير من أساليبه – تردُّد الحرف أو الألفاظ أو الموضوع – ، وقد كان بعضُ عُلَمائنا يتجنَّبون إطلاق لفْظِ سَجْعٍ أو لفظ تَكرار في القرآن الكريم لِمَا كانتْ تحمِلُه هاتان اللَّفْظتان من مَعانٍ إضافية وظلالٍ لا تليقُ بكلام الله، في زمَنٍ مُعَيَّن حمَل تلك المعاني؛ أمّا تردُّد الحرف أواخر الجُمل فله أسرارُهُ الصوتية البلاغية، وقد أبقى البلاغيون على

إطلاق السجع عليه، وأمّا تردُّد الألفاظ والآيات والقصص فلَهُ دلالاتُهُ وأغراضُهُ التي ما فتئ البلاغيُّون في إثباتها وشَرْحها، وقد أقرُّوا مُصْطلح التكرار كنَوْعٍ من الإطناب في كُتُب البلاغة.

ولكنْ إلى أيِّ مدى يوجدُ هذا الترديد في القرآن الكريم؟ ، وما هي كلُّ الأنواع أو الفنون البلاغية التي تعتمد الترديد في جوهرها واستخْدَمَها القرآنُ الكريم؟، ثمّ ما دلالات ورودها في الآيات القرآنية؟.

كلّ هذا جاء البحْثُ ليُجيب عليه، وليجمَعَ خيوط الترديد على مستوى الصوت أو الألفاظ أو التراكيب أو المواضيع، ويرصُدَ منهجيةً تفي بكلِّ الفنون البلاغية التي ترتكز على وظيفة الترديد فيها؛ وتحدّدُ ثلاثة أقسام تُدْرج ضِمنها كلّ الطرق التكرارية؛ وأيضا تُثبتُ نماذجَ وافرةً من القرآن الكريم، دون أن تستقصيَ جميعها.

فكان مَنْهجُ البحث وصفيا تحليليا في غالبه، بحيث أعدْتُ ضبط المتفرّقات من فنونٍ بلاغية شتى تحت أصولٍ وضوابطَ تجمَعُها وتحكُمُها طبيعَتُها الترديدية، وتخلّلَتْ بعضَ النصوص تحليلاتٌ بلاغية اقتضاها مقامُها.

وقد بحثتُ مجتَهِداً عن الأعمال التي تناوَلَتْ موضوعَ الترديد في القرآن الكريم، فوجدْتُ منها عددا من الرسائل والكتب:

فمن الرسائل العلمية:

"التكرار مظاهره وأسراره": رسالة مُقَدَّمة لنَيْل دَرَجة الماجستير، إعداد عبد الرحمن محمّد الشهراني، إشراف الأستاذ الدكتور علي محمّد حسن العماري،

جامعة أمّ القرى كلية اللّغة العربية الدراسات العليا فرع الأدب المملكة العربية السعودية، 1983م.

"التكرار المعنويّ في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية)": رسالة جامعية لنيل الدرجة العلمية: دكتوراه، للباحث يحيي محمَّد علي المهْدي، جامعة أمّ درمان الإسلامية، كلّية اللُّغة والأدب ، السودان، 2008م.

ومن الكُتُب المؤلَّفة:

"التكرير بين المثير والتأثير": الدكتور عزّ الدين السيّد، (نشر عالم الكتب، بيروت، ط1: 1978م ، ط2: 1986م).

"ظاهرة التكرار في القرآن الكريم": للدكتور عبد المنعم السيّد حسَن، (دار المطبوعات الدَّوْلية، مصر، ط1، 1980م).

"التكرار": المؤلِّف: حُسين نصّار، (نشر مكتبة الخانجي، مصر، ط1 ، 2003م).

ولكِنْ لم تكُنْ كالسبيل الذي سلَكْتُ به هذا البحث؛ ولا كالفِكْرة التي بنَيْتُهُ عليها؛ فبعضُها جاء بحثُ التكرار القُرْآني في ثنايا كتابه ولم يتَخَصَّص فيه، وبعضُها تعرَّضَ له في جانِبٍ دون جانب، ولم يُحَاول اسْتِيفاء كُلِّ الجوانب الترديدية التي اسْتَخْدَمَها القرآنُ الكريم، وهو الذي كان شأن هذا البحث، فقد

حاوَلْتُ تصنيف كلّ المباحث الأسلوبية التي تَعْتَمِدُ الترديد، وتنظيمها في أبواب وفصول تجمَعُها وتُنسّقها.

ومن هُنا رأيْتُ أنه جديدٌ في بابه، وإنْ لم يحصُرْ كلَّ أبوابه، ويلزَمُه الكثير من الإضافات، لأنّ ما يخصُّ القرآن لا يستطيع أحدٌ أنْ يقطع باكتمال أيٍّ من مباحثه وفراغه منه، كيف لا وهو عن القرآن العظيم كتاب الله العزيز الذي أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء.

وقد كانت الرغبةُ أنْ يكونَ بحْثي في القرآن الكريم من أعْظَم الدوافع التي جعَلَتْني أخُوضُ هذا الغِمار، ولِمَا رأيْتُ في هذا الموضوع من جِدّةٍ وإعجازِ بيان، فتحَمَّسْتُ وعزَمْت وبذَلْت، عسى أن أكون حقَّقْتُ بعضاً مما أمَّلْتُ فيه من الإخلاص لله تعالى.

ورأيْتُ أن أجعله في مدخل وثلاثة أبواب وخاتمة؛ تحدّثت في المدخل عن لمحة تاريخية عامة حول نشوء الترديد في البلاغة كتمهيد للباب الأوّل:

- الباب الأوّل: الترديد مفهومه وأنماطه في الدراسات البلاغية والقرآنية.

تحدّثتُ فيه عن الترديد مصطلحاً ومفهوماً، فقد عرف هذا المصطلح اضطراباً عند البلاغيين، ولذلك انْقَسَم هذا الباب ثلاثة فصول: تناولْتُ في الفصل الأوّل مسار مصطلح الترديد في كتب أشهر البلاغيين، وبيّنْتُ الاضطراب الذي عرفه، وقد آثرْتُه على مصطلح التكرار. أما الفصل الثاني والثالث فكان الحديث فيهما عن مسار مفهوم الترديد – ظاهرة ترديد الحروف

والألفاظ والدلالة – في الدراسات البلاغية والدراسات القرآنية. وانتقيت ثلاثة مؤلّفات بلاغية وثلاثة أخرى قرآنية أدرس فيها الظاهرة.

فكانت فُصولُ الباب الأوّل كالتالي:

الفصل الأول : مصطلح الترديد في البلاغة العربية

الفصل الثاني : الترديد في الدراسات البلاغية

الفصل الثالث : الترديد في الدراسات القرآنية

– الباب الثاني: أساليب الترديد في القرآن الكريم.

وانقسم هذا الباب بدوره إلى ثلاثة فصول؛ تناولْتُ أغلب الفنون البلاغية التي وجدتها تعتمد في جوهرها على الوظيفة الترديدية، فكانت الفصول كالتالي:

الفصل الأول : الترديد اللُّغوي

المبحث الأول: الترديد اللّفظي (باللّفظ نفسه أومن اشتقاقه)

المبحث الثاني: الترديد التركيبي (الجملة)

الفصل الثاني : الترديد الدلالي

المبحث الأول: الترديد الدلالي القريب (بين مَعْنَيَيْن متقاربين)

المبحث الثاني: الترديد الدلالي البعيد (المَوْضُوعي)

الفصل الثالث : الترديد الإيقاعي

المبحث الأول: الترديد الصوْتي (النغمي)

المبحث الثاني: الترديد النسَقي (الوزن والتعادل)

- الباب الثالث : بلاغة أساليب الترديد في القرآن الكريم

تحدّثت في هذا الباب عن بلاغة الأساليب الترديدية التي وردت في القرآن؛ وقد تبيّن أنّ جلّ الأساليب الترديدية جاء طرفاها على مسافة متقاربة إلاَّ قِسْما واحدا هو الترديد الدلالي البعيد الذي تمثّل بدرجة أكثر في ترديد القصص؛ لذلك وردت دلالات أساليب الترديد عند العلماء على قسمين: الأوّل للأساليب ذات المسافة المتقاربة، والثاني للأساليب ذات المسافة المتباعدة وخصّصناه لترديد القصص. فانقسم الباب الثالث إلى فصلين:

الفصل الأوّل: دلالات الأساليب المتقاربة الطرَفَيْن.

الفصل الثاني: دلالات الأساليب المتباعدة الطرَفَيْن (القصص).

وبعد ذلك ختمْتُ بخاتمة أجملْتُ فيها أهمّ النتائج التي سارت عليها خطوات البحث. ووضعْتُ فهارسَ لآيات القرآن الكريم، وثبتَ المصادر والمراجع، والموضوعات.

وقد كان من منهجي إثبات معاني القرآن الكريم من التفاسير المشهورة، وأبرز ما اعتمَدْتُ تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر ابن عاشور، لما يتميّز به تفسيرُه من البحث البلاغي في غالبه؛ مع تفاسيرَ أخرى استعنْتُ بها كتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، وتفسير الآلوسي، والتفسير المنير للشيخ وهبة الزحيلي. كما استعنت أيضا بكتب المتشابه اللَّفظي بعض الأحيان.

وبعدُ، فالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل الذي رفع من همّتي: الأستاذ الدكتور شريفي عبد اللطيف، فله منّي أخلص الدعوات وأطيبها.

وختاما، فإنَّ هذا الجهد هو من صُنع بشر، فقد يكون فيه من الزلل والخطأ ما يكون، فما كان مِنْ صوابٍ فمن الله.

والحمد لله أوَّلا وآخرا.

المدخل

نشأة أساليب الترديد في البلاغة العربية

* * *

إنّ ظاهرة الترديد ظاهرةٌ قديمة قِدَمَ العربية عند أهلها، وقد استخدم الشعراء والخطباء أساليبها من عهد الجاهلية لأنها كانت ضرورةً لابدّ منها ألجأتهم إليها حاجتُهم للتعبير الأمثل عن انفعالات عواطفهم، والتأثير البالغ في قلوب المستمعين، ونلمس إعجاب عرب الجاهلية بهذه الظاهرة في شغفهم الشديد بالسجع وبرويّ القافية المتكرّر عبر طول القصيدة، هذا الرويّ الذي هو أحد الأركان الرئيسة التي تنبني عليه كلّ القصائد الشعرية، شأنه في ذلك شأن الوزن العروضي الذي هو أيضا ترديد لتفعيلات معيّنة تسير عليها القصيدة من بدايتها إلى نهايتها.

وإذا بحثنا في كتب البلاغيين عبر مراحل نشوء البلاغة فسنجد أنهم تعرّضوا لهذه الظاهرة في الفنون الأدبية تعرُّضا متفاوتا، فمنهم من ذكر جانبا واحدا من جوانب الترديد ومنهم من قسّم وفصّل، ونوّع المسمّيات ، إذ نجد مصطلحاتٍ متنوّعةً كلّها ابتُدِعَتْ وفي عُمْقها معنى الترديد، منها: التكرار، التذييل، التجنيس، التسجيع، التسهيم، التوشيع، التطريز، الترادف، الاشتراك... وقد يوجد من استعمل غيرها على المستوى اللُّغوي العامّ الذي يُقصد به إعادة صوت المادة مطلقا، أو ما أعيد فيه معنى بأيّ وجه.

وقد تكلَّم الجاحظ (المتوفى:255 هـ) عن قيمة هذه الظاهرة إذ نجده يقول في أحد النصوص: "وجملة القول في الترداد، أنَّه ليس فيه حدٌّ ينتَهي إليه، ولا يُؤتَى على وَصْفه، وإنّما ذلك على قدر المستمعين، ومَن يحضُره من العوامّ

والخواصّ، وقد رأينا اللَّه عزّ وجلّ ردَّدَ ذِكْر قِصّة موسى وهودٍ، وهارونَ وشعيبٍ، وإبراهيمَ ولوطٍ، وعادٍ وثمودَ، وكذلك ذِكرَ الجنَّةِ والنَّارِ وأمورٍ كثيرة؛ لأنّه خاطَبَ جميعَ الأمم من العرَب وأصناف العَجَم، وأكثَرُهم غَبيٌّ غافِل، أو مُعانِدٌ مشغولُ الفِكْرِ ساهي القلب، وأمّا أحاديث القَصَص والرِّقَّة فإنِّي لم أرَ أحداً يعيب ذلك، وما سمِعْنا بأحدٍ من الخطباء كان يرى إعادةَ بعضِ الألفاظ وتَردَادَ المعاني عيّاً.. "[1]، وهذا الكلام من الجاحظ وصْفٌ عامٌّ لفنون وأساليب الترديد، إذ نفى أنْ يكونَ له أيُّ حدٍّ يحُدُّهُ أو تعريفٍ يُلِمُّ بالمقامات التي تُوجِبُهُ وتطلُبُه، وأخذ العلماء بعده يتوسَّعون شيئا فشيئا، وأخذ مفهومُ ترديد الألفاظ والمعاني يتنوَّعُ عندهم بتنوّع الفنون البلاغية وتكاثرها حتى لقد عُني بأنواعٍ وكثُر الإعجاب بها ونُظِمَت الأبيات عليها لخصيصةٍ فيها ليست إلاّ الترديد الذي شملها إما على المستوى الصوتي وإما الدلالي.

ولم ينته القرن الثالث الهجريّ حتى بدأت الأساليب البلاغية تأخُذُ خطواتها الأولى نحو التخصُّص، فألّف ابن المعتزّ (المتوفى:296هـ) كتابه: البديع، وجعل فنونه خمسةً أساسية، وأضاف إليها ثلاثة عشر محسّنا، أخذت أساليب الترديد تتَّضِحُ معها تدريجيا في نوعين من الأنواع الخمسة التي ذكرها وهي: الجناس وردّ أعجاز الكلام على ما تقدَّمها؛ ثمّ أخذت تتزايد مع مراحِلِ تطوُّر

---

(1) البيان والتبيين الجاحظ: ج 1 ص 105 - مطبعة المدني مصر- ط 7 - ت 1998م

البلاغة، فزادت ألوانها أكثر عند قدامة بن جعفر (المتوفى:337هـ) في كتابه نقد الشعر، ثمّ أكثر بكثير عند أبي هلال العسكري (المتوفى:بعد400هـ) في الصناعتين مع نهاية القرن الرابع الهجري، ومن أساليب الترديد التي تمايزت: الجناس، وردّ أعجاز الكلام على ما تقدَّمها، والتكرار، والتذييل، والسجع، والازدواج، والتعطُّف، والمجاورة، والتطريز، والعكس، وصحّة التقسيم...؛ إضافة إلى فنون كانت تنْضوي ضِمْن أخرى في تلك البدايات التي عرفتها البلاغة العربية[1].

وبمرور القرن السابع الهجري وتواكُبِ العلماء البلاغيين على بناء الدرس البلاغي والسير به إلى النضج والاستقلال عَرَفَت البلاغة في هذه الفترة أوفى غايةٍ من التعاريف والتقاسيم في كتاب مفتاح العلوم للسّكاكي (المتوفى:626هـ)، وقد لخّصه في القرن الثامن الخطيب القزويني (المتوفى:739هـ)، ثم شرحه في كتابه الإيضاح وتوالت على تلخيصه الشروح وبلغت في ذلك مبلغا في تنوُّع الطرح والتقعيد. وكانت أساليب الترديد تتشكّلُ تشكُّلاً مُتنوِّعا بحيث تَوَزَّعَت في مباحثهم البلاغية المختلفة ولم تتَّخِذْ لها منْحىً خاصًّا بها يجْمَعُها على وظيفتها الترديدية، بلْ ما كان منها يشمَلُ المعاني كان ضِمْن علم المعاني وما كان يشمل الأصوات كان من نصيبِ علم البديع.

---

(1) ينظر البلاغة تطوّر وتاريخ شوقي ضيف: ص 140 - دار المعارف مصر- ط 11 - د ت.

وقَدْ حَظِيَت أساليب الترديد أيضا بنصيبٍ وافر في مصنّفات التفاسير وعلوم القرآن ومشكله ومتشابهه، بل لقد كانت هي الأصْلُ في المتشابه اللَّفْظي إلى حدٍّ كبير. ولم يزل القرآن الكريم هو الكتاب الأسمى أسلوبا وبلاغة وفصاحة، ولم يزل العلماء يبحثون في أسراره ويجتهدون لبيان سرّ إعجازه واستجلاء بعض قوى تأثيره وجماله بقدر ما تسمح لهم قدراتهم وملكاتهم اللغوية والبيانية، وكان لأساليب الترديد حظها من بحوثهم القرآنية بدأت أولا بملاحظات وتنبيهات هنا وهناك، وانتهت بتأليف مختصٍّ لدرجة كبيرة يشمل أغلب أساليبها إما لإزالة إشكالٍ وقَع في آية أو بين آيات لدى قارئ القرآن، أو للذوْد عن كتاب الله من ألسنة الطاعنين الذين يَرْمُون كتاب الله بالألفاظ الزائدة والتكرارات الكثيرة.

وألمع ابن قتيبة (المتوفى:276 هـ) في كتابه تأويل مُشْكل القرآن إلى التكرار في مبحثٍ من كتابه سمّاه باب تكرار الكلام والزيادة فيه، قال بعد حديثه عن تكرار الأنباء والقصص: "وأما تكرار الكلام من جنسٍ واحد وبعضُه يجزىء عن بعض، كتكراره في: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ﴾ [الكافرون:1]، وفي سورة الرحمن بقوله:﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ [الرحمن: 13]، فقد أعلمْتُك أنّ القرآن نزل بلسان القوم، وعلى مذاهبهم؛ ومن مذاهبهم التكرار: إرادة التوكيد والإفهام، كما أنّ من مذاهبهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز،

لأنّ افتنان المتكلّم والخطيب في الفنون، وخروجه عن شيء إلى شيء – أحسن من اقتصاره في المقام على فنّ واحد"[1].

وقال في موضع آخر: "وأما تكرار المعنى بلفظين مختلفين، فلإشباع المعنى والاتّساع في الألفاظ، وذلك كقَوْل القائل: آمرك بالوفاء، وأنهاك عن الغدر، والأمر بالوفاء هو النّهي عن الغدر، و: آمركم بالتّواصُل، وأنهاكم عن التّقاطع؛ والأمر بالتواصل هو النهي عن التّقاطع. وكقوله سبحانه: ﴿فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:68]. والنخل والرّمان من الفاكهة، فأفردهما عن الجملة التي أدخلهما فيها، لفضلهما وحسن موقعهما. وقوله سبحانه: ﴿حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى﴾ [البقرة:238] وهي منها، فأفردها بالذّكْر ترغيبا فيها، وتشديدا لأمرها، كما تقول: إيتني كلّ يوم، ويومَ الجمعة خاصّة. وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ﴾ [الزخرف:80] والنّجْوى هو السرّ. وقد يجوز أنْ يكون أراد بالسرّ: ما أسرّوه في أنفسهم، وبالنّجوى: ما تسارّوا به"[2].

ويتبيَّنُ من هذين النصَّيْن ماهيةُ الإشكالات التي كانت من صميم أساليب الترديد وكانت البدايات التي تفرَّعَتْ من بعْدُ وتنوَّعَتْ حتى باتت

(1) تأويل مشكل القرآن ابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر: ص 235 دار التراث مصر ط 2 ت 1973 م

(2) نفسه: ص 240

ضرورةً تطرَحُ نفسها في مؤلّفاتٍ قرآنيةٍ مُفْردة تحاول حلّ ما التبس منها وكشف الغامض الذي غشِيَها.

وقد تحدَّثت دراساتٌ كثيرة عن ظاهرة التكرار بالمعنى العامّ التي تكلَّمَ عنه ابنُ قتيبة، أو كما نسمّيه نحن في بحثنا هذا بالترديد، إمّا بلاغية تشمل أنواع الكلام بنثره وشعره، وإما قرآنية اختصّت بالردِّ ودفْعِ ما يشكل من أوْجُه التشابه؛ فكان لهذه الظاهرة في تاريخها تدرُّجا وتنوُّعا وتبايُنا في تناولها.

الباب الأوّل

الترديد مفهومه وأنماطه في الدراسات البلاغية والقرآنية

الفصل الأول: مصطلح الترديد في البلاغة العربية

الفصل الثاني: الترديد في الدراسات البلاغية

الفصل الثالث: الترديد في الدراسات القرآنية

* * *

الفصل الأول

مصطلح الترديد في البلاغة العربية

المبحث الأوّل: الدلالة اللّغوية

المبحث الثاني: الدلالة الاصطلاحية

* * *

المبحث الأول ـ الدلالة اللُّغوية:

وضع صاحب كتاب الطراز يحيى بن حمزة العلويّ (المتوفى: 749هـ) تعريفا لغويا لمصطلح الترديد فقال: "والترديد تفعيل من قولهم: ردَّد الثوب من جانب إلى جانب، وردَّد الحديث ترديدا أيْ كرّره"[1]. ووافقه صاحب تاج العروس: "وردَّدَ القَوْلَ كَرَّرَهُ"[2]؛ فمعنى الترديد لغةً هو التكرير؛ وردَّد بمعنى كرَّر.

واتّفَقَت المعاجم على أنَّ المصدر (الترديد) قياسٌ من الفعل (ردَّدَ)؛ ففي لسان العرب: "وردَّدَهُ ترديداً وتَرْداداً فتردَّد"[3]، وفي تاج العروس: "وأَمّا (التَّرْدِيدُ) فإنه قياسٌ من رَدَّدَه، كما صَرَّحَ به غيرُ واحدٍ. ويقال: ردَّدَه تَرْدِيداً وتَرْداداً"[4].

فمن الناحية اللُّغوية معنى الترديد هو التكرير؛ وهذا المعنى نجده كثيرا في كتب البلاغة أثناء حديثها عن أيّ أسلوب ترديديّ؛ إما بلفظة ترديد أو ترداد، وإمّا تكرير أو تكرار، وقد كان منها ما يُوظِّف الترديد والتكرار توظيفا عامّا وأكثر شمولا ويُدرج تحته فنونا بديعية أخرى؛ كما أُطلِقَتْ لفظة الترديد بكثرةٍ في المعاجم والقواميس على ما فيه علاقة بالنطق أو الصوت الذي يُعاد؛ فمثلا في لسان العرب: "وقال المبرد الفَأْفَأَةُ التَّرْدِيدُ في الفاءِ وهو أَن يَتَرَدَّدَ في الفاءِ إِذا

---

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: العلوي المكتبة العنصرية بيروت ط1 1423 ج 3 ص47

(2) تاج العروس من جواهر القاموس مرتضى الزّبيدي تحقيق عبد العزيز مطر وآخرون؛ دار الهداية الكويت – ت 1970 م – د ط: ج8 ص93

(3) لسان العرب: ابن منظور دار صادر بيروت – ط 1 – د ت: ج3 ص172

(4) تاج العروس : الزّبيدي ج8 ص91

تَكَلَّمَ"[1]، "وهَرْهَرةُ الأَسد تَرْديدُ زئيرِه"[2]، "وأَما الضَّفِيزُ فهو كالغَطِيط وهو الصوت الذي يُسْمع من النائم عند ترديد نَفَسه"[3]، و"الترجِيعُ ترديد القراءة ومنه ترجيع الأَذان وقيل هو تَقارُب ضُروب الحركات في الصوت"[4]، "والفُواقُ ترديد الشَّهْقة العالية"[5]، "والهَمْهَمة الكلام الخفيّ وقيل الهَمْهَمة تَرَدُّد الزَّئير في الصَّدْر من الهمّ والحَزَن وقيل الهَمْهَمة تَرْديد الصوت في الصدر"[6]، "والكَهْكَهةُ ترديدُ البعيرِ هَدِيرَه وكَهْكَهَ الأَسدُ في زئيرِه كذلك"[7]، وأيضا في تاج العروس: "وقال ابنُ دُرَيْد: التَّغْبِير: تَهْلِيلٌ أَو تَرْدِيدُ صَوْتٍ يُرَدَّدُ بقِرَاءَةٍ وغَيْرِهَا"[8]، "والغَرْغَرَةُ: تَرْديدُ الماءِ في الحَلْقِ وعَدَمُ إِساغَتِهِ"[9]، "وقال المبَرّد: التَّمْتَمَة: التَّرْدِيدُ في التَّاء، والفَأْفَأَةُ: التَّرْدِيدُ في الفاءِ"[10].

وهذه نبذة فقط من لسان العرب وتاج العروس تبرز هذه الميزة جيدا؛ ولم تُستخدم لفظة التكرار مثلها، مما يُنبئ عن خصوصية للفظة التكرار وشمولية للفظة الترديد.

---

(1) لسان العرب: ابن منظور ج 1 ص 119
(2) نفسه ج 5 ص 260
(3) نفسه ج 5 ص 364
(4) نفسه ج 8 ص 114
(5) نفسه ج 10 ص 315
(6) نفسه ج 12 ص 619
(7) نفسه ج 13 ص 537
(8) تاج العروس: الزّبيدي ج 13 ص 195
(9) نفسه ج 13 ص 229
(10) نفسه ج 31 ص 338

المبحث الثاني ـ الدلالة الاصطلاحية:

إذا تتبَّعْنا تعاريفَ الترديد الاصطلاحية عَبْر كُتُب البلاغة من القديم فإنَّنا نجِدُها تدورُ حَوْل أربع حالاتٍ مُتباينة:

1- الحالة الأولى:

مِن أوائل مَن وضع للترديد تعريفا اصطلاحيا هو الحاتميّ (المتوفى: 388هـ) صاحب حِلْية المحاضرة، يقول: "هو تعليقُ الشاعر لفظة في البيت، متعلِّقة بمعنى، ثم يردِّدها فيه بعيْنها، ويعلِّقها بمعنى آخر في البيت نفسه"[1].

أي أنَّ اللَّفظة نفسَها تُذكر مرَّتين في البيت الشعري، غير أنها في الثانية تُعلَّق بمعنى مختلف عن الأوّل؛ فهما لفظتان تتّفقان في الدالّ والمدلول؛ تقعان في حدود البيت الواحد وتختلفان في تعليقهما، إذ تُعلَّق كلُّ لفظة منهما بمعنى يختلف عن تعلُّق الأخرى. وقد مثّل الحاتميّ للترديد بأبياتٍ متنوِّعة، نذكُر منها:

"مَنْ يَلْقَ يَوْماً على عِلاَّته هَرِماً يَلْق السماحةَ منه والندى خُلُقاً

...

لقد مَلأَتْ عَيْني بِغُرِّ محاسنٍ ملأْنَ فؤادي لَوْعةً وهُموماً

---

(1) حِلْية المحاضرة في صناعة الشعر أبو علي الحاتمي تحقيق د جعفر الكتاني ج 1 ص 154 وزارة الثقافة والإعلام بغداد 1979 م- د ط .

...

صفراءُ لا تنْزِلُ الأحزانُ ساحَتَها لَوْ مسَّها حجَرٌ مسَّتْه سرَّاء"[1]

وأورد ابن سنان الخفاجي (المتوفى: 466هـ) التعريف نفسه مع تمثيلاته، وعلَّق عليه: "وهذا عندي لا تعلُّق له بالنقد لأنّ التأليف في هذا الترديد كسائر التأليف في الألفاظ التي لا يستحقُّ به حمداً ولا ذماً ولا يُكسبها حسناً ولا قبحا"[2]. فابن سنان لا يرى في الترديد بهذا المعنى أيّ إبداع، فهو كلام كسائر الكلام لا يستحقُّ به حمداً ولا ذماً ولا يُكْسِبُها حُسْناً ولا قُبْحا.

ولعلَّ ابن أبي الإصبع المصريّ (المتوفى: 654هـ) هو أوّل مَنْ بسط فيه الكلام وجعل له أنواعاً في كتابه تحرير التحبير، ويُطالعنا استعماله للفظة الترديد بدايةً في أقسام الطباق: "وأما الطباق الذي يأتي بألفاظ الحقيقة فقد قسَّموه إلى ثلاثة أقسام: طباق الإيجاب، وطباق السلب، وطباق الترديد"[3]، "وطباق الترديد، وهو أن يُرَدَّ آخر الكلام المطابق على أوّله، فإنْ لم يكُنْ الكلام مُطابقاً فهو ردّ الأعجاز على الصدور، ومثاله قول الأعشى [بسيط]:

---

(1) السابق ج 1 ص 154 – 155

(2) سرّ الفصاحة: ابن سنان الخفاجي دار الكتب العلمية ط1 1982م : ص 284

(3) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الإصبع ت حفني شرف الجمهورية العربية المتحدة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي دط دت : ص 112

لا يرقع الناس ما أَوْهَوا وإنْ جهدوا طولَ الحياة ولا يُوهون ما رقعوا"[1]

فهذا النوع من الطباق خصّه ابن أبي الإصبع باسم الترديد، فإن لم يوجد طباق بين اللّفظين سُمّي ردّ الأعجاز على الصدور.

ثمّ يعْقِدُ بعد ذلك للترديد بابا خاصّا يُعرِّفه فيه ويمثِّل له: "وهو أنْ يعلِّق المتكلِّم لفظةً من الكلام بمعنى، ثم يردَّها بعَيْنها ويعلِّقها بمعنى آخر، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ؛ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:124]، فالجلالة الأولى مضاف إليها، والثانية مبتدأ بها وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الروم:6-7] ، وكقوله عزّ وجلّ: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ؛ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: 108]"[2].

وهو تعريف الحاتميّ نفسه؛ إلاَّ أنّ ابنَ أبي الإصبع وسَّعه ليشمل الشعر والنثر بقوله: "أنْ يُعلِّق المتكلِّم لفظةً من الكلام..."، في حين كان تعريف الحاتمي:" تعليقُ الشاعر لفظة في البيت...". كما جعل ابنُ أبي الإصبع الترديدَ ثلاثة أنواع: الترديد المتعدِّد، وغير المتعدِّد، وترديد الحبك؛ أما المتعدِّد فهو "أنْ يتردَّد حرف من حروف المعاني، إما مرّة أو مراراً... ومثله قول الشاعر:

(1) السابق ص 115

(2) نفسه ص 253

يُريك في الروع بدراً لاح في غسَقٍ فَلَيْثَ عِرِّيسةٍ في صورة الرجل[1]

وربما كان المتردِّد غير حرف الجر، كحرف النداء أو غيره، ومثاله قول المتنبي:

يا بدْرُ يا بحرُ يا غمامةُ يا ليثَ الشَّرى يا حِمامُ يا رجُلُ

ومثال المتردِّد من الجُمل غير المتعدِّدة قول أبي نواس:

صفراءُ لا تنْزِلُ الأحزانُ ساحَتَها لو مَسَّها حَجَرٌ مسَّتْهُ سرَّاءُ

فقوله: مسَّها، ومسَّتْه – ترديدٌ حسن" [2].

وترديد الحبُك هو: "أنْ تبنى البيت مِنْ جملٍ ترد فيه كلمة من الجملة الأولى في الجملة الثانية، وكلمة من الثالثة في الرابعة، بحيث تكون كل جملتين في قسم، والجملتان الأخيرتان غير الجملتين الأوليين في الصورة، والجمل كلها سواء في المعنى، كقول زهير:

يَطعَنُهمْ ما ارتَمَوْا حتى إذا اطَّعنوا ضارَبَ حتى إذا ما ضاربوا اعْتنقا"[3].

وقد ذكر ابنُ أبي الإصبع فوارقَ بين الترديد وبين التعطُّف؛ ثم بين الترديد وبين التكرار؛ محاولةً منه إلى تمييزه وإفراده عن غيره مما قد يشتبه به. وممّا ذكره ابنُ أبي الإصبع يظهر لنا أنّ له حدودا إضافية تحدُّ الترديد زيادة على ما ذكره في التعريف؛ ومنها:

---

(1) البيت في كتاب المصباح لبدر الدين بن مالك ص 162 (... في ليث عريسة...)، وقد تابع ابنَ أبي الإصبع في تعريف الترديد، ومثّل بهذا البيت على ما اجتمع فيه ترديدان متّفقان.

(2) ينظر نفسه ص 253

(3) ينظر نفسه ص 255

- أنّ هذا النوْع من الترديد يكون في إحدى قِسْمي البيت تارة وفيهما معاً مرة، ولا تكون إحدى الكلمتين في قسم والأخرى في آخر، والمراد بقُربهما أنْ يتحقَّق الترديد. والتعطُّف وإنْ كان ترديد الكلمة بعَيْنها، فهو لا يكون إلاَّ مُتباعداً، بحيث تكون كلُّ كلمة في قسم.

- والترديد يتكرَّر، والتعطُّف لا يتكرَّر.

- والترديد يكون بالأسماء المفردة، والجمل المؤتلفة والحروف؛ والتعطُّف لا يكون إلاَّ بالجمل غالبا[1].

وأعاد ابن أبي الإصبع ذكر الفروق مُلخَّصةً في أوّل باب التعطف، بعد باب الترديد مُباشرة، يقول: "وقد تقدَّم أنَّ التعطُّف كالترديد في إعادة اللَّفظة بعَيْنها في البيت، وأنَّ الفَرْقَ بَيْنهُما بمَوْضعهما وباختلاف التردُّد، وثبت أنَّ التعطُّف لا بدَّ وأنْ تكون إحدى كلمتيه في مصراع والأخرى في المصراع الآخر... ومن أمثلته قول زهير [بسيط]

مَنْ يَلْقَ يَوْماً على عِلاَّته هَرِما يَلْقَ السماحةَ منه والندى خُلُقا"[2]

فبيتُ زهير هو عند الحاتميّ من الترديد، ولكنَّه عند ابن أبي الإصبع من التعطُّف.

كما وضع ابنُ أبي الإصبع فرقاً جوهريا بين الترديد والتكرار: "والفارقُ بين الترديد والتكرار أنَّ اللَّفظة التي تُكرّر في التكرار لا تُفيد معنىً زائداً، بل

(1) ينظر السابق ص 254

(2) نفسه ص 257

الأولى هي تبيين للثانية وبالعكس، واللفظة التي تتردَّد تُفيد معنى غير معنى الأولى منهما"[1].

ومُلخَّصُ ما يمتاز به الترديد عند ابن أبي الإصبع أنَّه إعادةُ لفظةٍ بعَيْنها مع اختلاف تعلُّقِهما، وهو ما اتَّفق فيه مع الحاتمي، إلاَّ أنه وسَّع عنه في جهة وضيّق في جهة أخرى؛ فهو وسَّع الترديد ليشمل الشعر والنثر، ويشمل الأسماء والحروف والجمل، مع إمكانية تكرّر الترديد أكثر من مرّة؛ ولكنه ضيَّقه ليكونَ في حُدود الشطر الواحد من البيت أو ما يُقابله من النثر؛ مع إفادة اللَّفظة المردَّدة مَعْنىً زائدا.

وبعد ذلك جاء المظفَّرُ بن الفضل (المتوفى:656هـ) وتابع تعريف الحاتميّ في كتابه نضرة الإغريض، دون أن يُقيّده بحدود ابن أبي الإصبع، قال: "وهو أن يُعَلِّقَ الشاعرُ لفظةً في البيت بمعنى ثم يردِّدها فيه بعينِها ويعلِّقها بمعنىً آخر"[2].

وتابع بدرُ الدين بن مالك الشهير بابن الناظم (المتوفى: 686هـ) في كتابه المصباح تقييد ابن أبي الإصبع في تعريفه: "الترديد: أنْ تُعلِّق الكلمة في المصراع أو مثله نثرا بمعنى ثم تعلِّقها فيه بمعنى آخر"[3].

---

(1) السابق ص 254

(2) نضرة الإغريض في نصرة القريض: المظفر بن الفضل العلوي ت نهى عارف مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1976 دط ص 123

(3) المصباح في المعاني والبيان والبديع: ابن الناظم ت حسني عبد الجليل مكتبة الآداب مصر ط1 1989 ص162

ثم جاء صاحب كتاب الطراز يحيى بن حمزة العلويّ (المتوفى: 749هـ) وتابع تعريف الحاتميّ دون أيّ حدود، وامتاز صاحب الطراز بإضافته تعريفا لغويا ثم اصطلاحيا، يقول: "والترديد تفعيل من قولهم: ردَّد الثوب من جانب إلى جانب، وردَّد الحديث ترديدا أيْ كرَّره، ومعناه في مُصطلح عُلماء البيان أنْ تُعلَّق اللفظة بمعنى من المعاني ثم تَرُدّها بعَيْنها وتُعلِّقها بمعنى آخر، وعنْد هذا يحسُنُ رصفه ويعجب تأليفه... كقول ابن جبلة:

مُضطربٌ يرتجُّ من أقطاره كالماء جالَتْ فيه ريحٌ فاضطربْ
إذا تظنَّيْنا به صدَّقَنا وإنْ تظنّى فوقه الدهر كذبْ
لا يبلغ الجهد به راكبهُ ويبلغ الريح به حيث طلبْ"[1].

وقد سمَّاه في ختام الباب بالتعطُّف: "وما هذا حاله يقال له التعطُّف لأنه يتعطَّف على الكلمة الواحدة فيُوردها مرّتين، ومنه تعطَّفَت الناقة على ولدها إذا كانت تُرضعه مرّة بعد مرّة"[2].

فجعل العلويُّ الترديد والتعطُّف بالمعنى نفسه، في حين فرَّقَ ابنُ أبي الإصبع بينَهُما.

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: العلوي المكتبة العنصرية بيروت ط1 1423 ج 3 ص47

(2) نفسه ج3 ص47

2- الحالة الثانية:

أوْرَدَ ابنُ وكيع التنيسي (المتوفى: 393هـ) صاحب المنصف مَفْهوما مُغايِرا للترديد: "وقد لقَّب بعضُ الأدباء هذا الفنّ (الترديد) وبعضُهم يُسمِّيه التصدير وهو أنْ يبتدئ الشاعر بكَلِمةٍ في البيت ثمَّ يُعيدها في عَجُزِه أو نِصْفه ثم يردُّها في النصف الآخر، وهذا إذا نظم الشعر على هذه الصفة تيسّر استخراج قوافيه قبل أنْ يطرُق أسماع مُستمعيه"[1].

فالترديد عند ابن وكيع هو من قبيل ردّ الأعجاز على الصدور.

وقد تابعه أسامة ابن منقذ (المتوفى: 584هـ) في هذا التعريف: "باب الترديد: ويُسمَّى التصدير، اعلم أنّ الترديد هو ردّ أعجاز البيوت على صدورها أو ردّ كلِمَة من النصف الأول إلى النصف الثاني"[2].

ووافَقَهُ ابنُ شيث القرشيّ (المتوفى: 625هـ) على المعنى نفسه: "وهو أنْ ترُدَّ آخر الكلام على أوّله"[3].

---

(1) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي تحقيق عمر خليفة بن ادريس جامعة قات يونس بنغازي – ط1 – ت 1994 م. ص 166

(2) البديع في نقد الشعر: أسامة ابن منقذ تحقيق أحمد بدوي، حامد عبد المجيد الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والإرشاد القومي الإقليم الجنوبي دط دت ص 51

(3) معالم الكتابة ومغانم الإصابة: ابن شيث القرشيّ (نشره الخوري قسطنطين المخلصي) بيروت 1913 ص 84

3- الحالة الثالثــة:

في هذه الحالة نجد الترديد يُدْرَج ضِمْن أقسام الجناس، ومِنْ أوائل مَنْ رأى هذا هو ابن رشيق (المتوفى: 463هـ) في كتابه العُمدة، فقد جعل الترديد من أقسام الجناس وفرَّق بينه وبين التصدير؛ يقول: "والترديد: نوْعٌ من المجانسة"[1]، "والتصدير قريبٌ من الترديد، والفرق بينهما أنّ التصدير مخصوصٌ بالقوافي تُرَدُّ على الصدور، فلا تجد تصديراً إلاّ كذلك حيث وقع من كتب المؤلِّفين، وإنْ لم يذكُروا فيه فرقاً، والترديد يقعُ في أضعاف البيت"[2]. فشرْطُ الترديد عند ابن رشيق أنْ تقع اللَّفظة الثانية في أضعاف البيت وليس آخره، لأنّ هذا يخصُّ التصدير.

ثم جاء أصحاب البديعيات، وكلُّهم مثَّلوا للترديد في بديعيَّاتهم بالجناس التامّ حيث جعلُوا للترديد ثلاثة أطراف تتَّفق دوالّها وتختلف مدلولاتها، ولعلَّهم عَمِلوا بنصيحة صفيّ الدين الحلّي (المتوفى:750هـ) صاحب شرح الكافية البديعية، وقد أوْرَدَها صاحب أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم المدنيّ (المتوفى:1120هـ) تحت باب الترديد أنّ صفيّ الدين الحلّي قال إن اتَّفق

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني ت محيي الدين عبد الحميد دار الجيل بيروت ط5 1981م ج1 ص323

(2) نفسه ج2 ص3

للشاعر توجيه اللَّفظة المردّدة واشتراكها بمعنى آخر كان أبلغ، وعقَّب عليه ابنُ معصوم بقوله أنه حينئذ يكون من باب الجناس التام[1].

والغريب أنَّ ابن حُجَّة الحمويّ (المتوفى:837هـ) -أحد أصحاب البديعيات- عرّف الترديد بتعريف الحاتمي نفسه في كتابه خزانة الأدب ولكنه في بديعيته مثّل له بالجناس؛ وبعدما ذكر تعريفه أزرى عليه وعلى التكرار، يقول: "الترديد هو أنْ يعلِّق الشاعر لفظةً في بيت واحد، ثم يُرِدِّدها فيه بعينها ويعلِّقها بمعنى آخر... والذي أقول: إنَّ الترديد والتكرار ليس تحتَهُما كبير أمر، ولا بيْنَهُما وبين أنواع البديع قُرْبٌ ولا نِسْبة، لانحطاط قدرهما عن ذلك، ولولا المعارضة ما تعرَّضْتُ لهما في بديعيتي"[2].

فتعريفُ ابن حُجَّة الحمويّ ثمّ تمثيله للترديد في بديعيّته يُظهر أنّه يرى الترديد ينضوي ضمن أقسام الجناس.

وقد استوفى ابنُ معصوم المدنيّ ذكر الترديد في كلّ البديعيات التي سَبَقَتْه، وكلُّها من الجناس التامّ، وأوّلها بديعية صفي الدين الحلّي:

"له السلام من الله السلام وفي دار السلام تراه شافع الأمم

...وبيت بديعية الشيخ عزّ الدين الموصلي قوله:

له الجميل من الربّ الجميل على الـ وجه الجميل بترديدٍ من النعم

---

(1) ينظر أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم المدني تحقيق شاكر هادي شكر مطبعة النعمان - العراق - ط 1 - ت 1969 م؛ ج 3 ص 359-363

(2) خزانة الأدب وغاية الأرب الحموي تحقيق عصام شقيو دار ومكتبة الهلال- بيروت ، دار البحار- بيروت الطبعة الأخيرة 2004م ؛ ج 1 ص 359

وبيت بديعية ابن حجّة قوله:

أبدى البديع له الوصف البديع وفي نظم البديع حلا ترديدُه بفمي

وبيت بديعية الشيخ عبد القادر الطبري قوله:

هو الجوادُ رسولٌ للجواد بمضـ ـمار الجواد له الترديدُ بالنعم

...وبيت بديعية ابن معصوم:

هو القسيم له أو في القسيم على نفي القسيم ولا ترديدَ في القسَم

...وبيت بديعية شرف الدين المقري قوله:

جَلَّتْ فتوحا وجَلَّتْ معشرا كفرا طردا وجلَّتْ دياجي الأعصُر الدهُم"[1].

وقد كان من شأن أصحاب البديعيات توريةُ اسْم الفنّ البديعيّ في البيت نفسه الذي يُمثِّلون له به.

(1) ينظر أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم المدني تحقيق شاكر هادي شكر مطبعة النعمان – العراق – ط 1 – ت 1969 م ؛ ج 3 ص 359-363

4- الحالة الرابــعة:

الترديد في هذه الحالة يأخذ معنى عامّا أكثر من قبل؛ وأوّل من أشار إليه هو ابن الأثير(المتوفى: 637هـ)، وقد أخرجه من دائرة الجناس مخالفا بذلك ابن رشيق، ثمّ أعطى له تعريفا عامّا: "وربما جهل بعضُ الناس فأدخل في التجنيس ما ليس منه، نظرًا إلى مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى؛ فمن ذلك قول أبي تمام:

أظنّ الدمع في خدّي سيبقي رسومًا من بكائي في الرسوم

وهذا ليس من التجنيس في شيء، إذ حَدُّ التجنيس هو اتِّفاق اللَّفظ واختلاف المعنى، وهذا البيت المشار إليه هو اتّفاق اللّفظ والمعنى معًا.

وهذا مما ينبغي أن يُنبَّه عليه ليُعرف؛ ومن علماء البيان من جعل له اسمًا سمَّاه به وهو (الترديد) أي: أن اللَّفظة الواحدة رُدِّدت فيه. وحيثُ نبَّهْتُ عليه ههنا فلا أحتاج أن أعقد له بابًا أُفرده بالذكر فيه"[1].

فالترديد عند ابن الأثير لفظةٌ واحدة تُردّد؛ دون أن يجعل له حدودا تحدُّه أكثر.

ثمّ جاء ابنُ الأثير الحلَبي (المتوفى: 737هـ) وجعله يشمَل فنونا بديعية أخرى في كتابه جوهر الكنز، يقول: "الترديد: وهو أنْ يعلِّقَ المتكلِّمُ لفظةً من الكلام بمعنى ثم يردُّها بعينها ويعلِّقها بمعنى آخر، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير ت أحمد الحوفي، بدوي طبانة دار النهضة مصر دط دت ج 1 ص 267

مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:124]، فالجلالة الأولى مضافٌ إليها، والثانية مبتدأ بها، فصار ترديدها لمعنييْن، وهذا الباب يدخُل فيه: التصدير، والتعطُّف، والمشاكلة، وردُّ الأعجاز على الصدور، فإنَّ كلّ هذه الأبواب مادّتها واحدة"[1].

فرغم أنّ الحلبيّ عرّف الترديد بتعريف الحاتمي نفسه، إلاَّ أنَّ نظرته كانت واسعة عامة، بحيث جعل الترديد مُصطلحا يشمل ألوانا بديعية متنوّعة، منها التصدير، والتعطُّف، والمشاكلة، وردُّ الأعجاز على الصدور؛ وهي نفسها التي حاول بعض البلاغيين كما رأينا تمييزها عن الترديد.

ومُلخَّص الحالات الأربعة –التي تمتدُّ من القرن الرابع الهجري إلى القرن الثاني عشر من الهجرة– أنَّ مُصطلح الترديد في الحالة الأولى كان إعادةَ لفظةٍ بعَيْنها مع اختلاف تعلُّق كلِّ لفظة؛ مع اختلاف العلماء في وقوع الترديد في كلّ البيت أو في بعضه؛ وفي اقتصاره على الشعر أو شموله الشعر والنثر معا؛ وفي تكرّره من عدمه؛ وشموله الحروف والأسماء والجمل، وتفريقُه عن التعطُّف من عَدَمِه؛ وأيضا مع التكرار والتصدير والجناس. وفي الحالة الثانية كان مصطلح الترديد يعني ردّ الأعجاز على الصدور. وفي الثالثة كان من الجناس. وفي الرابعة كان بمعنى عامّ بحيث ينضوي تحته كلّ من التكرار والتعطُّف والتصدير والجناس.

(1) جوهر الكنز: ابن الأثير الحلبي ت محمد زغلول سلام منشأة المعارف الإسكندرية دط دت ص 260

وأمام هذه المفاهيم المتباينة كان اختيارُنا للمفهوم الأخير لمصطلح الترديد هو الأنسب والأليق ببحْثِنا؛ نظرا لأنَّ المصطلح لم يستقرَّ على دلالة محدَّدة مثل غيره، ونظرا لتوسُّع الأنماط الترديدية في القرآن الكريم كما سنبيّنه في الباب الثاني[1].

(1) ولقد عُرف الاختلاف ذاته في عصرنا الحاضر بين باحثين مختلفين؛ يُنظر مثلا بحثان من مجلتين؛ الأوّل: ظاهرة الترديد في شعر أبي تمام دراسة إيقاعية جمالية – رشيد شعلال – مجلة التراث العربي العدد 90، ص 68 – 76؛ دمشق – 2003 م، وقد اتبع تعريف الحاتمي للترديد مع توسيع دائرته أكثر؛ وجعله نوعين: تَرْديد مُناسبة عروضية، وترديد اشتقاق. والبحث الثاني بنية الترديد في أغاني الجرح دراسة صوتية دلالية –عبدالخالق العف– مجلة الجامعة الإسلامية المجلد العاشر، العدد الثاني، ص 120 – 141 فلسطين سنة 2002 م، وتناول مصطلح الترديد كمفهوم عامّ لكل مكرّر على كلّ مستوى وجعله ثلاثة أنواع: ترديد لفظي – ترديد تركيبي – ترديد نسقي.

الفصل الثاني

الترديد في الدراسات البلاغية

المبحث الأوّل : المثل السائر لابن الأثير

المبحث الثاني : الروض المريع في صناعة البديع لابن البناء المراكشي

المبحث الثالث : قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة

* * *

إنَّ نظرةً فاحِصةً في كُتب البلاغة عبر تسَلْسُلها الزمني تجعلُنا نشهَدُ كثرة أساليب الترديد وتنوُّعها في مختلف الأبْواب التي عقَدَها أصحابها، وكما كان السجْع مجالَ أخْذٍ وردٍّ بين الجمال والقبح كان التكرار الإطنابي أيضا أسلوبا مختلفا في حسنه ورداءته، وهما أسلوبان ترديديان رئيسان أوّلهما يمثل الجانب الصوتي والثاني الجانبَ المعنوي؛ ولم يُصنَّفا في دائرة واحدة في أكثر الكتب المؤلَّفة نظرا لاختلاف اعتبار التقسيم والتصنيف شأنهما شأن غيرهما من باقي الأساليب التي أساسها الترديد.

وارتأيْنا في هذا الفصل أنْ نطرُقَ أساليب الترديد عند بعضِ مَنْ ينظُر إلى المصطلح (الترديد) أو (التكرار) نظرةً أوسع مما ينظرُ إليهما البعض الآخر؛ فقد كان من الدارسين مَن جَعَل التكرارَ مَفْهوما واسعا يحتوي مجموعةً من الفنون البديعية التي تتَّفق في النمط الترديدي، وعلى هذا الأساس اخترنا بعض هؤلاء الباحثين الذين شكَّلوا البدايات وأوَّل المحاولات التي تطرّقت لذكر هذه الأساليب الترديدية أو بعضها تحت مصطلح واحد يجمعها، وقد كان اختيارهم مصطلح التكرار هو الغالب عندهم نظرا لعدم ثباته بعدُ على معناه المستقرّ كقسم من أقسام الإطناب أو لمعاملته بمعناه اللُّغوي نظرا لعدم وجود مُصطلح متوفِّر مناسب. ومصطلح الترديد هو الذي نقترحه نحن ليكون الأنسب والأليق بالظاهرة.

فهذا الفصل والذي بعده يهتمُّ بالأساليب الترديدية نفسها أكثر من الاهتمام بالمصطلح نفسه. ولتتجلَّى هذه الظاهرة لدينا ارتأينا أن ندرسَها عند ثلاثة ممَّن عُنوا بها وأوْلوها اهتماماً يُبرز نظرتهم الشاملة للتكْرار، اثنان من علمائنا البلاغيين القُدامى وهما: ابن الأثير (المتوفى: 637 هـ) في كتابه المثل السائر، وابن البنّاء المراكشي (المتوفى:721هـ) في كتابه الروض المريع في صناعة البديع، وواحد من زماننا وهي الأديبة والشاعرة نازك صادق الملائكة (المتوفاة: 1428هـ/2007م) في كتابها قضايا الشعر المعاصر.

وعليـــه فإنَّ هذا الفصل سينْقَسِم إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: المثل السائر لابن الأثير.

المبحث الثاني: الروض المريع في صناعة البديع لابن البناء المراكشي.

المبحث الثالث: قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة.

المبحث الأوّل: المثل السائر لابن الأثير

أوّلا – ترجمة موجزة لابن الأثير:

هو[1] نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيبانيّ، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، وزير، من العلماء الكتاب المترسّلين؛ ولد في جزيرة ابن عمر، وتعلّم بالموصل حيث نشأ أخواه[2] المؤرّخ (علي) والمحدّث (المبارك)، والأثير لقبٌ غلب على اسم أبيه، لأنه كان أثيرا عند الوزير جمال الدين،(في القرن السادس) وزير عماد الدين زنكي، ملك الموصل ووزير ابنيه.

عاش ابن الأثير في عصر الحروب الصليبية، عصر الفتن والقلاقل وعصر التنازع بين الدويلات الإسلامية، كان وزيرا مباشرا للسياسة والملك، مُتنقِّلا من بلَد إلى بلَد ومن أمير إلى أمير، إلى أن توفّي سنة سبع وَثَلاثِينَ وسِتمِائَة.

---

(1) يُنظر ترجمته في: الأعلام الزركلي ج 8 ص 31 دار العلم للملايين، بيروت، ط 15، ت 2002م؛ ومقدّمة تحقيق كتاب "الوشي المرقوم في حلّ المنظوم لضياء الدين ابن الأثير" : د. جميل سعيد ص 4 – المجمع العلمي العراقي – ط 2 – د ت ؛ ومقدمة تحقيق كتاب الجامع الكبير لابن الأثير: د مصطفى جواد ود جميل سعيد ص 31 – مطبعة المجمع العلمي العراقي – 1956 م/1375هـ – دط.

(2) وأخواه هما: عليّ عز الدين ابن الأثير،من كتبه "الكامل" في التاريخ.وأخوه الثاني المبارك مجد الدين ابن الأثير،من كتبه "النهاية في غريب الحديث "– نقلا عن وفيات الأعيان لابن خلّكان تحقيق إحسان عباس: ج3 ص348– ج4ص141– دار صادر بيروت–ج3: دط دت – ج4: ط1 ت 1971م.

مِن أهمِّ تآليفه التي اشتهر بها كتابه: "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر". وقد ذكر صاحبُ كشف الظنون لهذا الكتاب مجموعةً من الشروح والردود بلَغَت ستَّةَ مُصنَّفات تُنبئ عن قَدْره وأهمِّـيَّـتِه في البلاغة العربية [1].

ثانيا – الترديد عند ابن الأثيـر:

تحدَّث ابن الأثير في كتابه عن الصناعة المعنوية وجعَلَها أنواعاً عديدة، كان منها نوعُ الإطناب ويليه نوع التكرار. وقد فرَّقَ في باب الإطناب بين ثلاثَةِ مُصطلحاتٍ بلاغية هي: الإطناب، والتطويل، والتكرير؛ قال: "حدُّ الإطناب: والذي يُحدّ به أن يقال: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فهذا حدُّه الذي يُميِّزه عن (التطويل)، إذ التطويل هو: زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة، وأمّا (التكرير) فإنّه: دلالةٌ للَّفظ على المعنى مُردّدًا، كقولك لمن تسْتَدْعِيه: أسرع أسرع، فإنّ المعنى مُردّدٌ واللَّفظ واحد"[2].

وكان هذا أوّلَ تعريفٍ اصطلاحيّ يُقدِّمه للتكرير، وهو تعريفٌ شامل قد يتداخل مع المصطلحيْن الآخريْن تداخُلا جزئيّا، لذلك حدَّد في دقَّـةٍ مجال التقاطع معهما: "وإذا كان (التكرير) هو إيراد المعنى مردَّدا، فمنه ما يأتي لفائدة، ومنه ما يأتي لغير فائدة؛ فأمّا الذي يأتي لفائدة فإنّه جزءٌ من

---

(1) ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة ج2 ص1586مكتبة المثنى بغداد –1941هـ دط

(2) المثل السائر: ابن الأثير ج 2 ص 344

الإطناب، وهو أخصُّ منه...وأمّا الذي يأتي من التكرير لغير فائدة فإنّه جزء من التطويل، وهو أخصُّ منه"[1].

ثمّ يأتي النوْع الذي خصَّصه ابنُ الأثير للتكرار –من أنواع الصناعة المعنوية– وعرَّفه وقسَّمه وبسط القول في أقسامه بضرب التمثيلات من الآيات القرآنية والأشعار المتنوِّعة، ولكنْ تجدُر الإشارة أنَّ ابن الأثير وصف التكرار وصْفاً قلَّما استخدمه في غيره، إذ قال في بداية كلامه: "واعلم أنَّ هذا النوع من مقاتل علم البيان، وهو دقيق المأخذ"[2]، ممّا يُنبئ عن اهتمام زائدٍ ورعايةٍ خاصّة أولاها ابن الأثير لهذه الظاهرة الأسلوبية، ودائما نجده في غضون كتابه يُصرِّح بما كان هو أوّل منْ نبَّه عليه.

قسّم ابن الأثير التكرار إلى قِسْمَيْن: "أحدُهما يُوجد في اللَّفظ والمعنى؛ والآخر يوجد في المعنى دون اللَّفظ؛ فأمّا الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه أسرِعْ أسرِعْ... وأما الذي يوجد في المعنى دون اللَّفظ فكقولك: أطعني ولا تعصني، فإنَّ الأمر بالطاعة نهيٌ عن المعصية"[3]؛ وقسَّم كلاًّ منهما إلى مفيد وغير مفيد،ثمَّ قسَّم كلَّ نوع مفيدٍ إلى قسمين آخريْن، لتصير الأقسام على الشكل التالي:

---

(1) السابق: ج 2 ص 345

(2) نفسه: ج 3 ص 3

(3) نفسه: ج 3 ص 3

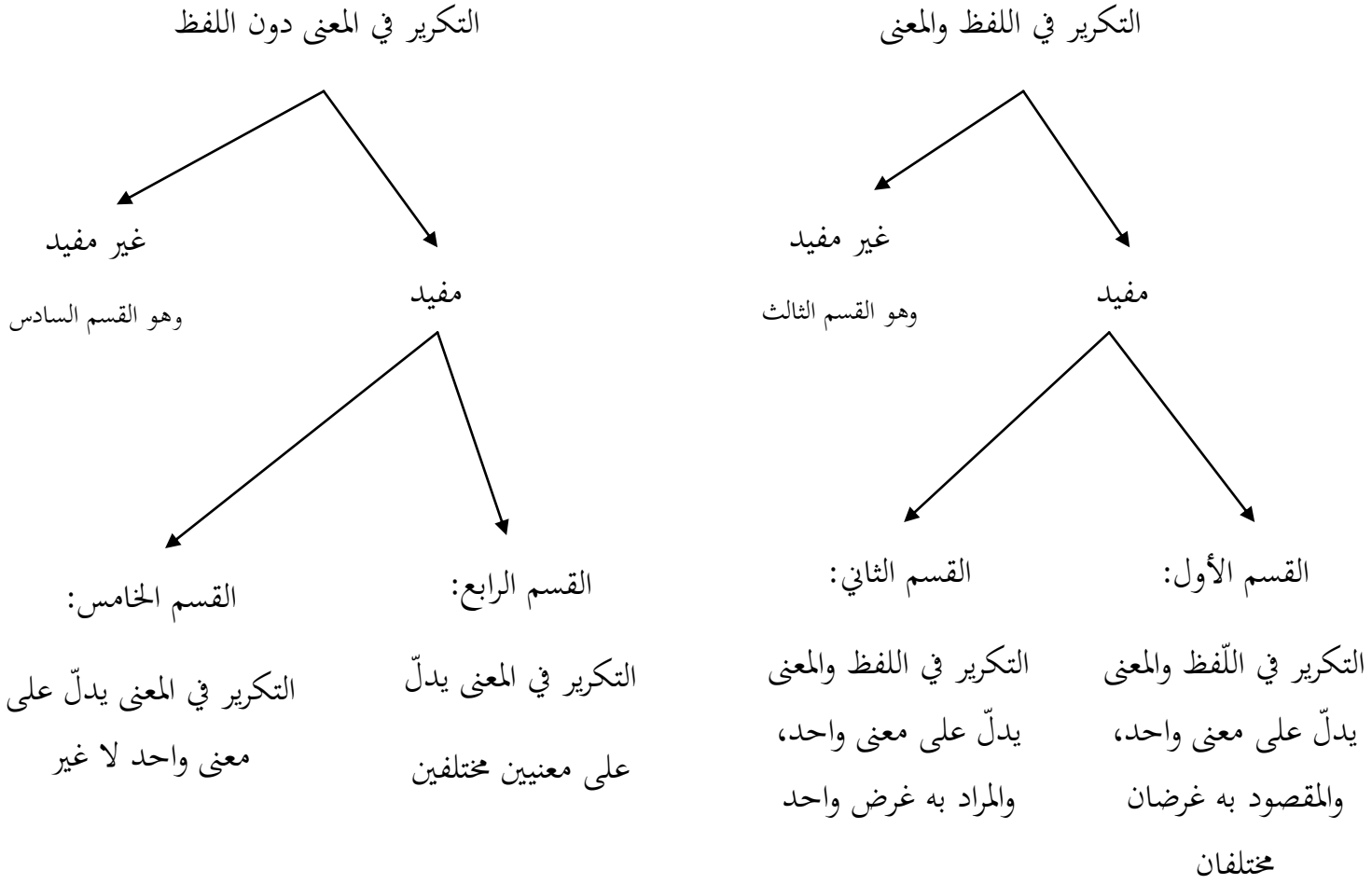

بهذا الشكل يظهر لنا أنَّ أقسام التكرار عند ابن الأثيـر في مجموعِها هي ستَّةُ أقســـام؛ وهذه الأقسام شملت أساليبَ مختلفةً للترديد، في كلّ مُستوياته: الحرف ، والكلمة(دالا ومدلولا) ، والتركيب(دالا ومدلولا) ، والدلالة(اختلاف الدال واتّفاق المدلول، كلمةً أو تركيبا)؛ بحيث يشتَمِلُ كلّ قسمٍ نماذجَ مُتنوِّعة من كلّ منها. ونحن سنَعْرِضُ هذه الأقسام مع بعض تمثيلات ابن الأثير لها، لنبرز شمولية نظرته للتكرار وأنها لم تقتصر على مستوى بعينه، بل كلّ المستويات.

القسم الأوَّل– التكرير في اللَّفظ والمعنى يدُلُّ على معنىً واحد والمقصودُ به غَرَضان:

ويعني إعادة اللَّفظ أو التركيب (إما دالاًّ ومَدْلُولا؛ وإما مدلولا فقط) مع اختلاف الغَرَض؛ بحيثُ يُؤدِّي الطرفُ المكرَّر غَرَضا يختَلِفُ عن الأوَّل.

وقد مثّل ابن الأثير لهذا القسم بترديد التركيب، وترديد المدلول.

أ– ترديد التركيب: (دالّا ومدلولا)

"وممّا يُعَدُّ من هذا الباب قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَ لا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ، وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون]. وقد ظنّ قومٌ أنّ هذه الآية تكريرٌ لا فائدة فيه، وليس الأمر كذلك، فإنَّ معنى قوله (لا أَعْبُدُ) يعني في المستقبل: من عبادة آلهتكم، ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلبه منكم من عبادة إلهي، ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ أي: وما كنت عابدا قطّ فيما سلف ما عبدتم، يعني أنه لم يُعهد مني عبادة صنم في الجاهلية في وقت ما، فكيف يُرجى ذلك مني في الإسلام ؟ ﴿وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ في الماضي في وقت ما، ما أنا على عبادته الآن"[1].

وهو ترديد في الدالّ والمدْلول، غير أنّ التركيب المردَّد دلالته في سياقه تختلف عن دلالة التركيب الأوَّل في سياقه.

---

(1) السابق: ج 3 ص 7

ب- ترديد المدلول: (مدلول اللَّفظ أو مدلول التركيب)

فترديد مدلول اللَّفظ "قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [فاتحة الكتاب:1- 3] ؛ فكرّر (الرحمن) (الرحيم) مرّتين، والفائدةُ في ذلك أنَّ الأوَّل يتعلَّق بأمر الدنيا، والثاني بأمر الآخرة؛ فما يتعلَّق بأمر الدنيا يرجع إلى خلق العالمين في كونه خلق كلا منهم على أكمل صفة، وأعطاه جميع ما يحتاج إليه حتى البقة والذباب، وقد يرجع إلى غير الخلق كإدرار الأرزاق وغيرها؛ وأمّا ما يتعلق بأمر الآخرة فهو إشارة إلى الرحمة الثانية في يوم القيامة الذي هو يوم الدين. وبالجملة فاعلم أنه ليس في القرآن مُكرَّر لا فائدة في تكريره، فإنْ رأيت شيئا منه تكرّر من حيث الظاهرُ فأنعم نظرك فيه، فانظر إلى سوابقه ولواحقه، لتنكشف لك الفائدة منه"[1].

وترديد مدلول التركيب "قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ، وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأيْكَةِ أُولَئِكَ الأحْزَابُ، إِنْ كُلٌّ إِلاّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص: 12- 14] وإنما كرَّر تكذيبهم ههنا؛ لأنه لم يأت به على أسلوب واحد، بل تنوَّع فيه بضروب من الصنعة، فذكره أوّلا في الجملة الخبرية على وجه الإبهام، ثم جاء بالجملة الاستئنائية، فأوضحه بأنّ كل واحد من الأحزاب كذّب جميع الرسل؛ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذّبوا جميعهم، وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه، والتنوُّع في

(1) السابق: ج 3 ص 7

تكريره بالجملة الخبرية أوّلا، وبالاستثناء ثانيًا، وما في الاستثناء من الوضع على وجه التوكيدِ والتخصيصِ المبالغةُ المسجّلة عليهم باستحقاق أشدّ العذاب وأبلغِه. وهذا باب من تكرير اللفظ والمعنى حسَن غامض، وبه تعرف مواقع التكرير، والفرق بينه وبين غيره، فافهمه إن شاء الله تعالى"[1].

القسم الثاني– التكرير في اللَّفظ والمعنى يدُلُّ على معنى واحد والمراد به غرَضٌ واحد:

ويعني إعادة اللَّفظ أو التركيب (إما دالاًّ ومَدْلُولا؛ وإما مدلولا فقط) مع اتِّفاق الغرض، بحيث يؤدِّي الطرف المكرَّر الغرَض نفسه الذي يُؤدِّيه الأوّل.

وقد تنوَّعَتْ أمثلة ابن الأثير في هذا القسم:

أ- ترديد الحرف النحوي:

"ورد قوله تعالى في سورة القصص:

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ، فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ﴾ [القصص: 18-19].

فقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ﴾ بتكرير (أنْ) مرّتين دليل على أنّ موسى عليه السلام لم تكُنْ مُسارعته إلى قتل الثاني كما كانت مُسارعته إلى

(1) السابق: ج 3 ص 9

قتل الأول، بل كان عنه إبطاء في بسط يده إليه، فعبَّر القرآن عن ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ﴾"[1].

ب- ترديد الكلمة: (دالّا ومدلولا)

"وكذلك ورد قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: 5].

فتكرير لفظة (أولئك) من هذا الباب الذي أشرنا إليه، لمكان شدة النكير، وإغلاظ العقاب بسبب إنكارهم البعث"[2].

ت- ترديد التركيب: (دالّا ومدلولا)

مثاله" قوله تعالى في سورة القمر: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ، وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: 39- 40]، فإنَّه قد تكرَّر ذلك في السورة كثيرا، وفائدته أنْ يجدِّدوا عند استماع كلّ نبإ من أنباء الأولين ادّكارا وإيقاظا، وأن يستأنفوا تنبّها واستيقاظا، إذا سمعوا الحثّ على ذلك والبعث إليه، وأن تقرع لهم العصا مرّات؛ لئلا يغلبهم السهو، وتَسْتَوْلي عليهم الغفلة. وهكذا حُكم التكرير في قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

(1) السابق: ج 3 ص 12

(2) نفسه: ج 3 ص 11

[الرحمن:13]، وذلك عند كل نعمةٍ عدَّدها على عباده؛ وأمثال هذا في القرآن الكريم كثير"[1].

وهذا ترديدٌ للتركيب دالّا ومدلولا، وهو في كلّ مرّة يتردَّد يُؤدّي الغرض نفسه الذي يُؤدّيه الأوّل.

ث- **ترديد المدلول**: (مدلول اللَّفظ أو مدلول التركيب)

من ترديد مدلول اللفظ قوله: "واعلَمْ أنَّ مِن هذا النوْع قِسْما يكون المعنى فيه مُضافا إلى نفسه مع اختلاف اللفظ، وذلك يأتي في الأَلْفاظ المترادفة؛ وقد ورد في القرآن الكريم، واستَعْمَل في فصيح الكلام؛ فمنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ : 5] والرجز هو العذاب... وربما أشكل هذا الموضع على كثيرٍ من متعاطي هذه الصناعة، وظنُّوه مما لا فائدة فيه، وليس كذلك، بل الفائدة فيه هي التأكيد للمعنى المقصود، والمبالغة فيه. أمّا الآية فالمراد بقوله تعالى: (عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ) أي: عذاب مضاعف من عذاب"[2].

ومن ترديد مدلول التركيب: "قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة: 29]، فقوله: (لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الأخِرِ) يقوم مقام قوله: (وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ)؛ لأن من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر لا يدين دين الحق،

---

(1) السابق: ج 3 ص 19

(2) نفسه: ج 3 ص 15

وإنما كرر ههنا للخطب على المأمور بقتالهم، والتسجيل عليهم بالذمّ، ورجمهم بالعظائم، ليكون ذلك أدعى لوجوب قتالهم وحربهم؛ وقد قلنا: إنّ التكرير إنما يأتي لما أهمَّ من الأمر، بصرف العناية إليه ليثبُت ويتقرَّر"[1].

القسم الثالث– التكرير في اللَّفظ والمعنى غير المفيد:

إعادةُ اللَّفظ دالاً ومدلولا من غير غرض. والإفادةُ التي يقْصِدُها ابن الأثير في تقسيمه التكرار إلى مفيد وغير مفيد هي الغرض البلاغي الذي يهدف إليه التكرار، فإذا خلا من هذا الداعي البلاغي كان تكرارا غير مفيد، وقد شرحه بقوله: "مقصودي من المفيد أن يأتي لمعنى، وغير المفيد أن يأتي لغير معنى؛ واعلم أنّ المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدا له، وتشييدا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك، إما مبالغة في مدحه أو في ذمّه أو غير ذلك... وغير المفيد لا يأتي في الكلام إلاَّ عيًّا وخطلاً من غير حاجة إليه"[2]. وممّا مثّل به "قول أبي نواس:

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا ويوما له يوم الترحُّل خامسُ

ومرادُه من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام"[3].

---

(1) السابق: ج 3 ص 11

(2) نفسه ج 3 ص 4

(3) نفسه ج 3 ص 24

القسم الرابع– التكرير في المعنى يدُلُّ على معنَيَيْن مُخْتلِفَيْن:

إعادةُ اللَّفظ مع اختلاف الدالِّ واتِّفاقٍ جُزئيٍّ في المدلول؛ فالدالّان مختلفان والمدلولان أحدُهما جُزءٌ من الآخر؛ لذلك عبّر ابن الأثير بقوله: يدلُّ على مَعْنَيَيْن مختلفين. وشملت أمثلته الكلمة والجملة، أي مدلول كلّ منهما:

أ– ترديد مدلول الكلمة:

مثاله "قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: 68]؛ وكقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب: 72]، فإنَّ الجبال داخلةٌ في جملة الأرض، لكن لفظ الأرض عامّ والجبال خاصّ، وفائدته ههنا تعظيم شأن الأمانة المشار إليه، وتفخيم أمرها؛ وقد ورد هذا في القرآن الكريم كثيرا"[1].

ب– ترديد مدلول الجملة:

"كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران : 104]، فإن الأمر بالمعروف خير، وليس كلّ خير أمرا بالمعروف، وذاك أنَّ الخير أنواع كثيرة من جملتها الأمر بالمعروف"[2].

---

(1) السابق: ج 3 ص 28

(2) نفسه: ج 3 ص 27

القسم الخامس– التكرير في المعنى يدُلُّ على معنىً واحد لا غير:

إعادة اللَّفظ مع اختلاف الدالِّ واتِّفاق المدلول.

وهذا القسم أيْضا كسابقه، تنوَّعَتْ أمثلتُه بين اللَّفظ والتركيب:

أ– ترديد مدلول الكلمة:

"وهو موضعٌ يكون التكرير فيه أوجز من لمحة الإيجاز، وأولى بالاستعمال. وقد ورد في القرآن الكريم كثيرا، كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 86]، فإنَّ البثَّ والحزن بمعنى واحد، وإنما كرَّره ههنا لشدَّة الخطب النازل به، وتكاثُر سهامه النافذة في قلبه"[1].

ب– ترديد مدلول الجملة:

"وكذلك ورد قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[2] بعد ثلاثة وسبعة تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين؛ لأن "عشرة" هي ثلاثة وسبعة، ثم قال "كاملة" وذلك توكيد ثالث، والمراد به إيجاب صوم الأيام السبعة عند الرجوع في الطريق على الفور، لا عند الوصول إلى البلد كما ذهب إليه بعض الفقهاء"[3].

---

(1) السابق: ج 3 ص 30

(2) سورة البقرة: الآية 196 وقبلها: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ .

(3) المثل السائر: ابن الأثير ج 3 ص 30

وقد أرجع هذا القسم الخامس من حيثُ الغرضُ البلاغيّ إلى القسم الثاني وجعلَهُما لا يأتيان في الكلام إلاَّ لتأكيد الغَرَض المقصود به، وأكثر في التمثيل لهما بالألفاظ المترادفة حسب مفهومه، وهذا ما حملَ بعضَهم أيضا على الردّ عليه في تلك الأمثلة وخالَفوه في حُكمه عليها بالترادف خصوصًا ما ذكره من القرآن[1].

القسم السادس– التكرير في المعنى دون اللَّفظ غير المفيد:

إعادة اللَّفظ مع اختلاف الدالِّ واتِّفاق المدلول من دون غرض؛ يقول ابن الأثير: "والذي عندي فيه أنَّ الناثر يُعاب على استعماله مُطلقا إذا أتى لغير فائدة، أما الناظم فإنه يُعاب عليه في موضع دون موضع؛ أما الموضع الذي يُعاب استعماله فيه فهو صدور الأبيات الشعرية وما والاها، وأما الموضع الذي لا يُعاب فيه فهو الأعجاز من الأبيات لمكان القافية، وإنما جاز ذلك ولم يكن عيبا؛ لأنه قافية، والشاعر مُضطرّ إليها... قال الحطيئة:

قالت أمامةُ لا تجــزَعْ فقُــلْتُ لها إنَّ العــزاءَ وإنَّ الصبرَ قــد غــلبا
هلاّ التمَسْتِ لنا إنْ كنت صادقةً ما لا نعيشُ به في الناس أو نشبا

(1) ينظر البلاغة الغنية علي الجندي ص 221 – مكتبة الأنجلو المصرية – ط 2 – ت 1966م

فالبيت الأول مَعيب؛ لأنه كرَّر العزاء والصبر، إذ معناهما واحد، ولم يردا قافية؛ لأن القافية هي الباء وأما البيت الثاني فليس بمعيب؛ لأن التكرير جاء في النشب وهو قافية"[1].

وممّا سبق من هذه الأقسام والنصوص يظهر لنا جليّا شمولية مفهوم التكرار عند ابن الأثير، ربّما لأنّ البلاغة كانت بعدُ في بكور النضج وتخيُّر المصطلح، وربما لأنَّ كلَّ بلاغيّ كان يتمسَّك بما يراه الأنسب لمفاهيمه البلاغية، وأيّا كان فإنّ الأساليب الترديدية عند ابن الأثير كانت متنوّعةً ومتباينة – في كتابه المثل السائر– منها ما بحثها تحت مُصطلح التكرار، ومنها ما وضعها في فصول وحدها لما تشكِّله من الخصوصية والتميُّز الذي يجعلها تحظى بذلك وفقا لمقتضيات ذلك العصر، مثل: السجع، والتصريع، والتجنيس، ولزوم ما لا يلزم، والموازنة، والتفسير بعد الإبهام، والتقسيم، والإرصاد، والتوشيح وغيرها ممّا يتداخل مع غيره أو يعتلق تحت لون آخر.

(1) المثل السائر: ابن الأثير ج 3 ص 36-37

المبحث الثاني: الروض المريع في صناعة البديع لابن البناء المراكشي

أوّلا – ترجمة موجزة لابن البناء:

هو[1] أحمد بن محمَّد بن عُثمان الأزدي العددي، أبو العباس، ابن البنَّاء، رياضيّ باحث، من أهل مراكش، مولدا ووفاة؛ كان أبوه بناءاً؛ ونشأ هو مُنصرفا إلى العلم، فنبغ في علوم شتى؛ له من المؤلَّفات: التَّلْخِيص فِي الحساب، واللَّوازم العَقْلِيَّة فِي مدارك العُلُوم، وَالرَّوْض المريع فِي صناعَة البديع، وَكتاب فِي الأَوْقَات، وَكتاب فِي الأنواء وَغير ذَلِك؛ وَاسْتمرّ بِبَلَدِهِ إِلَى أَن مَاتَ سنة 721هـ. كان من تلاميذه مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن عبد الله الآبلي (المتوفى:757هـ) شيخ ابن خلدون (المتوفى:808هـ). أهمُّ ما أُثِرَ عنه في البلاغة كتابه: الروض المريع في صناعة البديع؛ وقد ألَّف ابنُ البنَّاء كتابه هذا في صناعة البديع والأساليب البلاغية لأنَّها تُعين على فهم كتاب الله وسنَّة رسوله، وتهدي إلى إدراك إعجاز القرآن وتأثيره، فكان هذا القصْدُ البلاغيُّ أساسًا في الكتاب وغاية، وقد نظر المؤلّف في القرآن الكريم وتبيَّن أنّه قد قصُرَتْ دون بلاغته

(1) ينظر ترجمته في: الأعلام الزركلي ص222، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني ت محمد عبد المعيد مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند ط2 1972م، ج1 ص330، ج5 ص14، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات الكتاني تحقيق إحسان عباس ج 2 ص 1090 دار الغرب الإسلامي بيروت – ط 2 – ت 1982 م.

وبراعَته الفُهوم؛ فأراد أنْ يؤلِّف كتابا تكون "منفعتُه في زيادة المنَّة، وفهم الكتاب والسنَّة" [1].

ثانيا – الترديد عند ابن البنَّاء:

كتابُ الروْض المريع في صناعة البديع اهتَمَّ اهْتِماماً واضحا بأساليب الترديد، إذ خصَّص فصْلاً كاملا أسْماه التكرير وأدرج فيه مجموعةً من فنون البلاغة الترديدية.

قسَّم ابن البنَّاء كتابه ثلاثة أبواب تتضمَّن فُصولا، كان التكرير هو آخر فصل من آخر باب، وجعَله قِسْمين: الأوّل سمَّاه المواطأة وهو"تكرير في اللَّفظ والمعنى واحد"[2]، والقسم الثاني سمَّاه المشاركة وهو"تكرير في اللَّفظ والمعنى مختلف"[2].

وقد توزَّعَتْ أساليبُ الترديد بين هذَيْن القِسْمَيْن، من حيثُ الحرفُ أو الكلمة أو التركيب. والملاحَظ أنّ ابن البنّاء أدْرَجَ فنونا بديعية ضمن فصل التكرير فكان من أوائل من صنَّف ألوانا من البديع باعتبار نمطها الترديدي الذي يُميِّزها.

---

(1) الروض المريع في صناعة البديع: ابن البناء المراكشي ت رضوان بنشقرون دار النشر المغربية الدار البيضاء 1985 دط ص 69

(2) نفسه ص 157

وابن البنّاء هو أيضا كابن الأثير جعل غرض التكرار الأساس هو إفادته معنى زائدا، فإن جاء بغير هذا المعنى كان قبيحا، يقول: "فمِنْهُ ما يحسُنُ ومنه ما يقبُحُ، ولا شيء في البديع أقبح من التكرار، لأنَّه يغضُّ من طلاوته ويضعُ من قدْرِه... ولكنه متى كانت هناك معانٍ أُخَرُ لا تُستفادُ إلاَّ من التكرار حسُنَ التكرارُ ودخلَ في البلاغة ولم يكن مذموماً"[1].

أقسام التكرار عند ابن البنَّاء:

القسم الأول – المواطـأة:

إعادة اللَّفظ مع اتِّفاق الدالِّ والمدلول؛ وقد مثَّل لها بترديد الكلمة، والتركيب.

أ- ترديد الكلمة:

مما مثّل به ابن البناء قوله: "ومن هذا القسم ما يأتي تخفيفاً على النفْس من الاسترجاع إلى ما مضى، فيُبْنى على الثاني دون الأوّل، كقَوْله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:7]"[2].

(1) السابق ص 157

(2) نفسه ص 160

ومن ترديد الكلمة: "وقول القائل: أرى الموْتَ لا يسْبِقُ الموْتَ شيء..."[1].

ب- ترديد التركيب:

"ومنه ما يأتي للتقرير كتكرار قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن : 13]... ومنه ما يكون للتأكيد كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ [الشرح: 5-6]"[2].

وجعل ابن البنّاء أمثلة "العكس والتبديل" تنضوي ضمن قسم المواطأة، ومما مثّل به قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [فاطر: 13]، كما جعل "التصدير" من التكرير بشرط أن يكون اللفظ الثاني المكرَّر في آخر الكلام والأول في صدره، وهذا عنده يشمل القسمين: المواطأة والمشاركة، فإنْ لم يكُن الثاني في الآخر وكان كلاهما قبل نهاية الجملة فهذا أطلق عليه ابن البناء "ترديد"، يقول بعد كلامه عن التصدير:"وكلّ ما يكون من التكرير في اللفظ من القسمين المذكورين على غير ذلك فهو ترديد"[3].

فيُحتَملُ أنْ يكون الترديد عند ابن البنّاء مُصطلحاً يدْخُل ضمن قسم المواطأة- تكرير في اللفظ والمعنى- ويفتَرِقُ عن التصدير في أنَّ التصدير تكرار

(1) السابق ص 159
(2) نفسه: ص 160
(3) نفسه: ص 162

لِلَفظين الأوّل في صدر الكلام والثاني في آخره، أما الترديد فتكرار لِلَفظين على أنْ لا يُذكر الثاني في آخر الكلام بل قبله، كما قد يُحتمَل – وهو الأظهر – أنْ يكون استعمل لفظة "ترديد" استعمالا لغويا صِرفا، بمعنى أنّ كلّ لفظٍ مكرَّر في جملة لم يكُن الثاني في آخرها فهو مجرَّد ترديد.

القسم الثاني – المشاركة:

إعادة اللَّفظ مع اتِّفاق الدالِّ(اتِّفاقا كلِّيا أو جُزئيا) واخْتلاف المدلول؛ وقد مثَّل لها ابن البنَّاء بترديد الحرف، الوزن، الكلمة. وكانت أغلب أمثلة القسم من أنواع الجناس بشقَّيْه التامِّ وغير التامِّ، مع بعض أمثلة المشاكلة والسجْع والموازنة.

أ– ترديد الحرف:

مثَّل ابن البناء لترْديد الحرف بالسجع، وقد سمّاه هو بتجنيس المضارعة والترصيع: "ومن تجنيس المضارعة ما يقال له الترصيع، وهو أنْ يتَّفِقَ اللَّفظان في الوزن فيكونان مَسْجوعيْن، وفي الحرْف الذي يُخْتَمان به، وفي مناسبة الوضع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾ [المعارج: 19-21]... وقال الشاعر:

أَلِفْتُ الملا حتّى تعلَّمْتُ بالفَلا رنُوَّ الطلا أو صنْعة الآلِ في الخدْعِ"[1].

ب- ترديد الوزن:

مثَّل لترْديد الوزْن بالموازنة، ولكنّ ابن البنّاء يُدخلُها في تجنيس المضارعة ويُسمّيها أيضا السجع: "ومن تجنيس المضارعة ما يقال له الموازنة وهو أنْ يتَّفِق اللَّفْظان في الوزن ويُسمّى في اللغة سَجْعا، وفي مناسبة الوضْع خاصّة، كقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَنَرَاهُ قَرِيبًا، يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ، وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا، يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: 5-11]"[2].

ت- ترديد الكلمة:

مثّل لترديد اللفظ بأمثلة الجناس، وأمثلة المشاكلة التي سماها ابن البناء تجنيس المحاذاة، ومن أمثلتها عنده قوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:40]، ويقول في بيان غَرَضها: "وهذا النوْعُ كلُّه يُقصد به المقابلة وتحقيق المساواة في المعادلة، فلذلك استُعير للمعنى الثاني اللَّفظُ من المعنى الأوَّل"[3] .

ومن أمثلته للجناس التامّ قوله: " ما يكون اللَّفْظ الثاني هو الأوّل بعَيْنِه ويُسمَّى مطابقةً كقوله: وأقطَعُ الهوْجَلَ مستأنساً بهوْجَلٍ مُسْتأنسٍ عَنْتَرِيسِ

---

(1) السابق: ص 168

(2) نفسه: ص 169

(3) نفسه: ص 164

فالهوجل الأول: الأرض، والثاني: الناقة"[1].

وجناس التركيب ويُسَمِّيه التلفيق: "كقوله:

عارضاه بما جنَتْ عارضاه أو دَعاني أصْلى بما أوْدعاني "[2].

والجناس غير التامّ: "كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام:26]...

ويكون في صورة الخطّ، وهو تجنيس التصحيف، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف: 104] "[2].

"ويكون بزيادة أو نقْصٍ في اللَّفظ والخطّ كقوْل أبي تمام:

يمدُّون منْ أيْدٍ عواصٍ عواصِم تَصولُ بأسْيافٍ قواضٍ قواضِبِ

ويكون بالقلْب كقوله:

بيضُ الصفائِح لا سُود الصحائفِ في مُتونِهِنَّ جَلاء الشكِّ والريَبِ

ويكون بالاتِّفاق في المادَّة ويختلف البناء، وهو تجنيس التصريف والاشتقاق، كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور : 37]، فتتقلَّب فعل، والقلوب اسم، وهما معا مُشتقَّان من مادَّة واحدة. وكذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة : 276]"[3].

---

(1) السابق: ص 163

(2) نفسه: ص 165

(3) نفسه: ص 166- 167

فتردُّد الحروف هنا بين لفْظين غير متَّفِقين شكْلاً ولا معنى هو عند ابن البنّاء من التكرار لأنّ كمِّية النغَم بين (تتقلَّب)و(القلوب)، أو (الربا)و(يربي) كافية لتسْترعي وتشُدَّ السمع إلى طول مسافة التشابُه بين اللَّفظين ممّا جعله يُدرجها تحت فصْل التكرير، بل وطال حسُّه الترديديّ إلى تكرير الوزن كما مثّل به لفنّ الموازنة ممّا يعطينا بُعد نظرة ابن البناء لمفهوم التكرار ، بحيث توسَّع عنده حتى شمل فنونا بديعية أخرى.

المبحث الثالث: قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة

أوّلا – ترجمة موجزة لنازك الملائكة:

وُلدت الشاعرة نازك الملائكة[1] في بغداد 23 أوت 1923م، ونشأت في بيت علمٍ وأدب، في رعاية أمّها الشاعرة سلمى عبد الرزاق وأبيها الأديب الباحث صادق الملائكة، وقد اختار والدها اسم نازك تيمُّنا بالثائرة السورية نازك العابد. تخرَّجَت من دار المعلِّمين العالية عام 1944 بدرجة امتياز، دخلت معهد الفنون الجميلة وتخرَّجت من قسم الموسيقى عام 1949، تحمل شهادة الليسانس باللغة العربية من كلية التربية ببغداد، والماجستير في الأدب المقارن من جامعة وسكونس أميركا عام 1959؛ وعُيِّنت أستاذة في جامعة بغداد وجامعة البصرة ثم جامعة الكويت؛ عاشت في القاهرة منذ 1990 في عزلة اختيارية؛ توفِّيت بالقاهرة في 20 جوان 2007. أمّا "الملائكة" فلقب أطلقه على عائلة الشاعرة بعض الجيران بسبب ما كان يسود البيت من هدوء ثم انتشر اللَّقب وشاع وحملته الأجيال التاليـة. من آثارها مجموعات شعرية عديدة، وأيضا بعض الكتب المهمَّة، أهمُّها كتاب "قضايا الشعر المعاصر"، وهو أوَّل كُتب نازك

---

(1) ينظر ترجمتها في: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002: كامل سلمان الجبوري دار الكتب العلمية بيروت ط1 2002م ج6 ص326

– موسوعة شعراء العرب : محمد بوزواوي دار الهومة الجزائر (2010) دط ص 484–485

الملائكة وأشهرها التي شحنته بآرائها التجديدية على مستوى الشعر والنقد وطرَحَتْ فيه كلّ آرائها البلاغية والعروضية.

ثانيا – الترديد عند نازك الملائكة:

كتاب قضايا الشعر المعاصر ينْقَسِم إلى قِسْمَيْن، القسم الأوَّل أربعة أبواب والقسم الثاني ثلاثة أبواب، كان التكرار ضمن الباب الأوّل من القسم الثاني، بالضبْط في الفصليْن الثاني والثالث من الباب الأوّل؛ حيث كان عُنوان الفصل الثاني (أساليب التكرار في الشعر)، وعُنوان الفصل الثالث (دلالة التكرار في الشعر).

تحدَّثَت الكاتبةُ في الفصلَيْن عن شروط التكرار وقواعده ودلالاته ؛ وأوّل قانونَيْن وضَعَتْهُما قائمان على الأساس العاطفي والأساس الهندسي وهما الشرطان الرئيسان في كلِّ تكرار مقبول؛ أما الأساس العاطفي فهو أن التكرار في حقيقته إلحاحٌ على جهة هامّة في العبارة يُعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، فالتكرار يُسلِّط الضوء على نُقطةٍ حسّاسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلِّم بها، وهو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية؛ وأما الأساس الهندسي فيتمثَّل في قانون التوازن في العبارة، ففي كلّ عبارة طبيعية نوعٌ من التوازن الدقيق الخفيّ الذي ينبغي أن يحافظ عليه الشاعر في الحالات كلّها، إنّ في وسع

التكرار غير الفطن أن يهدم التوازن الهندسي ويميل بالعبارة كما تميل حصاة دخيلة بكفة ميزان، ومثَّلت نازك لهذا بقول بدر شاكر السياب في قصيدة له:

"في دروب أطفأ الماضي مداها

وطواها

فاتبعيني اتبعيني"[1]

إنَّ التوازن حاصلٌ في هذه العبارة الشعرية، وقد قام على تكرار كلمة (اتبعيني)؛ ذلك أنَّنا هنا بإزاء طرَفَيْن متوازنين: الماضي الذي يذكُرُه الشاعر ويفزع من انطفائه وتلاشيه، والمستقبل الذي يحاول تثبيته ودعمه عندما ينادي حبيبته (اتبعيني)؛ إنه يحس بانطفاء الدروب الضائعة في الأمس فيحاول أن يملك ثباتًا في المستقبل على أساس الحب الإنساني، وبهذا يتمّ التوازن العاطفي للعبارة. وقد رتب الكلمات بحيث تلائمه هندسيًّا، وذلك بأن أعطى الماضي فعلين قويين هما (أطفأ) و(طوى) فكان لا بد له أن يُعطي المستقبل أيضًا فعلين لكي يوحي بقوَّته إزاء هذا الماضي، ولذلك كرَّر كلمة (اتبعيني) [2].

وجعَلَت الكاتبةُ من أبْسَط مُقوِّمات التكرار أنْ تكون العبارة المكرَّرة مُستقلَّةً بمعناها عمَّا حولها بحيث يَصِحُّ انتزاعُها مِنْ سياقها وتكرارها[3].

(1) ينظر قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة ص 278

(2) ينظر نفسه ص 278

(3) ينظر نفسه ص 279

وقسَّمَتْ نازك الملائكة التكرار إلى ثلاثة أقسام: التكرار البياني، وتكرار التقسيم، والتكرار اللاَّشُعوري، شمِلَتْ جُلَّ مُسْتويات الترديد: ترديد الحرف وترديد الكلمة وترديد التركيب.

القسم الأوَّل – التكرار البياني:

عرَّفَت التكرار البياني أنه "ما قصَدَ القُدَماء بمطلق لفظ (التكرار) الذي استعملُوه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:13]، والغرَضُ العامُّ من هذا الصنف هو التأكيد على الكلمة المكرَّرة أو العبارة"[1].

ومثَّلَتْ له بالحالات الثلاث الحرف والكلمة والتركيب:

أ– ترديد الحرف:

وصَفَتْ ترديد الحرف بالنوع الدقيق، وممّا مثّلت به تردُّد كاف التشبيه في أحد أبيات الشابي؛ تقول:"من أنواع التكرار نوْعٌ دقيق يكثُر استعماله في شعرنا الحديث، وهو تكرار الحرف، وأمثلته كثيرة منها هذان البيتان العذبان من قصيدة مشهورة لأبي القاسم الشابي:

عَذْبَةٌ أنتِ كالطفولة، كالأحلام، كاللحن، كالصباح الجديد

كالسماء الضحوك، كالليلة القمراء، كالورد، كابتسام الوليد

(1) السابق: ص 282

فالشاعر يُكرِّر الكاف هنا ويُؤثرها على واو العطف لأنها تجدِّد التشبيه وتقوّيه محتفظةً له بيقظة القارئ كاملةً، ولا شكّ في أن المعنى يفقد كثيرًا لو كان الشاعر قال: عَذْبةٌ أنت كالطفولة والأحلام واللَّحن.."[1].

ب- ترديد الكلمة:

اشتَرَطَتْ في ترديد الكلمة شَرْطيْن: الأوّل أنْ تكون الكلمةُ وثيقة الارتباط بالمعنى العامّ، وإلاَّ كانت لفظيةً مُتكلَّفةً لا سبيل إلى قبولها.

والشرط الثاني أنَّ المعوَّلَ لا على التكرار نفسه وإنما على ما بَعد الكلمة المكرَّرة، فإنْ كان مُبتذلا رديئا سَقَطَت القصيدة.

وممّا مثَّلت به لترديد الكلمة قولها أنَّ من النماذج المبتَكَرَة تكرار كلمة (نسيت) في قصيدة (نهر النسيان) لمحمود حسن إسماعيل، فهذا تكرار يتعلَّق تعلُّقًا مباشرًا ببناء القصيدة العامّ، وهو أحد الأسباب التي تجعلنا نعُدُّه تكرارًا ناجحًا غير لفظي، كما نعُدُّ القصيدة نفسها واحدةً من أجمل ما نظم شعراؤنا المعاصرون. وأوْرَدَتْ نازك نموذجًا من القصيدة ليلاحظ القارئ العناية الكبيرة التي صبَّها الشاعر على ما يلي لفظة (نسيت) في كل بيت، وهو سرّ جمال التكرار ونجاحه: "من (نهر النسيان)

ونسيتُ الأنسامَ تَنْقُلُ في المرْج صلاةَ الطيور للغُدْرانِ

ونسيتُ النجومَ وهْيَ على الأُفْقِ نشيدٌ مُبعثر الأوزانِ

ونسيتُ الربيعَ وهْو نديمُ الشعر والطير والهوى والأماني

---

(1) السابق: ص 273

ونسيتُ الخريفَ وهْو صبا ماتَ فَسَجَّتْه شيبة الأغصانِ

ونسيتُ الظلامَ وهْو أسى الأرضِ وتابوتُ شَجْوِها الحيرانِ

ونسيتُ الأكواخَ وهْيَ قُلوبٌ دامياتٌ تَلَفَّعَتْ بالدخانِ

ونسيتُ القصورَ وهي قبورٌ ضاحكاتُ البِلى من البهتانِ"[1]

وحَكَمَت على هذا النموذج بتوافُر الشرطين، فاللَّفظ المكرَّر متين الارتباط بالسياق، وما بعده قد لقي عنايةَ الشاعر الكاملة[2].

ومن أمثلتها بيتٌ آخر لبدر شاكر السياب:

"ودمٌ يغمغم وهو يقطر ثم يقطر

(مات مات)"[3]

وعلَّقَتْ على هذا البيت بأنّ القارئ ليس في إمكانه إلاّ أنْ يقف مُعْجَبًا بهذا التوازن الهندسيّ بين (يقطر ثم يقطر) و(مات مات) فكأنّ كلّ قطرة من الدم تغمغم (مات مات)؛ والواقع أنّ الفعل (غمغم) نفسه يحتوي في داخله على تكرار لحرفي الغين والميم؛ وذلك لا ريب جُزء غير واعٍ من البناء الهندسي المحكم للبيت، إنه مثال جيد لتكرار ناجح، فلو حذفنا منه التكرار لأسأنا إلى البيت وقضينا على هذه التعبيرية العالية فيه[4].

---

(1) قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة ص 266

(2) ينظر نفسه ص 266

(3) نفسه: ص 282

(4) ينظر نفسه: ص 282

وتطرَّقَتْ بعدها إلى معنى من معاني التكرار البياني أطلقت عليه مصطلح: التردُّد؛ وشرَطَتْ فيه أنْ تحتوي الكلمة التي يتردَّد عندها الشاعر على ما يبرِّر تحرُّجه من التلفُّظ بها ومن أطرف نماذجه بيت لنزار قباني من قصيدة (الفراء الأبيض) يخاطب به قطة:

"يا ... يا مزاحمة الذئاب ... أرى

في ناظريك طلائع الغزو"[1]

إنَّ تكرار حرف النداء (يا) هُنا يكاد يكون نكتة لطيفة تعمَّدها الشاعر فكأنَّه يريد أنْ يكون خطابُه لِلْقِطة مهذَّبًا مجاملًا، ولذلك يترفَّق بها قبل أنْ يُناديها (يا مزاحمة الذئاب) فيبدأ بحرف النداء ثم يتردَّد لحظة مُتهيِّبًا، مُسْتَجْمِعًا شجاعته[2].

القسم الثاني – تكرار التقسيم:

نماذج هذا القسم كلُّها من ترديد التركيب؛ فتكرار التقسيم هو ما يتكرَّر في أوّل كلّ مقطوعة من القصيدة أو في ختامها؛ وسمَّتْهُ أيضا بالتكرار المقطعي، ومن النماذج المشهورة التي ذكرتها قصيدة (الطلاسم) لإيليا أبي ماضي، وقصيدة (المواكب) لجبران، و(أغنية الجندول) لعلي محمود طه، و(النهر الخالد) لمحمود حسن إسماعيل؛ والغرض الأساسي من هذا الصنف من التكرار إجمالا أنْ يقوم

(1) السابق: ص 282

(2) ينظر نفسه: ص 282

بعمل النقطة في ختام المقطوعة ويوجِّدَ القصيدة في اتِّجاه معيَّن[1]؛ أنْ يُؤتى بتكرار العبارة أو المقطع لإيقاف المعنى لبدْء معنى جديد، فلا يكون في القصائد التي تُقدِّم فكرةً عامَّة لا يمكن تقطيعُها، لأنَّ البيت أو المقطع المكرَّر يقوم بما يُشبه عمل النقطة في ختام عبارة تمَّ معناها، ومن ثمّ فإنه يوقف التسلْسُل وقفة قصيرة ويهيّئ لمقطعٍ جديد، ومن الأمثلة الناجحة عندها أحد النماذج المألوفة لهذا التكرار في عصرنا، تكرار بيت كامل من الشعر في ختام المقطوعة، قصيدة ميخائيل نعيمة (الطمأنينة):

"سقفُ بيتي حديد ركنُ بيتي حجر

فاعصفي يا رياح وانتحب يا شجر

واسبحي يا غيوم واهطلي بالمطر

واقصفي يا رعود لست أخشى خطر

سقف بيتي حديد ركن بيتي حجر"[2]

(1) ينظر السابق: ص 284

(2) نفسه: ص 267

واشترطَتْ أنْ تنْصبَّ عنايةُ الشاعر في المكرَّر المختتم به على ما قبل الكلمات المكرَّرة، وفي نوْع المكرَّر المفتتح به على ما بعد الكلمات المكرّرة؛ واقترَحَتْ أن يُدْخِل الشاعرُ تغييرا طفيفاً على العبارة المكرّرة في كل مرّة؛ وبذلك يُعطي القارئ هزَّة ومفاجأة؛ وألمعت إلى صُعوبة مسلك التكرار لأنه عدوُّ البيت الرديء فهو يفضح ضعفه ويشير إليه صائحا، وهذه الخاصية أوضح في تكرار التقسيم.

القسم الثالث – التكرار اللاشعوري:

أما التكرار اللّاشعوري فهو آخر ما اختتَمَتْ به الباب، وهو تكرار يجيء في سياقٍ شعوريّ كثيف يبلُغ أحيانا درجة المأساة، وباستناد الشاعر إلى هذا التكرار يستغني عن عناء الإفصاح المباشر، ويغلِبُ أن تكون العبارة المكررة مُقتطفةً من كلامٍ سمعه الشاعر ووجد فيه تعليقا مريرا على حالة حاضرة تؤلمه أو إشارة إلى حادث مثير يوقظ حُزْنا قديما أو نـدَماً نائما أو سخريةً موجعة؛ "ونموذج هذا التكرار عبارة (أنها ماتت) في قصيدة الخيط المشدود في شجرة السرو؛ فما كاد بطل القصيدة يسْمَعُها حتى أصابته رجّة شعورية أدّت إلى أن يُصاب بهذيانٍ داخلي واختلاط مؤقّت في تفكيره فراحت العبارة تُعيد نفسها في ذهنه كدقّات ساعة رتيبة؛ وإنما تنبع القيمة الفنية للعبارة المكرّرة، في هذا الصنف من التكرار، من كثافة الحالة النفسية التي تقترن بها"[1].

(1) السابق: ص 287

هذه هي الأقسام الثلاثة للتكرار التي وسمتها الكاتبة بالدلالات الثلاث، وصرَّحَتْ أنه قد توجد دلالات أخرى لم تَفْطِنْ إليها، وفتحت السبيل للباحثين حتى يُغنوا هذه الظاهرة أكثر، لأنها حاولَتْ أنْ تتناوَلَ مَوْضوعَ التكرار بنَوْعٍ من الدراسة البلاغية تستند فيها إلى الشعر المعاصر، وبحثُها كلُّه –كما تقول – "ليس إلاَّ محاولةً لاستقراء أساس بلاغي لبعض أساليب الشعر المعاصر نستفيد منها في النقد والتدريس؛ وأنا أدرك، قبل أيّ أحد آخر، مدى احتمال الخطأ في الحكم وفساد الاستدلال، غير أنّ صعوبة المجال لا ينبغي أن تُوهن عزيمة الناقد، فرُبَّ محاولة غير واثقة من نفسِها يقوم بها ناقد ما تشقُّ طريقًا لنجاح أكبر قد يُتاح لناقد آخر"[1].

(1) السابق: ص 280

الفصل الثالث

الترديد في الدراسات القرآنية

المبحث الأول: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة

المبحث الثاني: درّة التنزيل وغرّة التأويل للخطيب الإسكافي

المبحث الثالث: البرهان في علوم القرآن للزرْكَشي

* * *

لقد أولى العُلماء من قديمٍ العنايةَ بدراسة القرآن الكريم، إمّا ذَوْداً عن حياضه وردّا لمطاعن الطاعنين ومزاعم المشكِّكين، وإما إظهارا لأسرار إعجازه وجمال بلاغته وفصاحته، وظهَرَتْ إثر ذلك عُلومٌ مُتنوِّعة ظلَّتْ تتنامى وتتكامل مع الأزمان لتُجليَ وتُبرز مكانة هذا الكتاب المعجز.

ومن بين المباحث التي وضَعُوها وحفِلَتْ بكثيرٍ من أساليب الترْديد ما أسْمَوْه بـ "التشابه في القرآن" أو ما يُصطلَح عليه أيضا: المتشابه في القرآن، أو مُشْكل القرآن.

ويُعرّف بأنه "الآيات القرآنية التي التبسَ معناها واشتَبه على كثير من المفسِّرين فلم يُعرف المرادُ منها إلاَّ بالطلَب والتأمُّل"[1] .

والتشابهُ قِسْمان: تشابهٌ لفظيٌّ، وتشابهٌ معنويّ؛ وفي كِلَيْهما صُنِّفَت كثير من المؤلَّفات، بيد أنَّ التشابُهَ اللفْظيّ يحظى بنصيبٍ وافرٍ جمٍّ من أساليب الترديد، لأنه بلاغيٌّ الطابع يحتاج إلى ذوْقٍ سليم وحسٍّ مُرْهَف لتحليل وتعليل نصوصه.

ويُعَرَّف التشابُه اللَّفْظي بأنه "الآياتُ القرآنية التي تحْوي ألْفاظا متَّفقةً في صُور شتى"[2]. أو "ما أُشكِل من الآيات المتماثلة لفظاً باتفاق أو مع

(1) مشكل القرآن الكريم: عبد الله المنصور دار ابن الجوزي السعودية ط1 1426هـ ص 77

(2) نفسه: ص 249

اختلاف"[1]؛ والمرادُ: الآياتُ التي تكرَّرت في القرآن الكريم، في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظٍ متشابهة، وصُوَر متعدّدة، وفواصلَ شتّى، وأساليبَ متنوّعةٍ، تقديماً وتأخيرا، وذِكْرا وحذفاً، وتعريفا وتنكيرا، وإفرادا وجمعا، وإيجازا وإطنابا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى ونحو ذلك، مع اتِّفاق المعنى العامّ لغرَض بلاغيّ، أو لمعنى دقيق يُراد تقريره، لا يُدركه إلاّ من آتاه الله عِلْما وفَهْما لأسْرار كتابه[2].

والترْديد الذي نَلْحَظُه في باب التشابُه اللَّفْظي عند هؤلاء العُلَماء الذين اهتمُّوا به قد يتَعدَّى حُدود الآية والسورة، فقد يكونُ في آيةٍ واحدة، أو بين آيتين من سورة واحدة، أوآيتين من سورتين مختلفتين، فتزداد مسافة التباعد بين أطراف الترديد؛ وهاته الأطراف في الآية الواحدة أو آيتين متواليتين هي إما حرْف أو كلِمة، وفي الآيتين المتباعدتين من السورة أو بين سورتين هي تركيب أو دلالة؛ فيبحَثُ هؤلاء العُلماء عن سرِّ الترديد بالشكل أو المضمون مهما كان البَوْن بين السورتين اللتين تحويانه، ممّا يُظهر لنا نظرَتَهم الشامِلة للنصّ القرآني على أنّه نصٌّ واحد مُتلاحم السُّوَر.

---

(1) المتشابه اللّفظي في القرآن الكريم وتوجيهه: محمد بن راشد البركة رسالة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين بالرياض قسم القرآن وعلومه بإشراف أد سليمان اللاحم 1425/1426: ص 46

(2) يُنظر المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: صالح بن عبد الله الشثري رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى كلية اللغة العربية قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد بإشراف أد محمد أبو موسى 2001م: ص 8

وكما الشأنُ في الفصل الذي مضى، ارتأينا في هذا الفصل أنْ نَنْتقيَ ثلاثةً من الدراسات القرآنية التي ذكرت نصيباً من أساليب الترديد أو خصَّصَتْ فَصْلاً تطرُقُ فيه التكرار في القرآن الكريم، ونبحثَ عن أساليبه التي ذكروها بشيء من الإيجاز.

أوَّلها كتاب "تأويل مُشْكل القرآن" للشيخ ابن قتيبة (المتوفى:276هـ)، والثاني كتاب مختصٌّ في التشابه اللَّفظي[1] ويُعدُّ أوّل مَنْ ألّف في توجيهه وذكر عِلَله وأسراره وهو "درّة التنزيل وغرّة التأويل" للخطيب الإسكافي (المتوفى:420هـ)، والثالث أحد أشهر كتب علوم القرآن على الإطلاق كتاب "البرهان في علوم القرآن" للشيخ بدر الدين الزركشي (المتوفى:794هـ).

وعليه فينْقَسم هذا الفصل ثلاثةَ مباحث:

المبحث الأول: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.

المبحث الثاني: درّة التنزيل وغرّة التأويل للخطيب الإسكافي.

المبحث الثالث: البرهان في علوم القرآن للزرْكَشي.

---

(1) وأشهَرُ الكتب المختصَّة أيضا في توجيه المتشابه اللفظي: – البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني (505هـ) وهو كتابٌ مطبوع باسم (أسرار التكرار في القرآن) — ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي (708هـ) – كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة (733هـ)– فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للأنصاري (925هـ).

المبحث الأول: تأويل مُشكل القرآن لابن قُتيبة

أوّلا – ترجمة موجزة لابن قتيبة:

هو[1] أبو محمَّد عَبْد الله بن مُسْلم بن قُتَيْبة الدِّينَوَري، وقيل المرْوَزي، النحْوي اللُّغوي صاحب كتاب (المعارف) و(أدب الكاتب) ؛ كان فاضلاً ثقة، أقرأ كتبه ببغداد إلى حين وفاته، وقيل أنّ أباه مروزي، وأمّا هو فمولده ببغداد، وقيل بالكوفة، وأقام بالدِّينَوَر مدةً قاضياً فنُسب إليها؛ وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين (213هـ)، وتوفي في رجب سنة ست وسبعين ومائتين (276هـ).

وقُتَيْبة: تصغير قِتبة، وهي واحدة الأقتاب، والأقتاب: الأمعاء، وبها سمّي الرجل، والنسبة إليه قتبيّ؛ والدِّينَوَري: هذه النسبة إلى دِينَوَر، وهي بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين خرج منها خلق كثير.

وتصانيفه منها ما تقدَّم ذكره، ومنها (غريب القرآن الكريم) و(غريب الحديث) و(عيون الأخبار) و(تأويل مشكل القرآن) و(مشكل الحديث) و(طبقات الشعراء) و(الأشربة) و(إصلاح الغلط) و(كتاب التقفية) و(كتاب الخيل) و(كتاب إعراب القراءات) و(كتاب الأنواء) و(كتاب المسائل والجوابات) و(كتاب الميسر والقداح) وغير ذلك.

---

(1) ينظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ج3 ص137 – وفيات الأعيان لابن خلكان ج3 ص42

وكتاب تأويل مشكل القرآن كتاب فريدٌ في بابه يُعَدُّ من أوائل الكتب التي بحثَتْ في مُشكل القرآن الكريم، جاء دفاعا أبلى فيه ابنُ قتيبة بلاءً حسنا، مما رأى من كثرة الشكوك التي تُثار حول القرآن، والمطاعن التي تُسدَّد نحوه.

ثانيا – الترديد عند ابن قتيبة:

بدأ ابنُ قتيبة كتابه بالحكاية عن الطاعنين، فسَرَدَ مطاعِنَهم على اختلاف أنواعها، ثم عقد أبوابا للردِّ عليهم في وُجوه القراءات، وما ادَّعَوه على القرآن من اللَّحن، وما رمَوْهُ به من التناقض والاختلاف بين آياته، وما قالوه في المتشابه؛ ثم ذكر بعد ذلك أبواب المجاز، وكانت طريقتُه في إيراد أبواب المجاز أنَّه يذكُر ما أتى مِنْها في كتاب الله، ثمّ يُعْقِبُهُ بأمثاله من الشعر وما استعمله الناس في كلامهم؛ وكان من الأبواب التي درسها باب تكرار الكلام والزيادة فيه.

وحديثُهُ في باب (تكرار الكلام والزيادة فيه) على شقَّيْن: الأوَّل حول التكرار، والثاني حَوْل الزيادة في الكلام.

وانقَسَمَ التكْرار القُرآني في هذا الباب إلى ثلاثة أقسام:

- الأوَّل تكرار الأنباء والقصص.
- الثاني تكرار الكلام من جِنْسٍ واحد وبعْضُه يُجْزِئ عن بَعْض.
- الثالث تكرار المعنى بِلَفْظَيْن مختلفين.

القسم الأوَّل – تكرار الأنباء والقصص:

تُعَدُّ فترة ابن قتيبة هي بدايات الحديث عن تكرار القصص في القرآن؛ وبدايات الردود على هذه القضية؛ لذلك نعدُّ ابنَ قُتيبة من الأوائل الذين كتبوا في تكرار القَصص القرآني، ولهذا السبب كان اختيارنا لمؤلَّفِه، وتكرار القَصص يدْخُل ضِمْن الترديد الدلالي الموضوعي، ورُدود ابن قتيبة في هذا الموضوع وحُجَجُهُ لم تكُن بلاغية إلاَّ في بعضها، بل كانت تفسيرية تَسْتَنِدُ إلى العقل والمنطق في أغْلَبِها.

فمن أسباب تكرار الأنباء والقصص عند ابن قتيبة أنَّ القرآن نزَلَ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة، "بفرضٍ بعد فرض: تَيْسيرا منه على العباد، وتَدْريجا لهم إلى كمال دينه؛ ووعْظٍ بعد وعْظ: تَنْبِيهاً لهم من سِنَة الغَفْلة، وشحْذاً لقلوبهم بِمُتَجَدِّد الموعظة؛ وناسخٍ بعد مَنْسُوخ: استِعْبادا لهم واخْتِبارا لبصائرهم"[1].

فقوله: (تَنْبِيهاً لهم من سِنَة الغَفْلة، وشحْذاً لقلوبهم بِمُتَجَدِّد الموعظة) من الأغراض البلاغية التي كان من أجلها ترديد القصص.

وأيضاً من الأسباب التي ذكرها أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلم "كان يبْعَثُ إلى القبائل المتفرِّقة بالسُّور المختلفة، فلو لم تكُن الأنباء والقصص مثنّاة ومُكرّرة لوقعت قصّة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم؛ فأراد الله، بلُطْفِه ورحمته، أنْ يشهر هذه القصص في أطراف

(1) تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة ص 232

الأرض ويُلقيها في كل سمع، ويُثبتها في كلّ قلب، ويزيدَ الحاضرين في الإفهام والتحذير "[1].

القسم الثاني – تكرار الكلام من جنسٍ واحد وبعضُه يُجزئ عن بعض:

وهو عند ابن قُتيبة ما تكرَّر بلَفْظِه ومعناه أيْ إعادة اللَّفظ أو التركيب مع اتِّفاق الدالِّ والمدلول.

ومثَّل له ابنُ قُتيبة ببَعْضِ آيات القرآن من ترديد التركيب، ولم يذكُر ترديد الكلمة بنماذج قُرآنية؛ بل اقتصر على بعض أشعار العرب، لأنَّ ابن قتيبة كان هدفُه الردَّ على ما يُثار حول موضوع التكرار؛ فلم يُعْنَ بالظاهرة نفسها بقدر اعتنائه بالردِّ على ما يُثار حولها.

أ– ترديد الكلمة:

أورد بعضَ تمثيلات العرب ليدلِّل على استعمال العرب الفُصحاء لهذا اللَّون في كلامهم، يقول: "وقد يقول القائل للرجل: اعجل اعجل، وللرامي: ارْمِ ارْمِ.

وقال الشاعر:

كم نِعْمَةٍ كانَتْ لكم كَمْ كَمْ وكَمْ

وقال الآخر:

---

(1) السابق: ص 234

هلَّا سألْتَ جُموع كنـ ـدة يوم ولَّوا أين أينا

وقال عوف بن الخرع:

وكادت فزارة تصلي بنا فأولى فزارة أولى فزارا"[1].

ب- ترديد التركيب:

كلّ تمثيلات القسم الثاني كانت من ترديد التركيب؛ يقول: "كتكراره في: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ﴾ [الكافرون: 1] وفي سورة الرحمن بقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ [الرحمن: 13]، فقد أعلمْتُكَ أنَّ القرآن نزَلَ بلسان القوم، وعلى مذاهبهم؛ ومن مذاهبهم التكرار: إرادة التوكيد والإفهام، كما أنَّ مِنْ مَذاهبهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز، لأنّ افتتان المتكلّم والخطيب في الفنون، وخُروجه عن شيء إلى شيء- أحسن من اقتصاره في المقام على فنّ واحد"[2].

وذكر تعليلاً لتكرار الآيتين السابقتين، ففي الآية الأولى لا مَوْضع أولى بالتكرار للتوكيد من السبب الذي أُنزلت فيه: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ﴾ [الكافرون:1]، لأنَّهم أرادوه على أنْ يعبُد ما يعبدون، ليعبُدوا ما يعبُد، وأبدؤوا في ذلك وأعادوا، فأراد الله عزّ وجلّ حسم أطماعهم وإكذاب ظنونهم، فأبدأ وأعاد في الجواب... وأما تِكْرار ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ [الرحمن: 13]، فإنه عدَّد في هذه السورة نعماءه، وأذكر عباده آلاءه، ونبَّهَهَمْ على قُدْرَته ولُطفه

(1) السابق: ص 236

(2) نفسه: ص 235

بخَلْقِه، ثم أتبع ذكر كلّ خَلَّة وصفها بهذه الآية، وجَعَلَها فاصلة بين كلّ نِعمتين، ليُفهِّمَهُم النِّعم ويُقرِّرهم بها [1].

القسم الثالث – تكرار المعنى بلفظين مختلفين:

وهو إعادة اللَّفظ أو التركيب مع اختلاف الدالِّ واتِّفاق المدلول؛ ذكر ابن قتيبة أنه يأتي لإشباع المعنى والاتِّساع في الألْفاظ؛ وذلك كقول القائل: آمرك بالوفاء، وأنهاك عن الغدر؛ والأمرُ بالوفاء هو النّهي عن الغدر؛ وآمركم بالتّواصل، وأنهاكم عن التّقاطع؛ والأمر بالتواصل هو النهي عن التّقاطع؛ وكقوله سبحانه: ﴿فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: 68]؛ والنخل والرّمان من الفاكهة، فأفرَدَهُما عن الجملة التي أدخلَهُما فيها، لفضلِهِما وحُسْن موقعهما؛ وقوله سبحانه: ﴿حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى﴾ [البقرة: 238] وهي منها، فأفرَدَها بالذّكر ترغيبا فيها، وتشديدا لأمرها، كما تقول: إيتني كلّ يوم، ويوم الجمعة خاصّة[2].

وهو ذكر الخاصّ بعد العامّ من أقسام الإطناب، وقد أدرجه ابن قتيبة في هذا القسم من الترديد.

ونجدُ مما سبق أنَّ مُصطلح التكرار عنده توسَّع ليشمل ترديد القصص، والتراكيب، والدلالات كذكر الخاص بعد العام؛ وهي أساليبُ ترديدية تعلَّقت

(1) ينظر السابق: ص 237 و 239

(2) ينظر نفسه: ص 240

عنده بنصوص القرآن بالدرجة الأولى، فأصبح الترديد يخطو نحو التنوُّع والجِدّة بما انْضاف إليه من تكْرار القصص.

المبحث الثاني: دُرَّة التنزيل وغُرَّة التأويل للخطيب الإسكافي

أوّلا – ترجمة موجزة للإسكافي:

قال صاحب مُعْجَم الأدباء في ترجمته: "محمَّد بن عبد الله خطيب القَلْعة الفَخْرية، أبو عبد الله المعروف بالخطيب الاسكافي: الأديب اللُّغوي صاحب التصانيف الحسنة، أحد أصحاب ابن عباد الصاحب، وكان من أهل أصبهان وخطيبا بالريّ... وصنَّف كتاب (غلط كتاب العين)، و(الغرّة) تتضمّن شيئا من غلط أهْل الأدب، و(مبادىء اللغة)، و(شواهد كتاب سيبويه)، و(نقد الشعر)، و(درّة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهة)، و(كتاب لطف التدبير في سياسات الملوك) وغير ذلك؛ توفي سنة عشرين وأربعمائة [420هـ]"[(1)].

وموضوع كتابه دُرّة التنزيل وغُرّة التأويل: هو توجيهُ الآيات القرآنية المتشابهة لَفْظاً، التي تتَّفِقُ في بعض ألفاظها وتفترق في البعض الآخر، أو تتكرّر في عدّة مواضع[(2)].

---

(1) مُعْجَم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت الحموي ت إحسان عباس دار الغرب الإسلامي بيروت ط1 1993م: ج6 ص2549

(2) ينظر الفصل الثاني من القسم الأول لمحقّق الكتاب د.محمد مصطفى آيدين لكتاب درة التنزيل وغرة التأويل: الخطيب الإسكافي جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية مكة المكرمة ط1 2001م: ص 134

ويُعَدُّ الخطيبُ الإسكافي أوّل من ألَّف في توجيه الآيات القرآنية المتشابهة لفظا، وصرَّح هو نفسُه بذلك[1]. وعدَّهُ السيوطيُّ أحسنَ مُؤلَّفٍ في المتشابه[2].

ثانيا – الترديد عند الخطيب الإسكافي:

سلَكَ المؤلِّف في كتابه طريقةَ المفسِّرين في اعْتِماد ترتيب السور الذي في المصحف، فبدأ من أوّل سورة البقرة حتى سورة الناس.

ولأنَّ الخطيبَ الإسْكافيَّ كان كتابُه كتاباً تطبيقيا بَحْتا، كان يزخَرُ بنماذجَ وافرةٍ من الألفاظ والآيات المكرّرة، وكثيراً ما يَسْتَخْدِمُ لفظة تكْرار أو تكرير أو إعادة أثناء تحليله للنصوص المتشابهات، ونظرتُهُ كانت أوْسَع وأفْسَح مجالا، نظَراً لاتِّساع مَفْهُوم التشابُه اللَّفظي الذي يَشْمَلُ الآيات المتردِّدة في القرآن الكريم، بأساليبَ مُتنوِّعةٍ، ذاتِ أنماطٍ ترديدية تتقارب وتتباعد أطرافها على مُستوى كلِّ القرآن.

وأغلب ما تطرَّق إليه الكتاب: ترديد اللَّفظ وترديد التركيب.

أ– ترديد اللفظ:

تعرَّض في كتابه إلى نماذج من تكرار الأداة، منها قوله: "والحواجز إذا كثُرَتْ وبعُدَتْ ما بين الكلمتين اختير إعادة العامل مع أنَّ في المتقدِّمِ كفاية كقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ

(1) ينظر درة التنزيل وغرة التأويل: الخطيب الإسكافي ج1 ص218

(2) ينظر الإتقان: السيوطي ج2 ص 232

أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: 30]، وكقوله: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [النمل: 67] وكقوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: 35] فلما بَعُدَ الخبرُ وهو (مخرجون) من (أنكم) الأولى أعيدت"[1].

الجدير بالذِّكْر أنّ أغلَبَ المصنِّفين في مُتشابه القرآن، يميلون عن القول بالتكرار ما أمكنهم ذلك، فنراهم يُحاولون أخذ كلِّ طرف من طرَفَيِ الترديد إلى جهةٍ في المعنى لا تتعلَّق بالأخرى، مُعْتَبِرين أنَّ ما هو مُتماثلٌ في الآيات إنما هو في الظاهر فقط، ويفصلون بين تلك المتماثلات بدلالاتٍ اجتهادية يربطونها بالسياق.

ومن الأمثلة على ذلك عند الإسكافي من ترديد اللَّفظ:

قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق:1-2].

ومن عادة الإسكافي أنه يبدأ مُناقشة الأسلوب الترديدي بافتراضِ سائلٍ يُشْكِلُ عليه الأمر، يقول: "للسائل أنْ يَسْأل عن تكرير (خَلَق)؟ والجواب أنْ يُقال: إنَّ قوله (خَلَقَ) بعد (الذي) عامٌّ في المخلوقات كلِّها، سمائها وأرضها، ثم استأنف التنبيه على خلق المخاطبين أنفُسهم فقال: (خَلَقَ الإنسانَ من عَلَق) أي: عرف انقلابه من حال الدم إلى ما يشاهد لِيعرف حاله الثانية التي ليست

(1) درة التنزيل وغرة التأويل: الإسكافي ج2 ص559

بأبعد في نفسه من هذه الناشئة، وإذا كان كذلك سلم من التكرار؛ والله أعلم"[1].

فكأنَّ مُصْطلح التكرار عنده يُحْمل فقط على التكرار الخالي من الفائدة، لذلك قال بعد تحليله لترديد كلمة (خَلَقَ) واختلاف تعلُّق الطرَفَيْن أنَّ المعنى سلم من التكرار، وكثيرا ما يختم عباراته بها؛ وهذا ربّما لأن هذه التحليلات هي في أصلها ردود على من رَمَوا القرآن بهذا التكرار الخالي من أيّ دلالة.

ونذكُر مثالاً آخر لترديد اللَّفظ؛ قال تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد:1-2].

ويبدأ بافتراض سائلٍ يسأل عن تكرير (البلد)، وجَعْلِه فاصلةً بين الآيتين؟ وهل ذلك مما يُرتَضَى في البلاغة، ويُعدُّ في جملة الفصاحة؟

ثم يجيب أنه إذا قُصد بالثاني غير ما يُقصد بالأوَّل من وَصْفٍ يوجِبُ له حُكْماً غير حُكم الأوّل كان من مختار الكلام، فالبلَد الأوَّل قُصد به وصْفٌ لم يحصُل في الثاني، لأنَّ معناه: أُقسم بالبلَد المحرَّم الذي جُبِلَتْ على تعظيمه قلوب العرب، فلا يحلّ فيه لأحدٍ ما أُحِلَّ للنبي – صلى الله عليه وسلم – فقوله: (وأنت حِلٌّ) أي مُحِلٌّ، أُحِلَّ لك منه ما حُرِّم على غيرك، فصار المعنى: أقسم بالبلد المحرَّم تعظيما له، وهو مع أنه محرَّم على غيرك، محلّلٌ لك إكراما لمنزلتك، فالبلد في الأول محرَّم، وفي الثاني محلّل، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم –

(1) السابق: ج2 ص1366

أُحِلّ له قتل من رأى قتله حين أُذِن له في قتال المشركين، فأمَرَ بقتل ابن خطل صبْراً وهو مُتعلِّقٌ بأستار الكعبة، ولم يحلَّ لأحَدٍ قبله ولا يَحِلّ لأحدٍ بعده ما أُحِلّ له؛ وإذا كان كذلك صار الثاني معنياً به غير ما عُني بالأوّل، فكأنّه ذُكر وصفٌ غير وصفه المتقدّم، فجمع فوائد من تعظيم البلد، وتعظيم النبي – صلى الله عليه وسلم – حيَن أبيح له ما حظر منه على مَن سواه، وقيل أُحِلَّتْ له ساعةٌ من نهار ولم تحلّ لغيره [1].

ب– ترديد التركيب:

كان هذا النوْعُ من الترديد هو الغالب في مصنَّف الإسكافي مقارنةً بينه وبين باقي الأساليب الترديدية، ونحن نكتفي هنا بإيراد بعضها؛ فممَّا مثَّل به:

قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ، وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:1-5].

يبدأ تحليله بقوله: "للسائل أنْ يسأل عن تكرير قوله: (وأذِنَت لربها وحُقَّتْ)؟"[2].

ثم يجيب بأنَّ الأوّل للسماء والثاني للأرض، أُمرت بالانْصِداع فسَمِعَتْ وانقادَتْ لأمر الله تعالى وانصَدَعَتْ، وحُقَّ لها أنْ تسمع وتطيع.

---

(1) ينظر السابق: ج2 ص1355

(2) نفسه: ج2 ص1351

ومعنى (أذِنَت): سَمِعَت، كأنَّها سمعت بأذن... وقوله: (وإذا الأرض مُدَّتْ) أي: بُسِطت باقتلاع جبالها وانخفاض آكامها وتلالها، وألقت ما حَوَتْهُ من الموتى والمعادن والكنوز، و(تخلَّتْ) منها كما تتخلَّى المرأة الحامل من حملها، إذا أَلْقَتْ ما في بَطْنِها، وسمعت وأطاعت، وحُقَّ لها ذلك؛ ويقال: حُقَّت فهي محقوقة، وحقيق بكذا؛ ويقال لها أيضا: حُقَّ له ذلك، فالأوَّل لغير ما له الثاني، فلا يكون تكرارا[1].

وأمثلة ترْديد التركيب كثيرة عنده، منها أيضاً:

قوله تعالى من سورة المرسلات: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات:15].

"للسائل أنْ يسأل عن هذه الآية لِم كرّرَت عشر مرَّات؟"[2].

وجوابُ الإسكافي أنّ الآية في كلّ مرَّةٍ ارتَبَطَتْ بمعنى يختَلِفُ عن آخر:

فالثلاثةُ الأوَائل ارْتَبَطَتْ بما يحُجُّ المكذِّبين بيوم القيامة:

- بعد الأولى ذِكْر إهلاك الأوّلين وإتْباع الآخرين والمجرمين.
- بعد الثانية خَلْق الإنسان من نُطفةٍ واستقرارها في الرحم وتحوُّلها بعد ذلك.

---

(1) ينظر السابق: ج2 ص1352

(2) نفسه: ج2 ص1319

- بعد الثالثة جَعْل الأرض مقرَّ الأقوات والأحياء والأموات والجبال والماء.

والثلاثةُ الأواسط قصُرت "على ما يكونُ مِنْ تَبْكِيتِهِمْ على ما كذَّبوا به عند مشاهدتهم له"[1]:

- بعد الأولى أُمِروا بالانطلاق إلى ما كذَّبوا به.
- بعد الثانية معناه امضُوا إليها فلا عُذر لكم ولا حُجَّة، فقد أُعذر إليكم.
- بعد الثالثة معناه امتازوا فقد جُمعتم في يَوْمٍ يَفْصِلُ بين المطيع والعاصي.

والأربعة الأواخـــــر:

- بَعْدَ الأولى وصْفُ أهل الجنَّة أنهم يُجازون بأعمالهم.
- بعد الثانية زجْرٌ لمن يُؤثِرُ الدُّنيا على الآخرة.
- بعد الثالثة خَبَرٌ بكراهيتهم الصلاة.
- بعد الرابعة قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات:50].

(1) السابق: ج2 ص1322

وبعدما أنْهى الإسكافيُّ تفسيره للآيات التي تلْحَقُ آية الترديد (وَيْلٌ يَومَئِذٍ لِلْمُكذِّبِينَ) ختم حديثه أنَّ هذه الآية إذا كانت رِدْفَ كلامٍ يدلُّ على ما يجب تصديقه وترك التكذيب به، وكانت المعاني مختلفة، سَلِمَ من التكرار[1].

وقد تطرَّقَ الإسْكافيُّ لكثيرٍ من الآيات القرآنية التي حَلَّلَها وفصَّلَ فيها وبيَّن الأوجُهَ التي تبايَنَتْ في الترديد؛ بالطريقة نفسها التي اعْتَمَدَها في تحليلاته التي أوردناها.

(1) ينظر السابق: ج2 ص 1319 - 1327

المبحث الثالث: البرهان في علوم القرآن للزرْكَشي

أوّلا – ترجمة موجزة للزركشي:

هو[1] محمَّد بن بهادر بن عبد الله الزرْكشي، أبو عبد الله بدر الدين، عالم بفقه الشافعية والأصول؛ تُرْكيّ الأصل، مصريّ المولد والوفاة، ولد سنة 745هـ ؛ وعني بالاشتغال من صغره فحفظ كُتبا وَأخذ عَن كثيرٍ من شُيوخ مصر؛ وعنِيَ الزَّرْكَشِيّ بالفقه وَالأصُول والحَدِيث وَقد رَحل إِلَى دمشق فَأخذ عَن ابْن كثير فِي الحَدِيث؛ ثمَّ توجَّه إِلَى حلَب فَأخذ الفقه والأصول، وَجمع فِي الأصُول كتابا سَمَّاهُ الْبَحْر فِي ثَلاثَة أسفار وَشرح عُلُوم الحَدِيث لابْنِ الصّلاح وَجمع الْجَوَامِع للسّبْكي، وَشرع فِي شرح البُخَارِيّ فَتَركه مُسودة ولخَّص مِنْهُ التَّنْقِيح فِي مُجَلَّد، وَشرح الأرْبَعين للنووي. وقيل أنه كَانَ مُنْقَطِعًا فِي منزله لا يتَرَدَّد إِلى أحد إِلاَّ إِلى سوق الكُتب؛ وقد مَات فِي رَجَب سنة 794هـ بمصر.

له تصانِيفُ كَثيرةٌ في عِدَّة فُنون، مِنْها كتاب البُرهان في عُلوم القرآن؛ وهو من الكُتب التي جمَعَتْ عُصارة أقوال المتَقَدِّمين، وصفوة آراء العلماء المحقِّقين، حول القرآن الكريم؛ وقد وُصِفَ بسداد المنْهَج، وعُذوبة المورِد، وغزارة المادَّة، بعيدا عن التعمية واللَّبْس[2].

---

(1) ينظر ترجمته في: الأعلام للزركلي ج6 ص60، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ج5 ص133

(2) ينظر مقدِّمة المحقّق محمَّد أبي الفضل ابراهيم لكتاب البرهان في علوم القرآن: الزركشي دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (وصوَّرَتْه دار المعرفة بيروت بالترقيم نفسه) ط1 1957م: ج1 ص 13

ثانيا – الترديد عند الزّركشي:

بَـوَّبَ الزرْكَشِـيُّ كتابَهُ لسبْعة وأربعين نوْعـاً مـن سـائر علـوم القـرآن، كـان التكْرار قِسْماً من النوْع السادس والأربعين، حيْثُ قسَّمَ هذا النوْعَ لأساليبَ وكلُّ أسـلوب لأقسـام، فكـان التكْـرار في القِسْـم الرابـع عشـر مـن الأسـلوب الأوّل (التأكيد).

عرَّف الزركشيُّ التكرار لغة واصطلاحا، وحاول أنْ يحصُر فوائده ودلالاته التي وردت في القرآن، فذكر سبع فوائد ومثَّل لها بآيات القرآن، فكان الزركشيُّ من الأوائل الذين بحثوا دلالات التكرار، وجاء بعده كثير من الدارسين اعْتَمَدوا هـذه الـدلالات ووسَّـعُوها وأضـافوا إليهـا، وربَّمـا وُجـد مَـنْ تطـرَّقَ قبـل الزركشـيّ لبَعْضها، إلاَّ أنَّ جَمْعَها والإسهابَ فيها وتخصُّصَها في الآيات القرآنية كان كتابُه البرهان أوّلَ المبادرين له.

شمِـلَ قسـمُ التكـرار عنـده أغلـب أسـاليب الترديـد: الكلمـة والتركيـب والدلالـة. وقـد تعرَّض لهـا أثنـاء حديثـه عـن دلالات التكـرار؛ فجـاءت تمثيلاتـه مُتنوِّعةَ الأساليب مُتَوَزِّعَةً بين تلك الدَّلالات التي بَحَثَها:

أ- ترديد الكلمة:

ناقـش الزركشـيُّ في دلالـة التأكيـد -أوّلِ فائـدةٍ ذكرهـا للتكـرار- طـرَفَيَ الترديد القرآني هل الثاني تأكيدٌ للأوّل فهو ذاته وعَيْنُه، أو الثاني إنشاءٌ جديدٌ

كالأوّل فهُما مختلفان؛ وذكر بعض أقوال أهل التفسير وترجيحاتهم، وشارك برأيه في بعضها.

ومنها: قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42] وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: 198]؛ ويحتمل أنْ يكون "اصْطِفَاءَيْن" و"ذِكْرَيْن" وهو الأقرب في الذكر لأنه محلّ طلب فيه تكرار الذكر.

وكقوله تعالى حكايةً عن موسى: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾ [طه:33-34] وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الرعد: 5] كرَّر (أولئك).

وكذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:5].

وكذا قوله: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: 19] كُرِّرت (أنْ) في أربع مواضيع تأكيدا.

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر:11-12][1].

وأيضا في مقام التعظيم والتهويل كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾[الحاقة:1-2] ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾[القارعة:1-2][2].

---

(1) ينظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج3 ص13

(2) ينظر نفسه ج3 ص17

ب- **ترديد التركيب:**

لقي ترديد التركيب من الزركشيّ اهْتِماما أكثر من ترديد الكلمة؛ لأنَّ المتكلِّمين في التكرار حينها كانوا يخوضون أكثر ما يخوضون في التراكيب والدلالات المكرّرة؛ فكلّ الفوائد التي ذكرها الزركشيّ إلاَّ وكان من بين أمثلتها نماذج مُتعدِّدة من ترديد التركيب.

فمن دلالة التأكيد قوله تعالى: ﴿مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ؛ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾[الإنفطار:17-18] [1].

ومن دلالة التطرية والتجديد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النحل:119]؛ وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ثم قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾[البقرة: 253][2].

ومن دلالة الوعيد والتهديد قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ؛ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[التكاثر :3-4] وذِكْر (ثمَّ) في المكرَّر دلالة على أنَّ الإنذار الثاني أبلغ من الأوَّل، وفيه تنبيهٌ على تكرُّر ذلك مرَّة بعد أخرى، وإنْ تعاقَبَت عليه الأزمنة لا يتطرَّق إليه تغيير بل هو مستمرٌّ دائما[3].

(1) ينظر السابق ج3 ص12

(2) ينظر نفسه ج3 ص14

(3) ينظر نفسه ج3 ص17

ومن دلالة التعجُّب قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ؛ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[المدّثر:19-20] فأعيد تعجُّبا من تقديره وإصابته الغرض على حَدِّ قاتَلَهُ اللهُ ما أشجعه![1].

ومِن دلالة تعدُّد المتعلِّق قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[الرحمن:13] فإنَّهَا وإنْ تعدَّدَتْ فكلُّ واحدٍ منها مُتعلِّق بما قبله؛ وإنَّ الله تعالى خاطب بها الثقلين من الإنس والجن وعدَّد عليهم نِعَمَهُ التي خَلَقَها لهم، فكُلَّما ذكر فَصْلا من فُصول النِّعَم طلب إقرارَهُم واقْتَضاهُم الشكر عليه وهي أنواعٌ مختلفة وصُوَر شتى[2].

ت- ترديد الدلالة:

نقْصِدُ به إعادة اللَّفظ أو التركيب مع اختلاف الدالِّ واتِّفاق المدلول؛ ونماذجُ هذا الترديد نجدُها على قِسْمَيْن عند الزركَشيّ؛ قسمٌ يكون فيه طَرَفا الترديد على مسافةٍ قريبة (كذكر التعميم بعد التخصيص أو العكس)، وقسمٌ يكون فيه الطرفان على مسافةٍ بعيدة (كترديد القصص).

١- ترديد التعميم بعد التخصيص أو العكس:

يقول الزركشي: "وقد يرد منه شيء يكون بناؤه بطريق الإجمال والتفصيل؛ بأنْ تتقدَّم التفاصيل والجزئيات في القرآن، فإذا خشي عليها التناسي

(1) ينظر السابق ج3 ص18

(2) ينظر نفسه ج3 ص18

لطول العهد بها بنى على ما سبق بها بالذكر الجملي"[1]. وضرب لذلك مثالا بقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159) فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161)﴾[النساء:155-161]؛ هي سبعُ آياتٍ خمسٌ الأولى من قوله (فَبِمَا نَقْضِهِمْ) وردت بشكل التفصيل، وقوله تعالى من الآية السادسة (فَبِظُلْمٍ) وردت بشكل الإجمال؛ "وقد اشْتَمَلَ الظُّلْمُ على كلِّ ما تقدَّم قبله، كما أنه أيضا اشتمل على كل ما تأخّر من المحرّمات الأُخَر التي عددت بعد ما اشتملت على ذكر الشيء بالعموم والخصوص، فذكرت الجزئيات الأولى بخصوص كل واحد ثم ذكر العامّ المنطوي عليها، فهذا تعميمٌ

(1) السابق ج3 ص15

بعد تخصيص ثم ذكرت جزئيات أُخر بخصوصها، فتركيب الأساليب من وجوهٍ كثيرة في الآية وهو التعميم بعد التخصيص، ثم التخصيص بعد التعميم"[1].

٢- ترديد القصص:

يقول الزركشيّ: "ومنه تكرار القصص في القرآن كقصَّة إبليس في السجود لآدم وقصّة موسى وغيره من الأنبياء، قال بعضُهم: ذكر الله موسى في مائة وعشرين مَوْضعا من كتابه، قال ابن العربي في القواصم: ذكر الله قصّة نُوح في خمس وعشرين آية، وقصّة موسى في سبعين آية.انتهى. وإنما كرَّرها لفائدةٍ خَلَتْ عنه في الموْضع الآخر"[2].

انتقل في أواخر هذا القسم للحديث عن تكرار القَصَص في القرآن، كَقِصَّةِ إِبْلِيسَ فِي السُّجُودِ لآدَمَ، وَقِصَّةِ مُوسَى وَغَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، ووضع فوائدَ انْبَنى عليها تكريرُها، ومن أبرز هذه الفوائد[3] أَنَّهُ إِذَا كَرَّرَ الْقِصَّةَ زَادَ فِيهَا شَيْئًا، وأَنَّ إِبْرَازَ الْكَلامِ الْوَاحِدِ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ وَأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ لا يَخْفَى مَا فِيهِ مِنَ الْفَصَاحَةِ، وأَنَّ التَّكْرَارَ فِيهَا مَعَ سَائِرِ الأَلْفَاظِ لَمْ يُوقِعْ فِي اللَّفْظِ هُجْنَةً وَلا أَحْدَثَ مَلَلا فَبَايَنَ بِذَلِكَ كَلامَ المَخْلُوقِينَ، وأيضا أَنَّهُ أَلْبَسَهَا زِيَادَةً وَنُقْصَانًا وَتَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا لِيَخْرُجَ بِذَلِكَ الكَلامِ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُهُ وَاحِدَةً بِأَعْيَانِهَا فَيَكُونُ

(1) السابق ج3 ص16

(2) نفسه ج3 ص25

(3) ينظر نفسه: ج3 ص25-33

شَيْئًا مُعَادًا فَنَزَّهَهُ عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ، وَمِنْهَا أَنَّ الْمَعَانِيَ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا القِصَّةُ الوَاحِدَةُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ صَارَتْ مُتَفَرِّقَةً فِي تَارَاتِ التَّكْرِيرِ فَيَجِدُ البَلِيغُ – لِمَا فِيهَا مِنَ التَّغْيِيرِ– مَيلا إِلَى سَمَاعِهَا لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ حُبِّ التَّنَقُّلِ فِي الأَشْيَاءِ الْمُتَجَدِّدَةِ الَّتِي لِكُلٍّ مِنْهَا حِصَّةٌ مِنَ الالْتِذَاذِ بِهِ مُسْتَأْنَفَةٌ، وغيرها من الفوائد التي وضَعَها الزركشيّ.

ومـمّا سبَقَ من التمثيلات التي وضعَها الزركشيُّ و تنَوُّعِها وكثرَتِها نجدُه ينظر للتكْرار كمَفْهومٍ واسِعٍ يشمل أساليب ترديدية متنوّعة؛ يبدأ من الأداة كَمَا مثّل لـ (أنْ) في الفائدة الأولى (التأكيد)، والكلِمة كما في لفظة (الحاقّة)، إلى التركيب كآية ﴿فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 13]، إلى القصّة التي أطنَبَ وأغزَرَ في ذِكْر أسبابها وأغراضها وإيراد أقوال العلماء فيها.

وفي ختام هذا الباب نقول أنَّ مُصطلح الترديد عُرف من قديمٍ في كُتب البلاغة العربية إلاَّ أنَّه لم يَسْتَقِرَّ على تعريفٍ ثابت، إذ شَهِدْنا له أربعة مفاهيمَ من القرن الرابع الهجري إلى القرن الثاني عشر من الهجرة؛ وقد اخْتَرْنا منها أعمَّها وأشملَها لغيرها من فُنون البديع التي تمتاز بالوظيفة الترديدية، فكان الترديد في هذا البحث بمعنى كلِّ إعادةٍ وَرَدَتْ في القرآن الكريم بأيِّ شكْلٍ كانت.

ثم حاوَلْنا تتبُّع أنماط الترديد في الدراسات البلاغية والقرآنية، واختَرْنا بعض الدراسات التي تمتاز بالأهمِّية والسَّبْق في طُروق هذه الظاهرة من أيِّ جانبٍ من جوانبها؛ فوَجَدْنا هذه الدراسات تناوَلَتْ هذا المفهوم تحت اسم التكرار، نَظراً لأنَّ بعْضَها أُلِّفَ في وقتٍ لم تأخُذ فيه المصطلحات البلاغية بعدُ مكانها الثابت؛ أو لأنَّ البعض استعمل لفظ التكرار بمعناه اللُّغوي، ولم يهتمّ لمعناه الاصطلاحيّ الذي أقرَّتْهُ كُتب السكاكي والقزويني وما تَبِعَها مِنْ شُروح.

وقد اخْتَلَفَت هذه الدراسات في تطرُّقها لهذا الموضوع، ولكنَّها في أجمعها اتَّفقت على تناول الأساليب الترديدية في كلّ مستوياتها: الحرف، الكلمة، التركيب، والدلالة القريبة والبعيدة.

وأُلِّفَت الدراساتُ القرآنية بالأخصِّ كرُدود على شُبُهات مُثارة حول هذه الأساليب، لذلك كان اهتمامها بالدرجة الأولى هو ردّ الشبهات وليس دراسة الظاهرة، وقد أسهب أصحابها في تمثيلاتهم القرآنية وتحليلها تفسيريا وليس بلاغيا.

الباب الثاني

أساليب الترديد في القرآن الكريم

الفصل الأول : الترديد اللّغوي

الفصل الثاني : الترديد الدلالي

الفصل الثالث : الترديد الإيقاعي

* * *

لقد جاء الترديد في القرآن الكريم على أساليبَ كثيرةٍ، كلُّها أتت لفائدة بلاغية جعلت منها التعبير الأمثل في سياقها الذي وضعت له، بحيث ابتعد الترديد القرآني عن كل مللٍ أو ما شابه ينتابُ السامعَ والقارئ مما قد يعتور كلام البشر، وقد سبق أنْ شرحنا مقصودنا بالترديد على أنه كلُّ ما أعيد من حرف أو كلمة أو تركيب أو معنى؛ وبذلك تتنوَّع أساليبُه وطرُقُه، فالشكل الذي يتردّد بمعناه سواء كان اللّفظَ نفْسَه أومن اشتقاقه أو كان جملةً أعيدت بذاتها أو طرأ عليها تغييرٌ طفيف: كلُّهُ يدْخُلُ تحت مُسَمَّى الترديد اللُّغوي؛ أما الذي يشمَل المضمون دون الشكْل فنطلقُ عليه اسم الترديد الدلالي، وبقي ما يكون على مُستوى الحرف أو الوزن أو العدد، فقد يتردَّد حرفٌ في الكلام بصورة تجعل لهذا التردُّد نصيبا ومساهمة في إضفاء صفة التأثيرية والجمالية على الكلام، ويُشاركه في هذا أيضا تردُّد الوزن بحيث تتطابق الحركات والسكنات على مُسْتوى مَلْحوظ، فيَمْنح هذا الترديد إيقاعا جماليا بديعا، مما سمح لنا أنْ نسمِّيه الترديد الإيقاعي.

وتجدُرُ الإشارةُ أنَّ هاته الأنواعَ في القرآن الكريم – من سورة البقرة إلى سورة الناس – توجَدُ على مُسْتَوَيَيْن؛ فحتى نستطيع أنْ نلْمحَ وقوعَ الترديد لابدَّ أنْ يُشترطَ بين طرفَيْه التقاربُ في بَعْض أساليبه، فالمسْتَوى الأوّل ما تكون فيه أطرافُ الترْديد متقاربة، والمسْتوى الثاني ما تكون أطرافُه متباعدةً ولا يشترط فيها ذلك بالضرورة، إلاّ ربّما ما يكون

مـن ترْديـد القصَـص أو الترديـد الموضـوعي، فطابَعُهـا يفـرِضُ تباعُـدَها بـين سُوَر القرآن.

ودراسـةُ أسـاليب الترديـد الـتي اشْـتَمل عليهـا القـرآن الكـريم تَسْـتلْزِمُ تصـنيفَ كـلّ محـاور النسَـق الترديـدي في البلاغـة، أو الأنمـاط البلاغيـة الـتي جَوْهَرُهـا الوظيفـة الترديديـة، ومحاولـةُ التمثيـل لكـلٍّ منهـا بمـا تـوافر مـن آيات القرآن الكريم، ونذكُر بعض ما فيها من أسرار الجمال ما أمكن ذلك.

وعلى هذا ينقسم الباب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الترديد اللُّغوي.

الفصل الثاني: الترديد الدلالي.

الفصل الثالث: الترديد الإيقاعي.

الفصل الأوَّل

الترديد اللُّغَويّ

المبحث الأوّل: الترديد اللَّفْظي

المبحث الثاني: الترديد التركيبي

* * *

وهو الشكْلُ الذي يتردَّد بالمعنى نفسه، وقدْ يكون هذا الشكْلُ كَلِمةً أُعيدَتْ بذاتها أو بما اشتُقَّ منها، وقد يكون جملةً أعيدت بذاتها أو بأغلب تركيبها، مع اتفاق المعنى في كلّ. وبذلك نَفْصِل بينهما في مبحثين: الأوّل ترديد لفظي يخصُّ الألفاظ، والثاني ترديد تركيبي يخصُّ الجُمل.

المبحث الأول: الترديد اللَّفظي

المطلب الأوّل ـ التَّكْرار:

"وهو عبارة من تكرير كَلِمَة فأكثر باللَّفظ والمعنى لنُكْتة"[1].

ويُعَدُّ أبو هلال العسكريّ (توفي بعد 400هـ) مِنْ أوائلِ مَنْ أدْرَج التكرارَ ضِمْن الإطناب[2]، ومثَّل له بما يتكرّر من الدالّ والمدلول نفْسه من كلمة أو جملة. وبقي المصطلح بهذا المفهوم في كثير من كُتب البلاغة حتى وقتنا الحاضر[3]؛ ولكنَّهم قيَّدوا حُسْنه وجماله بدَوَاعٍ أو نُكَتٍ بلاغية، فمتى جيء

(1) أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم ج5 ص 345، ويُنظر أيضا معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة،كامل المهندس مكتبة لبنان بيروت ط2 1984 ص117

(2) ينظر الصناعتين لأبي هلال العسكري ت البجاوي ومحمد ابراهيم نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه ط2 1971م: ص 199

(3) ينظر منها مثلا علوم البلاغة للمراغي ص 175 ، جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي ص202 ، والبلاغة الاصطلاحية لعبده قلقيلة ص 277 .

بالتكرار من دون داعٍ أو نكتة بلاغيّة كان مجرّداً من قيمته الأسْلوبية وكان كما قال ابن رشيق (463هـ) هو الخذلانُ بعينه[1].

والدارسون موقفهم في إطلاق مُصْطلح "التكرار" على هذه الظاهرة الأسْلُوبية في القرآن على قسمين: منهم مَنْ أقرَّ المصطلح، ومنهم مَن لم يُقرّه ورأى أنه ما دام الطرَفُ الثاني المكرَّرُ قد جاء لفائدة أو غرَضٍ بلاغيّ فليس هو الطرَفُ الأول إذن، وسمَّوْه باسم آخر غير التكرار كالتنويع[2] مثلا، وتغْييرُهم هذا جاء لمِاَ أثاره المغْرِضون من شبُهاتٍ على مُصْطلح التكرار فصار من كثرة طعْنِهم يحْمِلُ ظلالاً لا تليقُ بالبيان القرآني.

ومن القُدامى الذين ابتعدوا نوْعاً ما عن القول بـ "التكْرار" في القرآن وحاولوا في تحليل هذه الظاهرة إثبات أنّ الطرَفَ الثاني غيرُ الأول: فخر الدين الرازي (606هـ) في كتابه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز[3]، والزمخشريّ (538هـ) في تفسيره الكشّاف[4].

---

(1) ينظر العمدة لابن رشيق ج2 ص74

(2) ينظر مثلا كتاب دراسات قرآنية لمحمد قطب، دار الشروق، ص246

(3) ينظر نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخرالدين الرازي ت نصر الله حاجي دار صادر بيروت ط1 2004م ص 246

(4) ينظر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جارالله الزمخشري ت عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي بيروت دط دت مثلا ج2 ص66 – ج3 ص177 – ج3 ص 334

قال الفخر الرازي: "وأمّا سورة (الكافرين) فليس فيها تكرار ..."[1] ، وأخذ الرازي يشرح ويحلّل رأيه في آيات السورة حتى انتهى بقوله: "وليس المعتَبَرُ بتكرار اللَّفظ، لأنا نعلم أنّ الحروف والكَلِمات مُتكرّرة في كلّ كلام، وإنما المعتبَر بالأغراض والمقاصد؛ فربما كان المشتبه في اللَّفظ غير مكرّر في المعنى، وربما كان المتباين في اللفظ مُتكرّرا في المعنى"[2].

فكأنه يجعل التكرار مختصّاً بالمعاني وليس بما تشابه فيه اللَّفظ كما قال؛ وبهذا يشرَح الرازي قصده بالأغراض والمقاصد، فصار لفظ التكرار عند إطلاقه يحمل معنى سلبيا لا ينبغي وصف القرآن به.

وللتكرار أشكال مُتعدِّدة يأتي عليها في الكلام، فهو يشمل الحرف والكلمة والجملة، وقد يتنوَّع تبعا لمواقع أطرافه في الفقرات، فإما أن تتّصل الأطراف في فقرة واحدة، وإما أن تنْفَصل وتقع في الفقرة ذاتها، أو تقع بين فقرات، كما يُلاحظ أيضا أماكنُ تلك الأطراف من تلك الفقرات.

وعليه ارتأينا أنْ نُثبت أشهر هذه التقسيمات:

أوّلاً ـ أنْ يتردَّد اللَّفْظُ مباشرةً دون فاصل بين طرفَيه، ويُسمَّى التكرار المباشر[3]:

---

(1) نهاية الإيجاز ص 247

(2) نفسه: ص 248

(3) ينظر من قضايا الأدب الحديث: محمّد عناني الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر دط 1995: ص 19 ؛ ترجمة: Epizeuxis ، وسماه صاحب معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب بـ "التكرار التوكيدي" بالترجمة نفسها ، ينظر ص 118

ومثاله:

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: 36].

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: 10].

﴿إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً﴾ [الواقعة: 26].

﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:21-22].

ونماذجُ هذا القسم محدودة في القرآن الكريم، جاء الترديد فيها تأكيدا مباشرا لما يدلُّ عليه؛ فتوالي اللَّفظة مُضاعفةً يُكْسِب الدلالة سُرْعة أو كَثْرة أو اهْتِماما، وهذا ما أتَى عليه الترديد في الآيات السابقة: (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ) (السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) (سَلاَماً سَلاَماً) (دَكًّا دَكًّا) (صَفًّا صَفًّا).

ثانيا ـ أنْ يفصِل فاصِلٌ (اسم أو فعل أو حرف) بين الطرَفَيْن، ويُسمَّى التكرار غير المباشر[1]:

ومثاله من القرآن:

﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة :1-3].

﴿كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾ [الهمزة:4-5].

﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ [لقمان:14].

---

(1) ينظر من قضايا الأدب الحديث: محمد عناني ص 19 ترجمة: ploce ، (وهذا غير موجود عند مجدي وهبة صاحب معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب).

وقد اسْتَخْدَمَ القرآن الكريم هذه الترديدات في أحْوالٍ مختلفة، ولكنها تتَّفِقُ في مُضاعفة الدلالة وتقويتها بحَسَب عدد المتردِّدات، وأيضا بحَسَب المسافة بينها، فكُلَّما قَصُرت هذه المسافة كُلَّما كانت قوَّة الدلالة أكبر، والعكس.

ثالثا ـ أنْ تنتهيَ كلُّ فقرة باللَّفظ نفسه، بمعنى أنْ تقع أطراف التكرار في أواخر الفِقَر، ويُسمَّى تكرار النهاية[1].

ومن أمثلته في القرآن:

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:64-66].

﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد:1-2].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)﴾.

(1) ترجمة: Epistrophe ، ينظر من قضايا الأدب الحديث ص 19 ، ومعجم المصطلحات(وهبة) ص 118

هـذه النمـاذجُ تنتهـي آياتهـا بخـواتيم مُتماثلـة، فـإذا قصُـرت الآيات كـان المـتردِّد كلمـة كمـا في المثـالين الثـاني والثالـث؛ وإذا طالـت الآيات كـان المـتردِّد المختتم به أكثر من كلمة واحدة كما في المثال الأوَّل.

فالترديد يفْقِدُ قيمَتَهُ إذا قصُرَت مادَّته وطالَتْ المسافة بين طرَفَيْه، وحتى يَبْقى الترديد له شأنُه ووَقْعُه في الدلالة يجب أنْ تطول مادَّته إذا طالَتْ المسافة بين طرَفَيْه، فلو كانت مادَّةُ الترديد كَلِمَةً واحدة وكانت العبارةُ طويلةً بين الكلمة الأولى والكلمة الثانية المتردِّدة فلا شكَّ أنَّ طُول العبارة يُنسي الطرَفَ الأوَّل لِقِصَرِه.

رابعا ـ إذا ابتدَأَتْ عِدَّةُ فَقَراتٍ مُتَعاقبة باللَّفظ نفسه، فتكونُ أطرافُ الترديد على رؤوس هذه الفَقَرات، ويُسمَّى تكرار الصدارة[1].

ومنه في القرآن:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14)﴾.

---

(1) ترجمة: Anaphora ، ينظر من قضايا الأدب الحديث ص 19 ، ومعجم المصطلحات(وهبة) ص 118

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم:43-45].

هذه البداياتُ التي تتردَّدُ تُشارِكُ في رَبْط دلالاتِ الآيات بعضِها ببعض؛ مثل ذلك المركز الذي تنطلق منه أقطار الدائرة، أو كالنبْع الذي يتفرَّق من عدَّة جهاتٍ إلى سواقٍ.

وبقِيَتْ أقسامٌ أخرى تَسَمَّتْ تبَعاً لمواقع طرَفي الترديد أيضا، وسنُرْجِئُها لمكانها، نظراً لاشتهارها بمصطلحٍ خاصّ في كتب البلاغة.

ومن النماذج القرآنية التي وقع فيها التكرار أيضا:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ [النور:43].

قد يُنتبه لترديد (ثمّ) مرّتين في أوّل الآية، وترديد (مَنْ يشاء) مثلها في آخر الآية، ولكن قد يذهب عن السمع والبصر ما تردّد أربع مرّات؛ وهو حرف الجرّ (مِن) : (من خلاله)، (من السماء)، (من جبال)، (من برَد)؛ ترديدٌ يعطي المعنى تسلسلا وترتيبا منظما، ويأخذُ القارئَ بنظمه وسلاسته عن أن ينتبه له.

ومن الأمثلة أيضا:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِمَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل : 110].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل : 119].

وهذا من نوع التكرار غير المباشر: فالظاهرُ من النظر في الآيتين تكرار (إنّ) فيهما، وكان يقتَضي الاكتفاء بـ (إنّ) الأولى ولم يُطلَبْ إلا خبرُها، وهو (لغفور رحيم)؛ لكنْ أُعيدَتْ (إنّ) مرّة أخرى، والسبب هو طولُ الفصْل بين (إنّ) الأولى وخبرها؛ وهذا أمرٌ يُشعِر بتنافي الغرَض المسُوقة من أجْلِه (إنّ) وهو التوكيد[1].

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ﴾ [الرعد : 5].

وهذا من نوع تكرار الصدارة: تكرَّرَتْ (أولئك) ثلاث مرات؛ ولم تزدْ هذه الكلِمة المكرّرة مع ما جاوَرَها إلا حُسْناً ورَوْعة؛ فالأولى والثانية: تُسجّلان حُكماً عاماً على منكري البعث: كُفْرُهم بربهم وكَوْنُ الأغلال في أعناقهم؛ والثالثة: بيانٌ لمصيرهم المهين، ودخولهم النار، ومُصاحبتهم لها على وجه الخلود الذي لا يُعقبه خروج منها؛ ولو أُسْقِطت (أُولئكَ) من الموضِعَيْن الثاني والثالث

(1) ينظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج3 ص14

لأصبَحت الواو الداخلة على: (الأغْلالُ في أعْنَاقِهِمْ) واو حال، وأصبَحَت الواو الداخلة على: (أصْحَابُ النارِ هُمْ فيهَا خَالِدُونَ) عاطفة عطفاً يضعُفُ معه المعنى، لذلك حَسُن موضعُ التكرار في الآية لما فيه من صحّة المعنى وتقويته[1].

ومنها: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ،وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم:48-49].

فقوله: (مِنْ قَبْلِهِ) بعد قوله: (مِنْ قَبْلِ) فيه دلالةٌ على أنّ عهدهم بالمطر قد بعُد وتطاول، فاستحكم بأسُهم، وتمادى إبلاسُهم، فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك[2].

(1) ينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم المطعني مكتبة وهبة مصر ط1 1992م: ج1 ص324

(2) ينظر المثل السائر: ابن الأثير ج3 ص11

المطلب الثاني ـ المشاكلة:

"ذكرُ الشيء بلَفْظِ غيره لوُقوعِه في صُحْبته تحقيقاً أو تقديرا"[1].

واختيارُ التسْمِية على هذا النحْو يرمُزُ إلى المصاحبة بين الدَّوال في الظاهر، وبين المدْلولات في الباطِن، وقد تأتي هذه المصاحَبة ظاهرةً أحيانا ومُقدَّرة أحْيانا أخرى.

وهو قِسْمان:

أوّلا – المشاكلة التحقيقية: وهو أنْ يتصاحبَ طرَفَا الترْديد معاً داخل التركيب. ومن نماذجه:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 193].

قال الفرَّاء: "فإنْ قال قائل: أرأيت قوله «فَلا عُدْوانَ إلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ» أعدوانٌ هو وقد أباحه اللَّه لهم؟ قلنا: ليس بعُدوان في المعنى، إنما هو لفظٌ على مِثْلِ ما سبَقَ قبله –[أي قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة:190)]– ألا ترى أنه قال: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:194]، فالعدوان من المشركين في اللَّفْظِ ظُلْمٌ في المعنى، والعدوانُ الذي أباحه اللَّه وأمَرَ به

(1) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني دار الكتب العلمية بيروت دط دت ص360 ، أو ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة،كامل المهندس ص365

المسلمين إنما هو قصاص، فلا يكون القصاص ظلْما، وإنْ كان لَفْظُه واحدا"[1].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 54].

والأصل: أخذَهُم بمكْرِهم. وَمَكْرُ اللَّهِ بِهِمْ هُوَ تَمْثِيلٌ لإِخْفَاقِ اللَّهِ تَعَالَى مَسَاعِيَهُمْ فِي حَالِ ظَنِّهِمْ أَنْ قَدْ نَجَحَتْ مَسَاعِيهِمْ، وَهُوَ هُنَا مُشَاكَلَةٌ[2].

ومثله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: 116].

والأَصْلُ: تعلم ما في نفْسي ولا أعلَمُ ما عندك، فإنّ الله – عزّ وجلّ- لا يُستَعْمَلُ في حقّه لفظ النفْس، إلاّ أنها استُعْمِلَتْ هنا مشاكلةً لما تقدَّم من لفظ النفْس[3].

وكقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: 40].

فالجزاء عن السيّئة في الحقيقة ليس سيئة، والأصل: وجزاء سيئة عُقوبة مثلها.

فليس المراد بالسيئة ضدَّ الحسنة الشرعية، وإنما المرادُ جزاء من عَمِل ما يسوءُ غيرَه أنْ يُعامَل بما يسوءُه، فسمَّى المباح سيئةً لمقابلته للسيئة[4].

---

(1) معاني القرآن: الفراء ت أحمد يوسف،محمد علي،عبد الفتاح اسماعيل دار المصرية مصر دط دت ج1 ص116

(2) ينظر تفسير التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور الدار التونسية تونس 1984 دط ج3 ص256

(3) ينظر خزانة الأدب وغاية الأرب: الحموي ج2 ص252

(4) ينظر كشف المعاني في المتشابه من المثاني: بدر الدين بن جُماعة ت عبد الجواد خلف دار الوفاء المنصورة ط1 1990م: ص330

ثانيا – المشاكلة التقديرية:

وهو أنْ يُذكر طرف الترديد الثاني فقط، فتكون المصاحَبَةُ واقعةً في الذهْن، بحيْثُ يجْمَعُ العقْلُ بين الطرفَيْن ويُقدِّرها في الجملة، ويكون الترديد تقديريا في الباطن.

وممّا ورَدَ في القرآن:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة:138].

وإنما قيل (صِبْغَةَ اللَّهِ) لأن بعض النصارى كانوا إذا وُلد المولودُ جعلوه في ماءٍ لهم، يجْعَلُون ذلك تطهيرا له، فجاء الأمر (صِبْغَةَ اللَّهِ) وهي الختانة، أسوةً باختتان إبراهيم عليه السلام، يأمر بها محمَّدا صلّى الله عليه وسلم، فجرَتْ الصبغة على الختانة في مُقابل صبغة النصارى أولادَهم بغَمْسِهم في الماء[1].

فلفظُ (الصبغة) لم يتَقَدَّم في الحقيقة وإنما تقدَّمَ مَعْناه وهو الحالة المعروفة في النصارى عند الولادة.

وهذا النوْع يُعدُّ من الأساليب الترديدية الخاصَّة، التي نستطيع أنْ نُدْخِلَها ضمن قسم خاصٍّ بها نُسمِّيه الترديد التقديري؛ إذ لا وجود في العبارة إلاَّ للفظٍ واحد؛ أما الترديد فيقعُ في الذهن وليس في الكلام.

فهو ترديد وغير ترديد، أسلوبٌ يجْمَعُ بين الإيجاز المحقَّق والترديد المقدَّر، فيُفرز دلالةً مُركَّزةً تُحدِثُ تأثيرها المرْجُوَّ في المتلقِّي.

---

(1) ينظر معاني القرآن: الفراء ج1 ص82

المطلب الثالث ـ التصدير:

ويُسمَّى أيضا: ردُّ العَجُز على الصّدْر.

وهو "أن يُجْعَلَ أحدُ اللَّفْظيْن المكرَّرَيْن أو المتجانِسَيْن أو الملْحَقَيْن بهما في أوَّل الفقرة، والآخرُ في آخرهما"[1].

والترديد هنا ملحوظٌ على مستوى البناء الشكلي والدلالي، وطبيعة البُعد المكاني المتوسِّط للَّفظتين هو الذي أفضى إلى نسَق التصدير، فكأنّ الأسلوب الترديدي هنا لابدّ أنْ يتوفَّر فيه مسافةٌ متوسّطة في الدلالة تسْمَحُ للطرَف الثاني أنْ يستقرَّ بعد هذه المسافة من الطرف الأوّل.

ومن أنواعــه:

ـ أنْ يكون الطرفان مكرَّريْن: كقوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ﴾ [الأحزاب: 37].

ــ أنْ يجمعَهُما الاشتقاق: كقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ [نوح : 10].

وقد قسَّمَ ابنُ أبي الإصبع في كتابه تحرير التحْبير هذا اللَّوْنَ البلاغي إلى أقسام حسب موقع الطرَف الأول، لأنّ الطرَفَ الثاني عنده ثابتٌ في آخر الفقرة

(1) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني ص 399 ، أو ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة،كامل المهندس ص176

الثانية، أمّا الطرفُ الأوّل فقد يقعُ في آخر الفقرة الأولى وسمّاه تصدير التقفية، أو في أوّلها وسمّاه تصدير الطرَفَيْن، أو الحشو وسمّاه تصدير الحشو[1].

أوّلا – تصدير التَّقْفِية:

الطرَفُ الأول في آخر الفقرة الأولى، والطرَفُ الثاني ثابتٌ في آخر الفقرة الثانية.

مثاله: قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى؛ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16].

﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ؛ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ [النساء: 166].

ثانيا – تصدير الطرَفَيْن:

الطرَفُ الأوَّل في أوَّل الفقرة الأولى، والطرَفُ الثاني ثابتٌ في آخر الفقرة الثانية.

مثاله: قَوْله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195].

﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: 8].

ثالثا – تصدير الحشو:

الطرَف الأوَّل في حشو الفقرة الأولى، والطرَف الثاني ثابت في آخر الفقرة الثانية.

---

(1) ينظر تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر: لابن أبي الإصبع ص 117

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنعام:10][الأنبياء:41].

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء:21].

هذا الأسلوب له ثلاث حالات بحسَب مَوْقع الطرَف الأوَّل فيه؛ لأنَّ الطرَف الثاني مُستقرٌّ في مكانٍ ثابت، فتتبايَنُ المسافة بينها قُرْبا وبُعْدا، وجماليته تكْمُن لمآّ يصل المتلقِّي لهذا الطرف الثابت فعندها مباشرة يستحضر ذهنه الطرف المتحرّك، ويتجلَّى الترديد بطرَفَيْه ويتجلَّى تأثيره.

المطلب الرابع ـ تشابُه الأطراف[1]:

"أنْ يُعيدَ الناثرُ سَجْعة القرينة الأولى في أوَّل القرينة التي تليها"[2].

وكثيرٌ من الأمثلة التي مثَّلوا بها لهذا النوع مثَّلوا بها لما اصطُلح عليه باسم الترديد أيضا عند بعضهم.

ومن النماذج القرآنية:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: 35].

قال ابن أبي الإصبع بعد ذكره للآية: "فالْحَظْ تشابُهَ أطرافَ هذه الجُمَل، لتقْدُرَ هذا النظمَ قدرَه"[3].

إنّ النمَط التعبيريّ هنا يرتكز على ترديد لفظة من التركيب الأوّل في الثاني، ومن الثاني في الثالث، فالترديد هنا يتلازم بين الختام والابتداء.

---

(1) جعَلَ الخطيبُ القزويني هذا المصطلحَ لنوْعٍ يدخُل في مراعاة النظير (ينظر الإيضاح: ص 356) ، وتابعه في ذلك صاحبُ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (ينظر ص98). وتعريفهم لا ينطبق عليه مرادنا في البحث،إلاّ أن صاحب معجم المصطلحات وضع للنوع الذي نقصده مصطلح: تماثل النهاية والبداية (ينظر ص119)

(2) أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم ج3 ص45

(3) بديع القرآن: ابن أبي الإصبع ت حفني محمد نهضة مصر للطباعة والنشر دط دت ص 230

ومن الواضح أنَّ هذا الأسلوبَ الترديدي لا يعْتَمِد على توقُّع القارئ، وإنما يعْتَمِدُ على مُفاجأته ببدْءٍ يتَّفِقُ مع الختام، ومن المفاجأة يتمُّ إحْداثُ الأثَرِ الأسلوبي على مُسْتوى الدلالة ومستوى الإيقاع الصوتي[1].

ومن النماذج أيضا:

﴿وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: 124].

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة : 108].

﴿وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم :6-7].

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر :36-37].

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا، قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان:15-16].

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق:1-2].

---

(1) ينظر بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي: محمد عبد المطلب دار المعارف ط2 1995 ص116

﴿كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق:15-16].

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر:2-3].

في كلّ هذه النماذج نجد كَلِمَتَيْن تردَّدَتْ كلٌّ مِنْهُما في فِقْرتين مُتواليَتَيْن، في آخر الأولى وفي أوَّل الثانية؛ وهذا الأسلوب الترديدي لا يوجدُ بين طرَفَيْه مسافة فاصلة وإنْ كان كلُّ طرَفٍ في فقرة مُغايرة؛ لأنَّهما إنْ كانا من فقرة واحدة فهو التكرار؛ فلاختلاف الفقرات واختفاء المسافة كان أثر هذا الأسلوب هو مفاجأة المتلقّي؛ بحيث يُنهي الفقرة الأولى بلَفْظٍ ثمّ يتهيَّأ لبداية الفقرة الثانية فإذا باللَّفظ نفسه الذي ختم به منذ وَهْلة؛ هذه الحالة التي يَفْرِضُها الأسلوب على المتلقِّي تستثيره وتجعَلُهُ يتوقَّف عنده.

المطلب الخامس ـ الإرصاد:

ويُسمَّى أيضا التسْهيم، ويُسمَّى التوشيح عند بعضهم.

وهو: "أنْ يُجْعَلَ قبل العجُز من الفقرة أو البيت ما يدلُّ على العجُز إذا عُرف الرويّ"[1].

ومن النماذج:

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 19].

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 40].

فالطبيعة الترديدية واضحةٌ في هذا النوع، حيث يحتوي الكلامُ ما يدلُّ على آخره؛ والنظرُ إلى السياق يؤدّي إلى وجود توقُّع يُشارك به المتلقِّي في الكلام، ويُساهم في تكوين هذا التوقُّع ما يحقِّقه الطرف الأول لهذا الترديد.

وقد جعل صاحب الطراز هذه الآية ﴿هَلْ جَزاءُ الإِحْسانِ إِلاَّ الإِحْسانُ﴾ [الرحمن: 60] من هذا الباب فقال أنّ السامع إذا وقف على قوله (هل جزاء الإحسان) تحقَّقَ لا محالةَ أنَّ ما بعدَهُ قوله (إِلا الإِحْسانُ) لما في ذلك من الملائمة وشِدّة التناسب، "ومثل هذا محمودٌ في الكلام كلّه نثره، ونظمه،

(1) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني ص 359 ؛ أو ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة،كامل المهندس ص24

وهو في كتاب الله تعالى أكثرُ من أن يحصى، وما ذاك إلا لأنّ خير الكلام ما دلّ بعضه على بعض، وأحقُّ الكلام بهذه الصفة هو كلام الله، فإنّه البالغ في الذروة العليا من الفصاحة في ألفاظه، والبلاغة في معناه"[1].

ومن أمثلته أيضا:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: 41].

﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [الواقعة: 64].

هذا الأسلوب تكمُنُ جماليته في توقُّعه، فالطرف الأول يكون كإشارة دالَّة على الطرَف الثاني، بحيث إذا مرَّ الذهن على الأوَّل يجعله في حالة تحْفِيز حتى وُصوله إلى الثاني؛ وبما جُبِلَتْ عليه النفس من حُبّ تحقيق توقُّعها فإنَّ أسلوب الإرصاد يصل بها إلى هذه الغاية. وليس من فرْقٍ بين الأسلوبين الإرصاد والتصدير إلاَّ في خاصية التوقُّع.

(1) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: العلوي ج2 ص169

المطلب السادس ـ العكس:

ويُسمَّى أيضا التبديل.

"وهو أنْ يُقدَّمَ في الكلام جُزْءٌ ثمَّ يُؤخَّر"[1].

يمثِّلُ العكْسُ في الحقيقة ازدواجَ حرَكة الدلالة في شكْل محسُوس، فالنظرُ إلى الشكْل التجريديّ لخطّ الدلالة يكشِفُ عن حرَكةٍ تقدُّمية للأمام وُصولا إلى نقطة التوقُّف، ويقتضي أنْ نلاحظَ وجودَ مُنْعَطفاتٍ تُصيب العمَلية اللُّغوية، وهذا يترتَّبُ عليه بالضرورة نمطاً تعْبيريا يتوافقُ معها، ومنْها ما يكونُ أحيانا تراجُعاً دلاليا تتبعُهُ عمليةٌ تراجعية في الصياغة أيضا[2].

ومن النماذج القرآنية:

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: 187].

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: 27].

العكْسُ في الكلام له هدَفٌ قاصد إلى تمكين المعاني وتقرير الأغْراض، فالآية الأولى تؤكِّدُ المساواة في الحُكْم، والثانية تُقرِّر القدرة، فإنَّ كُلاًّ من جُمْلتي الآية الثانية اللَّتين وقَعَ بهما ترديد العكس- فيه التقرير والتأكيد لإثبات القُدْرة على كمال التصرُّف في الأضْداد، لأنّ كثيرا منا قد يقْدِر على الفعل دون

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني ص 362 ؛ أو ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة،كامل المهندس ص251

(2) ينظر بناء الأسلوب في شعر الحداثة: محمد عبد المطلب ص 321

عكسه، فيكون ذلك نقصاً في قُدرته، وهذا يدلُّ عليه صدرُ السياق: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26].

ومن النماذج أيضا:

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: 52].

﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف:27-28].

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2].

﴿لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: 10].

فترديد العَكْس يُحْكِمُ كلَّ جوانب المعنى، بحيث لا يدَعُ للذهن أيَّ مجالٍ للشكّ أو الاستنتاج، يأخُذ طرَفُه الأوَّل بنصف الدلالة، ويرجع الطرف الثاني بالنصف الثاني؛ فما تنتهي الفقرتان إلاّ وقد استحكم الترديد كلّ أبعادها.

المطلب السابع ـ السلْبُ والإيجاب:

"وهـو أنْ تبْنِـيَ الكـلامَ علـى نفْـي الشـيْء مـن جهـة، وإثباتِـه مـن جهـةٍ أخرى، أو الأمر به في جهة، والنهي عنه فى جهة"[1].

وهو مدلولُ طباق السلْب الذي عرَّفه القزوينيّ: "الجمعُ بين فعلي مصدرٍ واحدٍ مُثبت ومنفيّ، أو أمر ونهي"[2].

ومن النماذج القرآنية:

﴿فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: 44].

﴿وَعْـدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِـفُ اللَّهُ وَعْـدَهُ وَلَكِـنَّ أَكْثَـرَ النَّـاسِ لاَ يَعْلَمُـونَ، يَعْلَمُـونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم :6-7].

﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾ [الإسراء : 23].

﴿الَّـذِينَ يُظَـاهِرُونَ مِـنكُم مِّـن نِّسَـائِهِم مَّـا هُـنَّ أُمَّهَـاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَـاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِـي وَلَـدْنَهُمْ وَإِنَّهُـمْ لَيَقُولُـونَ مُنكَـراً مِّـنَ الْقَـوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُـوٌّ غَفُـورٌ﴾ [المجادلة:2].

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة:5].

---

(1) الصناعتين: أبو هلال العسكري ص 421

(2) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني ص 350

وترديد اللّفظِ مع اتحاد الصيغة أو اختلافها ظاهرٌ في هذا اللوْن، والمعنى بأصل المادّة واحد؛ وإنما طرَأ عليه الاختلافُ من خارج هذا الأصْل بدخول أداة النفي أو النهي مع اختلاف الصيغة أحْيانا.

والسلْبُ والإيجاب ممَّا يتأكَّدُ به المعنى المقصُود: مدْحا، أو ذمّا، أو غيرهما.

ففي الآية الأولى: ﴿فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة : 44].

يؤَكِّدُ مدلولَ الأمر بخشية الله مدلولُ النهي عن خشية الناس، لأنّ الخشية أمر ثابتٌ، فإذا صرفها بالنهي عن الناس لزم أنْ تتّجهَ إلى المقابل الذي أكّده بجُملة الأمر، وفي هذا التأكيد تعريضٌ بخطأ المخاطَبين وتصحيحٌ لما يجب أنْ يكون.

وفي الآية الثانية: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:6-7].

فائدةُ الاحتراس مِنْ شكٍّ جاهلٍ بالمراد، وتحقيق لمفهوم العلم المنفيّ منهم، فالمثبت لهم كالاستثناء المؤكّد للغرض، فهو أبلغ مما لو قيل: ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون إلاّ ظاهرا من الحياة الدنيا، لأنّ الدلالةَ بجملةٍ مستقلّةٍ عن العلم المنفيّ هو تنزيلٌ للعلم منزلة العدَم لعدم الاعتداد به، واستئناف الدلالة بجملة مستقلّة بالعلم المثبت يُشبه السكتة بين الجملتين، فيه إغناء السائل أنْ يسأل،

وإشباعٌ له بعد التطلُّع بالجواب، مع ما في الطباق من إيهام اجتِماع الضدّيْن في محلّ واحد، وما في الترْديد من قيمة صوتية[1].

(1) ينظر التكرير بين المثير والتأثير: عز الدين السيد عالم الكتب بيروت ط2 1986م: ص252

المطلب الثامن ـ المراجَعة:

ويُسمَّى السؤال والجواب، ويُسمَّى أيضا الترْجيع.

"وهو أنْ يحْكيَ المتكلِّمُ مراجَعةً في القول جرَتْ بينه وبين مُحَاوِرٍ له في الحديث، أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة، وأبلغ إشارة، وأرشق محاورة، وأعدل سبْكٍ وأسهله، وأعذب ألفاظ وأجزلها، إما في بيت واحد أو أبيات، أو جملة أو جمل"[1].

فالمراجعة حاصلةٌ بترديد ألفاظ (القول)، وهي تمتدّ إلى خارج حدود الجملة الواحدة.

ومن الشواهد القرآنية:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124].

الترديد يتمثل في لفظة (قال) بحيث تشكّل فواتح ترديدية تزيد في ترابط التراكيب التي تفتتح بها، وتنظم عناصر الحوار القرآني في تناسُق ووحدة.

ومن التمثيلات أيضا:

﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ، قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ، قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ، قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ، قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الأنبياء:52-56].

---

(1) بديع القرآن: ابن أبي الإصبع ص 300

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ، قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون:112-114].

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل:44].

وهذا النوْع يُشبه ما ذكرناه سابقا باسم تكرار الصدارة، إلاَّ أنَّ ترديد المراجعة مختصٌّ بألفاظ القول خاصّة بكلّ اشتقاقاتها، أمّا تكرار الصدارة فيشترط تماثل أطرافه. وغرَضُ الأسلوبين واحد يتمثّل في سبك الجمل والعبارات في وحدة ولُحمة، حتى كأنها جملة واحدة، كما تشدّ هذه الأطراف المتردّدة ذهن الملقّي وتجعله في حالة يَقَظةٍ وانتباه حتى يستوفي المعنى كلّه.

المبحث الثاني: الترديد التركيبي

المطلب الأوّل – الترديد التركيبي التامّ:

هذا النوْعُ يرِدُ في القرآن الكريم كثيرا، منه ما يكون مرّتين ومنه ما يكون أكثر من ذلك، والغرَضُ العامّ الذي وَظَّفَتْ له آياتُ القرآن هذا الأسلوبَ هو التأكيد والتقرير، مع ما قد يُضافُ من أغراض أخر يختصُّ بها كلّ نصّ قرآني عن الآخر.

ومن السور القرْآنية التي ورَدَتْ فيها هذه الظاهرة الأسلوبية بارزةً جليّة بنسبةٍ أكثر من غيرها:

سورة الرحمن: تردَّدَتْ فيها الآية ﴿فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرّة.

وسورة المرسلات: تردَّدَتْ فيها الآية ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرّات.

وسنكتفي بهاتين الآيتين كنموذج واضح يبيّنُ جمالية هذا الترديد:

أوّلا – ترديد الآية في سورة الرحمن:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9)

وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (18)﴾ إلى آخر سورة الرحمن.

فسَّر الشيخُ الطاهر بن عاشور (المتوفى:1393هـ) آية الترديد الأولى، فابتدأ بشرْح الآلاء أنّها النِّعَمُ جَمْعُ إِلْيٍ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ اللامِ، وَأَلْيٍ بِفَتْحِ الهَمْزَةِ وَسُكُونِ اللامِ وَيَاءٍ فِي آخِرِهِ وَيُقَالُ أَلْوٌ بِوَاوٍ عِوَضُ اليَاءِ وَهُوَ النِّعْمَةُ.

وَضَمِيرُ الْمُثَنَّى فِي (رَبِّكُما تُكَذِّبانِ) خِطَابٌ لِفَرِيقَيْنِ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ بِالْقُرْآنِ، خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ الَّذِينَ يَنْقَسِمُ إِلَيْهِمَا جِنْسُ الإِنْسَانِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ:

﴿خَلَقَ الإِنْسانَ﴾ [الرَّحْمَن: 3] وَهُمُ الْمُخَاطِبُونَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ﴾ [الرَّحْمَن: 8] ، وَالْمُنْقَسِمُ إِلَيْهِمَا الأَنَامُ الْمُتَقَدِّمُ ذِكْرُهُ، أَيْ أَنَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ لا يَجْحَدُهَا كَافِرٌ بَلْهَ الْمُؤْمِنُ، وَكُلُّ فَرِيقٍ يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الاسْتِفْهَامُ بِالْمَعْنَى الَّذِي يُنَاسِبُ حَالَهُ.

وَالْمَقْصُودُ الأَصْلِيُّ من الآية هو التَّعْرِيضُ بِالْمُشْرِكِينَ وَتَوْبِيخهمْ عَلَى أَنْ أَشْرَكُوا فِي الْعِبَادَةِ مَعَ الْمُنْعِمِ غَيْرَ الْمُنْعِمِ، وَالشَّهَادَةُ عَلَيْهِمْ بِتوْحِيدِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالتَّكْذِيبُ مُسْتَعْمَلٌ فِي الجُحُودِ وَالإِنْكَارِ[1].

(1) ينظر التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور ج27 ص243

وفي آية الترديد الثانية حدَّدَ الغرَضَ الأساسيّ من وراء هذا الأسلوب أنه تَوْبِيخٌ عَلَى عَدَمِ الِاعْتِرَافِ بِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى، جِيءَ فِيهِ بِمِثْلِ مَا جِيءَ بِهِ فِي نَظِيرِهِ الَّذِي سَبَقَهُ لِيَكُونَ التَّوْبِيخُ بِكَلامٍ مِثْلَ سَابِقِهِ، وَذَلِكَ تَكْرِيرٌ مِنْ أُسْلُوبِ التَّوْبِيخِ وَنَحْوه أَنْ يَكُونَ بِمِثْلِ الْكَلامِ السَّابِقِ، فَحَقُّ هَذَا عند الشيخ ابن عاشور أَنْ يُسَمَّى بِالتَّعْدَادِ لا بِالتَّكْرَارِ، لأَنَّهُ لَيْسَ تكريرا لِمُجَرَّدِ التَّأْكِيد، فالفاء من قَوْلِهِ: فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما هُنَا تَفْرِيعٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرَّحْمَن: 17]، لأَنَّ رُبُوبِيَّتَهُ تَقْتَضِي الِاعْتِرَافَ لَهُ بِنِعْمَةِ الإِيجَادِ وَالإِمْدَادِ وَتَحْصُلُ مِنْ تَمَاثُلِ الجُمَلِ المُكَرَّرَةِ فَائِدَةُ التَّأْكِيدِ وَالتَّقْرِيرِ، وَفَائِدَةُ التَّكْرِيرِ تَوْكِيدُ التَّقْرِيرِ بِمَا لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ نِعَمٍ عَلَى المخاطبين وتعريض بتوبيخهم على إشراكهم بِاللَّهِ أَصْنَامًا لا نِعْمَةَ لَهَا عَلَى أَحَدٍ، وَكُلُّهَا دَلائِلُ عَلَى تَفَرُّدِ الإِلَهِيَّةِ [1].

إنّ هذا الترديد الوارد في السورة هو أكثر صُوَر الترديد التركيبي الوارد في القرآن على الإطلاق، وقد مهَّدَ له تمهيداً رائعاً حيث جاء بعد اثنتي عشرة آية متحدّة الفواصل؛ وقد تردّدَتْ في هذا التمهيد كلمة (الميزان) ثلاث مرات متتابعة دونما نبوّ أو ملل:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [7-9]، وهذا التمهيدُ قدْ أشاع - كذلك - لحناً موسيقياً عذباً كان بمثابة مقدّمة طبيعية لتلائم صُوَر التكرار ولتألَفها النفس

(1) ينظر السابق ج27 ص246

وتأنَس بها فلا تهجُم عليها هجوماً لأن القرآن قد راعى في فواصل المقدمة التمهيدية ما انبنَتْ عليه فواصل الآية المكرّرة[1].

والذي يغلِبُ على هذه السورة هو طابَع تعداد النعَم ، لأنّ آية (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) جاءتْ بعد كلِّ نِعَمٍ يُعدِّدها الله، ومن جهةٍ أخرى فيها معنى الإنْكار والتوبيخ لأنّ تعداد النِعَم والآلاء من الرحمن تبكيتٌ لمن أنكرَها كما يُبكَّت مُنْكِر أيادي النعَم عليه من الناس بتَعْديدها له[2].

وغرَضٌ آخر ذكره الزركشيّ في حديثه عن هذه الآية، قال أنّ التكرار هو لِتَعَدُّدِ الْمُتَعَلِّقِ، فَإِنَّهَا وَإِنْ تَعَدَّدَتْ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ بِهَا الثَّقَلَيْنِ مِنَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ وَعَدَّدَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ الَّتِي خَلَقَهَا لَهُمْ فَكُلَّمَا ذَكَرَ فَصْلا مِنْ فُصُولِ النِّعَمِ طَلَبَ إِقْرَارَهُمْ وَاقْتَضَاهُمُ الشُّكْرَ عَلَيْهِ وَهِيَ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ وَصُوَرٌ شَتَّى.

وأجاب الزركشيّ على ما قد يقَعُ من إشكالٍ في بعض الآيات التي تبدو في ظاهِرِها أنها ليسَتْ من النعم، ومع ذلك أُعقِبَتْ بآية الترديد – آية النعم – مثل قوله تعالى:

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [35-36].

(1) ينظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم المطعني ج1 ص 329

(2) ينظر خزانة الأدب وغاية الأرب: الحموي ج1 ص362

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [41-42].

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [43-45].

فقال أنَّ نِعَمَ اللَّهِ فِيمَا أَنْذَرَ بِهِ وَحَذَّرَ مِنْ عُقُوبَاتِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ لِيَحْذَرُوهَا فَيَرْتَدِعُوا عَنْهَا نَظِيرُ أَنْعُمِهِ عَلَى مَا وَعَدَهُ وَبَشَّرَ مِنْ ثَوَابِهِ عَلَى طَاعَتِهِ لِيَرْغَبُوا فِيهَا وَيَحْرِصُوا عَلَيْهَا وَإِنَّمَا تَتَحَقَّقُ مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ بِأَنْ تَعْتَبِرَهُ بِضِدِّهِ[1].

(1) ينظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج3 ص18

ثانيا – ترديد الآية في سورة المرسلات:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا (1) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (2) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (3) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (4) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (5) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (6) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (7) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (8) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (9) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (10) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (11) لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (12) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (13) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (14) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (15) أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ (17) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (18) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (19)﴾ إلى آخر سورة المرسلات.

في تفسير الآية الأولى ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [15] يقول الشيخ ابن عاشور أنها اسْتِئْنَافٌ لِقَصْدِ تَهْدِيدِ المُشْرِكِينَ الذِينَ يَسْمَعُونَ القُرْآنَ، وَتَهْوِيل يَوْمِ الفَصْلِ فِي نُفُوسِهِمْ لِيَحْذَرُوهُ، وَهُوَ مُتَّصِلٌ فِي المَعْنَى بِجُمْلَةِ ﴿إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ﴾ [7] اتِّصَال أَجْزَاءِ النَّظْمِ، فَمَوْقِعُ جُمْلَةِ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ابْتِدَاءُ الكَلامِ، وموقع جملة ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [8] التَّأَخُّرُ، وَإِنَّمَا قُدِّمَتْ لِتُؤْذِنَ بِمَعْنَى الشَّرْطِ؛ وَقَدْ حَصَلَ مِنْ تَغْيِيرِ النَّظْمِ عَلَى هَذَا الوَجْهِ أَنْ صَارَتْ جُمْلَةُ (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) بِمَنْزِلَةِ التَّذْيِيلِ، فَحَصَلَ فِي هَذَا النَّظْمِ أُسْلُوبٌ رَائِعٌ، وَمَعَانٍ بَدَائِعُ. وَبَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ جَعَلَ هَذِهِ الجُمْلَةَ جَوَابَ (إِذَا) أَيْ يَتَعَلَّقُ (إِذَا) بِالاسْتِقْرَارِ الَّذِي فِي الخَبَرِ وَهُوَ لِلْمُكَذِّبِينَ؛ وَالتَّقْدِيرُ: إِذَا حَصَلَ كَذَا وَكَذَا حَلَّ

الوَيْلُ لِلْمُكَذِّبِينَ وَهُوَ كَالبَيَانِ لِقَوْلِهِ: إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ، فَيَحْصُلُ تَأْكِيدُ الْوَعِيدِ...

وَالوَيْلُ: أَشَدُّ السُّوءِ وَالشَّرِّ؛ وَعَلَى الوَجْهِ الأَوَّلِ يَكُونُ المُرَادُ بِالمُكَذِّبِينَ: كَذَّبُوا بِالقُرْآنِ، وَعَلَى الوَجْهِ الثَّانِي فِي مَعْنَى الجُمْلَةِ: جَمِيعُ الَّذِينَ كذبُوا الرُّسُل وَمَا جاءوهم بِهِ؛ وَبِذَلِكَ العُمُومِ أَفَادَتِ الجُمْلَةُ مفَادَ التَّذْيِيلِ، وَيَشْمَلُ ذَلِكَ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ وَالبَعْثِ إِذْ هُمُ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ المَوَاعِظِ وَهُمُ المُوَجَّهُ إِلَيْهِمْ هَذَا الْكَلامُ، فَخُوطِبُوا بِقَوْلِهِ: إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ[1].

والملاحظ أنَّ أوّلُ السورة اشتمَلَ على فقرتين من الآيات، كلُّ فقرة لها خاتمتها الخاصّة بها:

الفقرة الأولى: ﴿وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا، وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا، فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا، فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا، عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [1-6]؛ خُتِمَتْ بخاتمة تُحِسّ لها وقْعاً جماليا في السمع والقلب: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ [7].

والفقرة الثانية هي: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ، وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ، وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ، لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ، لِيَوْمِ الْفَصْلِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [8-15].

وهذه الفقرة تتكوّن من شرْطٍ متعدّد يتحدَّثُ عن مقدّمات وأهوال القيامة؛ ومن استفهام يُعدّ مَدْخلاً لحقيقة هامّة يقودُنا إلى التوصُّل إلى مصير المكذّبين يوم الدين، ومن جوابِ هذا الاستفهام الذي اشتَمَلَ على كلمة (يوم

(1) ينظر التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور ج29 ص427

الفصل): ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ، لِيَوْمِ الْفَصْلِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [12-15]، ونتأمَّل هذا التمهيدَ الحكيم الذي مهَّد القرآن به للآية الأخيرة حتى لكأنّها هي المقصودة، ثم تردّدت هذه الآية: (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) عشر مرات بعد هذه المرّة وهي في كلّ مواضِعِها تتْلو مَشْهداً من مشَاهدِ القيامَة وصورةً من صوَر الحشر أو مشاهِد القُدرة الإلهية، أمّا السببُ العام الذي اقتضى هذا الترديد فإنَّ الآية أَعْقَبَتْ ما مِنْ شأنه أنْ يكونَ أكبرَ داعٍ من دواعي الإيمان والتصديق، بحيث يكون الخارجُ عن هذا السلوك والمكذِّبُ به صائراً – لا محالة – إلى الويل والعذاب الأليم؛ فويلٌ للمكذبين بيوم الفصل، وويل للمكذبين بهلاك المجرمين، وويل للمكذبين بقُدرة الله وتقديره أرزاق الخلق؛ وعلى هذا المنهج يمضى الترديد في السورة كلّها[1].

(1) يُنظر خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم المطعني ج1 ص331

المطلب الثاني – الترديد التركيبي غير التامّ:

ويوجد من أنواع الترديد التركيبي تردُّدُ بعض التراكيب مع تغييرٍ طفيف يطرأ عليها بالنسبة لكامل النصّ، كما هو الشأن بالنسبة لسورة الشعراء، ففيها لم يقتصر الالتزام على آيتين أو ثلاث، بل وصل إلى خمس آيات مع تبديل طفيف يلائم السياق، والآيات التي تردَّدت هي كالتالي:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109)﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ (124) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (125) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (126) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (127)﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (145)﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (160) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ (161) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (162) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (163) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (164)﴾.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (176) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (177) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (178) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (179) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (180)﴾.

الآيات تقريبا بقيَتْ كما هي في شكلها العامّ، وتغيّرَتْ أسماء الأنبياء وأقوامهم؛ وقد ذُكرت في مُفتتح كلّ قصة من قصص أولئك الأنبياء، أي في صدارة كلّ أحداث قصة.

وفي السورة نفْسِها وقع ترديدٌ لآيتين ثمانيَ مرّات؛ ذُكِرت أوّلَ مرّةٍ في الآيات الأُوَلِ بعد خطاب الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلّم: أن لا يحزن ولا يغتمّ على قومه الذين أبوا أن يؤمنوا، وعاندوا وأعرضوا وأصرّوا على الكفر، أفلا يعتبر هؤلاء بما حولهم في الأرض من هذا الخلْق البديع؟. ثم تُذكر الآيتان:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)﴾.

وتأتي بعد هذا الموطن في ختام كلّ قصّة من سبع قصص متتالية وهي: قصة موسى عليه السلام، قصة ابراهيم عليه السلام، قصة نوح عليه السلام، قصة هود عليه السلام، قصة صالح عليه السلام، قصة لوط عليه السلام، وقصة شعيب عليه السلام.

فكانت الأولى كتمهيدٍ لتأتي بعده في ختام كل قصة وتربط كلّ الأجزاء مع بعضها البعض فتشكّل قطعة واحدة.

وذكرنا من قبل أن القصص الخمسة الأخيرة كانت موحّدة الصدارة، وهي أيضا بهاتين الآيتين موحّدة النهاية، وكأنّ السرّ من وراء هذا النمط الواحد أنّهم أقوام يشبه بعضهم بعضا في الإعراض والصدّ عن دين الله، وأنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإنّ ربك لهو العزيز الرحيم.

وممّا يُشْبه هذا الترديد الواقع في نهاية الأحداث – في سورة أخرى– ما تضمَّنَتْه سورةُ الصافّات في أربعة مواضع، بحيث تردَّدَتْ الخاتمة نفسها مع بعض تغيير في الأسماء تطلَّبَهُ السياق، والآيات هي قوله تعالى:

﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (79) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (80) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (81)﴾.

﴿سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111)﴾.

﴿سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (120) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (121) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (122)﴾.

﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (130) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (131) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (132)﴾.

وأيضا نموذج آخر في القرآن الكريم نستطيع أنْ نعُدَّه ترديداً تركيبيّا، وهي خواتيم هذه الآيات من سورة الروم؛ قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (21) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (22) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (23) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (24)﴾.

هذا الترديد: (إنّ في ذلك لآيات...) فيه توحيدٌ للإيقاع الموسيقي بين الآيات، بما فيه من ترجيع لهذا الإيقاع، وإضافةً لترديد آخر في مطلع كلّ آية (ومن آياته) الذي يدخل في تكرار الصدارة، وقد شكَّلَ هذان الترديدان انسجاما لمطالع الآيات وخواتيمها.

الفصل الثاني

الترديد الدلالي

المبحث الأول: الترديد الدلالي القريب

المبحث الثاني: الترديد الدلالي البعيد

* * *

نقصِدُ بالترديد الدلالي كلّ جملةٍ أو جُمَلٍ أُعيدَ مَضْمونُها بصياغةٍ مُغايِرة، أو هو إعادتُها مع اختلاف الدالِّ واتِّفاق المدلول؛ وهو على قسمين: فإمَّا أنْ يتقاربَ الطرفان المتَّفقان في المدلول- مكانيا- ، وإمَّا أنْ يتباعدا.

وطبيعةُ القسم الأوَّل تفرضُ أنْ يكون المدلول المتردِّدُ المتقاربُ على شكلِ جملة، وطبيعة القسم الثاني تفْرِضُ أن يكون المدلول المتباعدُ على شكل موضوعٍ تعرِضُه جملٌ متعدِّدة.

وبهذا ينقسم الفصل لمبحثين:

المبحث الأوّل: الترديد الدلالي القريب

وهو أنْ يكون طَرَفا الترديد على مسافةٍ قريبة لا تتجاوز الجملة أو الجُملتين. وهو عدَّة أنواع:

المطلب الأول – التذييل:

"وهو تعقيبُ الجُمْلة بجُمْلةٍ تشتَمِلُ على معناها للتوكيد"[1].

فهو أنْ يذيّلَ الناظم أو الناثر كلامًا، بعد تمامه وحُسْنِ السكوتِ عليه، بجُمْلةٍ تحقِّق ما قبْلَها من الكلام وتَزيدُهُ توْكيدًا وتجْري مجْرى المثل بزيادة التحْقيق[2].

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني ص 200

(2) ينظر خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي ج1 ص242

وهو عند البلاغيين نوْعان: نوْعٌ يجري مجْرى المثل، ونوْعٌ لا يجري مجرى المثل؛ وكِلا النوعيْن وظفهُما القرآن الكريم.

ومن الشواهد على الأوّل:

﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء: 81].

فالجملة الأخيرة من الآية هي ترديد لدلالة الجملة التي سَبَقَتْها، جاءت على سبيل التأكيد لها، وانضاف إليه تأكيد الأداة (إنّ) مما أضفى تركيزا تعبيريا على تلك الدلالة، ونلْحَظ في الآية هنا أن جملة الترديد الثانية (إن الباطل كان زهوقا) اسمية، والجملة الأولى (زهق الباطل) فعلية، فالحُكم على المسند إليه (الباطل) جاء متجدّدا في الأولى، لدلالة الفعل على التجدّد، بينما جاءتْ جملة الترديد الأخيرة اسميةً لتضيف معنى الثبوت في الحكم على زهوق الباطل، ولأنّ معناها كان مستقلاّ كانت تذييلا خرج في الكلام مخرج الأمثال التي ليس لها مثيل.

ومنه أيضا قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ﴾ [التوبة: 111].

ففي هذه الآية تذييلان: أحدهما قوله تعالى: (وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا)، فإنّ الكلام كان قد تمّ قبل ذلك وحسُن السكوتُ عليه، والآخر قوله تعالى: (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) فخرج الكلام مخرج المثل السائر.

ومن الثاني الذي لا يخرجُ مخرج المثل:

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾ [سبأ : 17].

وقد اجتمَعَ النوْعان في قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: 34-35].

فقوله: ﴿أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ تذييل لا يجري مجرى المثل.

وقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ يجري مجْرى المثل.

في الآيتين ثلاثة أطراف ترديدية:

الطرف الأوّل: وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ.

الطرف الثاني: أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ.

الطرف الثالث: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ.

ونُلاحظ بالتأمُّل أنَّ المدلولَ الأساسي واحدٌ في الجميع، إلاَّ أنها تختلف في درجة التعبير عن هذا المدلول، وكما نرى فهي درجة تصاعدية من أدنى إلى أعلى:

الطرف الأوّل: موت كل البشر قبل النبيّ عليه الصلاة والسلام.

الطرف الثاني: موته عليه الصلاة والسلام وموت من معه أولى.

الطرف الثالث: موت كل البشر جميعا.

طبعا نحن نريد أن نوضح درجات الترديد فقط، وإلاّ فالجمل الثلاثة تختلف في صياغتها وتعبيرها عن المدلول، فالأولى فيها نفي للخلد عن الماضين،

والثانية استعمل لفظ الموت فعلا ماضيا مع نفي الخلد عن الحاضرين، والثالثة استعمل الموت مصدرا وإثباته لكلّ نفس في كل زمان وكل مكان.

المطلب الثاني – ذكر الخاصّ بعد العامّ:

قال فيه الخطيب القزويني وقد جعله من الإطناب: "وإمَّا بذكر الخاصّ بعد العامّ، للتنبيه على فضله، حتى كأنّه ليس من جنسه، تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات"[1].

فهذا الترديد يكون فيه معنى الطرف الثاني جزءا من معنى الطرف الأوّل، ويُؤتى به لأجل الاهتمام لشأنه، أو لتقوية الدلالة العامة التي ورد فيها.

ومن النماذج:

﴿مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 98].

ذكر جبريل وميكال وهم من الملائكة للتنبيه على رتبتهم، فهو جزءٌ دلالي تمّ ترديده لإبراز مكانة هذين الملكين بين الملائكة.

﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238].

خُصَّتْ الصلاةُ الوسطى بالذكر مع دُخولها في عموم الصلوات، وهذا الترديد الذي تحمله الدلالة ينصّ على عظم أمر الصلاة الوسطى وزيادة فضلها.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب : 72].

(1) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني ص 197

إنّ الجبال داخلة في جملة الأرض، لكنّ لفظ الأرض عامّ والجبال خاصّ، وفائدته ههنا تعظيم شأن الأمانة المشار إليه وتفخيم أمرها[1].

ومن الأمثلة أيضا:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: 4].

الترديد هُنا يكون بين طَرَفَيْن مُتتابِعَيْن في الغالب، والثاني هو جُزْء من الأوَّل؛ والغاية هي إبراز هذا الجزء عن بقيّة الأجزاء الأخرى بصورة مُلْفِتَةٍ تنبئ عن مكانته وأهميته.

فكأنّ الطرف الأول بكل أجزائه لا يكفي لتحقيق تأثيره في المتلقّي، أو قد يغفل المتلقّي عنها ويستخفّ بها، فيُؤتى بأثقل جزء فيها مكانة أو أبرزها أهمية ويُذكر مباشرة كطرف ثانٍ بعد الطرف الأوّل؛ لتجعل المتلقّي يتأنى قليلا عند وصوله إليه.

(1) ينظر المثل السائر: ابن الأثير ج3 ص28

المطلب الثالث – ذكر العامّ بعد الخاصّ:

والترديد هنا هو عكس السابق ، بحيثُ يكون معنى الطرف الأوّل جزءا من معنى الطرَف الثاني.

قال الزركشيّ عن هذا القسم: "وَهَذَا أَنْكَرَ بَعْضُ النَّاسِ وُجُودَهُ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ"[1].

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف:33].

وَالفَوَاحِشُ مَا ظَهرَ مِنْها هُوَ مَا يُظْهِرُهُ النَّاسُ بَين قرنائِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ مثلَ الْبِغَاءِ وَالْمُخَادَنَةِ، وَمَا بَطن هو مَا لا يُظْهِرُهُ النَّاسُ مثل الوَأدِ وَالسَّرِقَةِ ، وأمَّا الإثْمُ فهو كلّ ذَنْبٍ، فَهُوَ أعَمُّ من الفَوَاحِشِ، فيكُونُ ذِكْرُ الفَوَاحِشِ قَبْلَهُ لِلاهْتِمَامِ بِالتَّحْذِيرِ منها قبلَ التحْذِيرِ مِنْ عُمومِ الذنوبِ، فهو منْ ذِكْرِ العام بَعْدَ الخاص، والاهْتِمَامُ الْحَاصِل بالتَّخْصيصِ مَعَ التقْدِيمِ أَقْوَى لأَنَّ فيهِ اهْتِمَامًا مِنْ جِهَتَيْنِ[2].

ومن التمثيلات أيضا:

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي﴾ الآية. [الأنعام: 162].

وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: 78].

---

(1) البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج2 ص471

(2) ينظر التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور ج8 ص100

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87].

وقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح:28].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: 4].

الترديدُ هُنا طرفُه الأوَّل جزءٌ من طرَفِه الثاني؛ وتقديمُ الجُزء على الكُلّ فيه مزيدُ اهتمامٍ ورعايةٍ لهذا الجزء من عدَّة جهات، أوّلها بالتقديم إذ المقدّم له مزيّة في الدلالة، وثانيها ذكر الجزء قبل ذكر الكلّ، وثالثها عند ذكر الكلّ يحصل الترديد فتتضاعف مزيَّة الجزء وأهميته.

نأخُذ المثال الأوَّل ونقيس عليه البقية: ﴿إِنَّ صَلاَتي وَنُسُكِي﴾ الآية. [الأنعام: 162].

الطرَف الأوّل: الصلاة

الطرَف الثاني: النسُك

هذا الترديد خصَّ الصلاة برعايةٍ مُضاعفة بذكرها مرَّتين، الأولى مُفردة باسمها، والثانية مُنْضوية في النسُك، فكان الاهتمامُ بها مُضاعفا باستعمال الترديد؛ وبإضافة ميزة التقديم يزداد هذا الاهتمام ضعفا آخر.

المطلب الرابع – الإيضاح بعد الإبهام:

ويُسمَّى أيضا التفصيل بعد الإجمال.

قال الزرْكشي: "...الإِيضَاحُ بَعْدَ الإِبْهَامِ لِيُرَى المَعْنَى فِي صُورَتَيْنِ أَوْ لِيَكُونَ بَيَانُهُ بَعْدَ التَّشَوُّفِ إِلَيْهِ، لأَنَّهُ يَكُونُ أَلَذُّ لِلنَّفْسِ وَأَشْرَفُ عِنْدَهَا وَأَقْوَى لِحِفْظِهَا وَذِكْرِهَا"[1].

فهو إعطاء المعنى في صورتين مختلفتين: إحداهما مُجْملة مُبْهمة، والأخرى مُفَصَّلة مُوَضَّحة، وهذا من شأنه أنْ يزيدَ المعنى تمكُّنا من النفس[2].

فالإيضاح بعد الإبهام يأتي لتقرير المعنى في ذهْنِ السامع بترديده مرَّتين، مرّةً على سبيل الإبهام والإجمال، ومرّةً على سبيل التفصيل والإيضاح، فيزيده ذلك تمكُّنا وثباتا.

ومن النماذج القرآنية:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: 66].

فقوله (أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء) تفسير وتوضيح لذلك (الأَمْر) المبهم وفائدته توجيه الذهْنِ إلى معرفته، وتفخيم شأن المبيّن، وتمكينه في النفس فأبهم في كلمة (الأمْر) ثم وضَّحَه بعد ذلك تهويلا لأمر العذاب.

---

(1) البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج2 ص477

(2) ينظر موسوعة علوم اللغة العربية: بديع إميل يعقوب دار الكتب العلمية بيروت ط1 2006م: ج2 ص285

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ، الذي أَنقَضَ ظَهْرَكَ، وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: 1 - 4]؛ كان يصِحُّ حذف (لك) في الموضعين و(عنك)، لكن إضافة (لَكَ) و(عَنْكَ) تُفيد الإبهام أوّلاً فتَسْتَشْرِفُ النفس للإيضاح، وبعبارات: (صَدْرَك، وِزْرَكَ، ذِكْرَكَ) يرتَفعُ الإبهام ويرتوي ظمأ النفس للمعرفة الذي أثاره التشويق.

وذكر جلال الدين السيوطي (المتوفى:911هـ) في قوله تعالى: ﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [طه:25-26] أنَّ (اشْرَحْ) يُفِيدُ طَلَبَ شَرْحِ شَيْءٍ مَا وَ(صَدْرِي) يُفِيدُ تَفْسِيرَهُ وَبَيَانَهُ وَكَذَلِكَ (يسِّرْ)، وَالمَقَامُ يَقْتَضِي التَّأْكِيدَ لِلإِرْسَالِ المُؤْذِنِ بِتَلَقِّي الشَّدَائِدِ، وَذكر أيضا من التَّفْصِيل بَعْدَ الإِجْمَالِ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:36]؛ وَعَكْسُهُ كَقَوْلِهِ: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة:196]، أُعِيدَ ذِكْرُ (الْعَشَرَةِ) لِرَفْعِ تَوَهُّمِ أَنَّ الْوَاوَ فِي(وَسَبْعَةٍ)، بِمَعْنَى(أَوْ) فَتَكُونُ الثَّلاثَةُ دَاخِلَةً فِيهَا كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:9]، ثُمَّ قَالَ تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾[فصلت:10] فَإِنَّ مِنْ جُمْلَتِهَا الْيَوْمَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ أَوَّلاً وَلَيْسَتْ أَرْبَعَةً غَيْرَهُمَا[1].

(1) ينظر الإتقان في علوم القرآن: السيوطي تحقيق أبوالفضل ابراهيم، الهيئة المصرية للكتاب 1974 دط ج3 ص243

ومنه قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1]، فَقد وَضعَ الضَّمِير مَوْضِعَ الظَّاهِر ثم فسَّر وكان أوْقع فِي النَّفْسِ مِنَ الإِتْيَانِ بِهِ مُفَسَّرًا مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ وَلِذَلِكَ وَجَبَ تَقْدِيمُهُ وَتُفِيدُ بِهِ الْجُمْلَةُ الْمُرَادَ تَعْظِيمًا لَهُ[1].

(1) ينظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج2 ص478

المبحث الثاني: الترديد الدلالي البعيد

وهو ما يتردَّدُ من مَوْضوعات القرآن الكريم، لذلك نستطيع تسْمِيته بالترْديد المَوْضوعي أيضا، والقرآن الكريم في كلّ آياته وسُوَره تناول مجموعةً من الموضوعات التي تتفاوَتُ في كَيْفية العرض ومقدار الطول ودرجة الترديد.

بيد أنَّ أكثر ما أسال الحِبْر في كُتب الدارسين لهذا المجال من موضوعات القرآن الكريم هو القَصَص؛ إذْ كان القصص القرآني أحد مطاعن المشكّكين المغرضين، وتصدَّى علماؤنا لهذه المطاعن فكتبوا وأغزروا في الردّ عليها، مما شكّل من القصص جانبا بارزا يستحقُّ أن يُفرد في هذا المبحث؛ فانقسم إلى مطلبين أوّلهما يتحدّث عن موضوعات القرآن عامّة، وثانيهما عن القصص خاصّة.

المطلب الأوّل – موضوعات القرآن الكريم:

إنَّ تصنيف القرآن إلى موضوعاتٍ هو أحد أقسام التفسير الموضوعي؛ والتصنيف فيه ليس بالأمر السهل الميسور، بل هو اجتهاد يتطلَّب توفيقا من الله وموهبة ومهارة بالغة الكفاءة؛ حتى يستطيع الباحث إنجاز بحثه خير إنجاز.

وموضوعات القرآن الكريم كثيرة جدا يصعُب على أيٍّ باحثٍ أنْ يستوفيها جميعها في مجلّد أو مجلّدات؛ غير أنّ من العلماء من حاول أن يحصر هذه الموضوعات في عناوين أساسية تجمع تحتها كلّ موضوع.

ومن الذين حاولوا حصر موضوعات القرآن الكريم في خطوط عريضة -الشيخ أبو حامد الغزالي (505 هـ) في كتابه جواهر القرآن؛ فقد جعل سور القرآن وآياته كما يقول منحصرةً في ستة أنواع:

- ثلاثة منها هي السوابق والأصول المهمّة.
- وثلاثة هي الروادف والتوابع المغنية المتمّة.

أما الثلاثة المهمَّة فهي:

- تعريف المدعو إليه.
- وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه.
- وتعريف الحال عند الوصول إليه.

وأمّا الثلاثة المغنية المتمّة:

- فأحدها تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم وسرّه ومقصوده التشويق والترغيب وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن

الإجابة وكيفية قمع الله لهم وتنكيله لهم وسره ومقصوده الاعتبار والترهيب.

- وثانيها حكاية أحوال الجاحدين وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمحاجّة على الحقّ وسرّه ومقصوده في جنب الباطل الإفضاح والتنفير وفي جنب الحق الإيضاح والتثبيت والتقهير.
- وثالثها تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية أخذ الزاد والأهبة والاستعداد.

فهذه ستَّة أقسام[1].

وقد شرح الغزالي هذه الأنواع بشيء من الإيجاز؛ وفي ختامها أعاد النظر فيها وجَعَلَها عشرة أنواع:

- ذكر الذات.
- وذكر الصفات.
- وذكر الأفعال.
- وذكر المعاد.
- وذكر الصراط المستقيم أعني جانبي التزكية والتحلية.
- وذكر أحوال الأولياء.

(1) ينظر جواهر القرآن: أبو حامد الغزالي؛ تحقيق د محمد رشيد رضا قباني؛ دار إحياء العلوم؛ بيروت؛ ط 1 ت 1985 ص 23 - 24

- وذكر أحوال الأعداء .
- وذكر محاجّة الكفار.
- وذكر حدود الأحكام [1].

وربَّما تُعدُّ هذه أولى المحاولات في تصنيف القرآن على شكل موضوعات عامّة.

وظهرت حديثا بعضُ المحاولات في هذا المجال، إما على شكل مُعجم موضوعي لآيات القرآن؛ وإما على شكل فهرسة لموضوعات القرآن تُدرَج في آخر المصحف.

فمنهم من جعلها ثلاثة موضوعات كُبرى:

- أركان الإيمان والإسلام.
- التقوى.
- الكفر والفجور.

بحيث يتضمَّن كلُّ قسم فروعاً شتى [2].

---

(1) ينظر السابق: ص 34

(2) يُنظر المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم: صبحي عبد الرؤوف عَصَر، دار الفضيلة القاهرة 1990 دط.

ومنهم[1] من جعلها خمسة عشر موضوعا:

- أركان الإسلام
- الإيمان
- الدعوة إلى الله
- القرآن الكريم
- الجهاد
- العمل
- الإنسان والعلاقات الأخلاقية
- الإنسان والعلاقات الاجتماعية
- تنظيم العلاقات المالية
- التجارة والزراعة والصناعة
- العلاقات القضائية
- العلاقات السياسية والعامة
- العلوم والفنون
- الديانات
- القصص والتاريخ

---

(1) يُنظر مصحف التجويد: دار المعرفة دمشق – الطبعة الثانية سنة 1420 هـ. ص 609 – 657. وقد حاول بعض الدارسين جمع موضوعات القرآن بترتيب هجائي في معجم بعنوان: المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم (لمحمد نايف معروف، دار النفائس، بيروت ،ط2، 2006 م)

وهذه الاختلافات في حَصْر الموضوعات العامَّة للقرآن الكريم كَثْرةً وقلَّة، تُظهر صعوبة المسلك ودقَّته على الباحث فيه.

وقد يتردَّد الموضوع في عدَّة مواضع من القرآن الكريم، وقد يكثُر هذا الترديد وقد يقلُّ تبعا لأهمّـــيّة هذا الموضوع أو استكمالاً لأحد جوانبه أو لغرضٍ آخر.

وإذا تفحَّصْنا مواضع الترديد لموضوعات القرآن فسنجد بعضها يبرُزُ فيه الترديد بكثرةٍ مقارنة بالأخرى.

وأقوى هذه الموضوعات حسب درجة الترديد حسب أحد الدراسات هي[1]:

1. قصص القرآن.
2. المعاني العَقَدية.
3. المعاني التشريعية، والترغيب والترهيب.

وقد توزَّعَت معاني العقيدة بمختلف أركانها في القرآن، ومثلها أحكام الشريعة، بحيث انتظَمَتْ معانيهما حسب النزول، ولم يلْقَ ترديد هذه المعاني

---

(1) يُنظر التكرار المعنويّ في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية): رسالة دكتوراه، للباحث يحيي محمَّد علي المهْدي، جامعة أمّ درمان الإسلامية، كلّية اللّغة والأدب ، السودان، 2008م.

وقد خالف الباحث –نوعاً ما– الترتيب الذي وضعه محمد قطب في كتابه دراسات قرآنية، إذ جعل محمد قطب "أكثر الموضوعات تكرارا وتنوُّعا في ذات الوقت هي موضوعات العقيدة... وقصص الأنبياء، وقصة آدم والشيطان، وأخلاقيات الإيمان. وذلك في السور المكية والمدنية على السواء" دراسات قرآنية: محمد قطب ص247

النقـدَ الـذي لَقِـيَهُ ترديـد القصـص مـن قِبَـلِ المستشـرقين؛ لـذلك عـرف ترديـد القصص القرآني عنايةً خاصَّة من علمائنا، في إبراز عظمته وإعجازه.

المطلب الثاني – ترديد القصص القرآني:

تتَجَلَّى ظاهرة الترديد الموضوعي بقُوَّةٍ في قصص القرآن، فقد عرَفَ ترْديدا ملحوظا بصورة تلْفِتُ الانتباه، حتى كان عُرْضةً لكثير من شكوك المغرضين، مما جعل المنافحين من أهل البيان يردُّون عليهم ويبيّنون حكمة كل ترديد قصصي وَقَعَ في القرآن.

هذه الحكمة التي اجتهد علماؤنا في اقتناصها لكل ترديد قرآني، إذ ليس الغرَضُ مِنْ سَوْقِ القصص قاصِرًا عَلَى مَا تقفُ عندهُ أفْهامُ القَانعينَ بظَواهِرِ الأشياءِ وأوائِلِها، بل الغَرَضُ مِن ذلك أَسْمَى وأجَلُّ، إنَّ فِي تلك القِصص لَعِبَرًا جَمّةً وفوائدَ للأمَّةِ، ولذلك نرى القُرْآنَ يَأْخُذُ منْ كلّ قصَّةٍ أشْرفَ مواضيعهَا ويُعْرضُ عمّا عداهُ ليكونَ تعرُّضُهُ للقصَصِ مُنَزّها عنْ قَصْدِ التّفَكُّهِ بِهَا، منْ أجْلِ ذلك كُلِّهِ لمْ تَأتِ القِصَصُ فِي القُرْآنِ دائما مُتتَالِيَةً مُتَعاقِبةً فِي سورَةٍ أو سُوَرٍ كَمَا يَكُونُ كِتَابُ تَارِيخٍ، بَلْ كَانَتْ مُفرّقةً مُوزّعَةً عَلَى مقاماتٍ تُناسِبُهَا، لأَنَّ مُعْظمَ الفوائِدِ الحَاصِلَةِ مِنْهَا لها علاقَةٌ بذلك التوزيعِ[1].

(1) ينظر التحرير والتنوير ج1 ص64

قال القلْقَشَنْدي (المتوفى:821هـ) في صُبْح الأعشى: "وهذا المنهَجُ هو أحَدُ أنواع الإعجاز في القرآن الكريم، فإنّ القصّة الواحدة تتكرّر فيه مرارا في سُوَرٍ متعدّدة، ترد في كلّ سورة بلفظ وتركيب غير الذي وردَتْ به في الأخرى، مع استيفاء حدّ البلاغة ونهاية أمَدِ الفصاحة؛ ولذلك قلّ من سلك هذا المنهج، أو ارتقى هذه الذّروة"[1].

وقد خضَعَتْ القصة القرآنية في مَوْضوعها، وفي طريقة عَرْضِها، وإدارة حَوادثها، لمقتضى الأغراض الدينية؛ وظهَرَتْ آثارُ هذا الخضوع في سماتٍ معينة، كان أبرزُ أثرٍ لهذا الخُضوع أنْ ترد القصة الواحدة -في معظم الحالات- مكرّرةً في مواضعَ شتى، ولكنَّ هذا التكرار لا يتناول القصّة كلّها- غالبًا- إنما هو تكرار لبعْض حلقاتها، ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها؛ وحين يقرأ الإنسان هذه الحلقات المكرّرة ملاحظًا السياق الذي ورَدَتْ فيه يجدُها مناسبةً لهذا السياق تمامًا في اختيار الحلقة التي تُعرَض هنا أو تُعرض هناك، وفي طريقة عَرْضها كذلك؛ ويجب أنْ نذكُرَ دائمًا أنّ القرآن كتابُ دعوة دينية، وأنّ التناسُقَ بين حلَقَة القصّة التي تُعْرض والسياقِ الذي تُعْرَض فيه هو الغرَضُ المقدّم؛ وهذا يتوافر دائمًا ولا يُخِلّ بالسِّمَة الفنية إطلاقًا؛ فإنّ خضوعَ القصة الكامل للغرَض الديني ووفاءَها بهذا الغرَضِ تمام الوفاء لم يمنَعْ بروزَ الخصائص الفنية في عَرْضها؛ فالتعبير القرآني يؤلِّفُ بين الغرَض الديني والغرَض الفني فيما

(1) صبح الأعشى في صناعة الإنشا: القلْقَشَندي ج1 ص314

يعْرِضُه من الصور والمشاهد؛ بل إنّه يجعَلُ الجمال الفنّيّ أداةً مقصودةً للتأثير الوجْداني، فيُخاطِبُ حاسّةَ الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية[1].

ومع الاهتمام بالجانب الفني فإنّ القرآنَ ليسَ كتابَ قصص وإنما هو كتاب دعوة وتشريع، فإذا جاء بالقصّة فإنما يأتي بها في إطار الدّعْوة إلى الإيمان بالله وللإشارة إلى وحدة الدعوة، على رغْمَ تعدُّد الأنبياء واختلاف الأزمنة والأمكنة والأقوام، وعلى رغم تطوُّر التكاليف من دعوة إلى أخرى، حتى اكتمَلَتْ بالدعوة الإسلامية التي بلّغها نبيّنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلّم؛ وهكذا ينبغي أنْ يكونَ النظرُ إلى القصة القرآنية مختلِفاً عن النظر إلى القصة الأدبية، فهي ليْسَتْ للمُتْعة ولا للتذوُّق الأدبيّ المجرّد ولا لفرْضِ مَنْهَج نقديّ عليها أيّا كان هذا المنْهَج لأنّ القصّةَ القرآنية فريدةٌ في طابعها وغايتها وتكوينها[2].

ومِنْ أكثر النماذج البارزة التي تردَّدَتْ في القرآن الكريم ولقِيَتْ عنايةً كبيرة من الباحثين: قصّة موسى عليه السلام، وقصّة آدم عليه السلام وخروجه من الجنّة؛ وسنأخذ مثالاً واحداً هو ترديد قصة آدم عليه السلام وخروجه من الجنّة، لنلْمَحَ ولو قليلا منهجَ القرآن الكريم في ترديد القصة؛ وأنّ الذي تردّد

(1) ينظر التصوير الفني في القرآن: سيد قطب ابراهيم دار الشروق ط17 دت ص143 و ص155

(2) ينظر البيان في روائع القرآن: تمام حسان عالم الكتب مصر ط1 1993 : ص551

منها إنما هو لقطاتٌ مختلفة لواقعةٍ واحدة من زوايا مختلفة، يكمل بعضها بعضاً فتتجسّد الواقعة وتبرُزُ وقائعها [1].

فكثير من الدراسات[2] التي حَلَّلَتْ مواضع هذه القصَّة في القرآن أوضَحَتْ أنّ كلّ مَوْضعٍ يذكرُ الجزءَ الذي يتناسق مع السياق الذي ورد فيه، ويتوافقُ ذلك الجزءُ المعروض من القصّة مع ما قبله وما بعده، والقرآن يضيفُ جديدا في كلّ مَوْضعٍ من مواضعِ ذكر القصة، وهو ليس مجرّد ترديد خالٍ من الإضافة والحكمة.

وقصّة آدم عليه السلام ورَدَتْ في سبْعِ سُوَرٍ من القرآن الكريم، هي: "البقرة"، و"الأعراف"، و"الحِجْر"، و"الإسراء"، و"الكهف"، و"طه"، و"ص".

ولا بدّ من عرض نُصوصُ القصّة من كلّ سورة على طولها ، ليكون تحليلها أكثر وضوحا وأقرب فهما، والنصوص كما يلي:

سورة البقرة من الآية 30 إلى الآية 38

قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ

---

(1) ينظر القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: عبد الكريم الخطيب دار المعرفة بيروت ط2 1975 ص284

(2) اعتمدنا في هذا المبحث على ثلاث دراسات عنيت بهذه القصة وهي: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه لعبد الكريم الخطيب ص: 355 – 395 ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية لعبد العظيم المطعني ج1 ص: 335 – 366 ، التعبير القرآني لفاضل السامرائي، دار عمار، عمان، ط4 ، 2006م ص: 285 – 310

لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)﴾.

سورة الأعراف من الآية 11 إلى الآية 25

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ

وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25)﴾.

سورة الحِجْر من الآية 26 إلى الآية 44

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (27) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (33) قَالَ فَاخْرُجْ

مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (35) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (43) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (44)﴾.

سورة الإسراء من الآية 61 إلى الآية 65

قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً (62) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً (65)﴾.

سورة الكهف الآية الخمسون

قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (50)﴾.

سورة طه من الآية 115 إلى الآية 127

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى (120) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (127)﴾ .

سورة "ص" من الآية 71 إلى الآية 85

قال سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (78) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (80) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (84) لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85)﴾.

هذا حَسْب الترتيب الذي في المصحف، ولكن في دراستنا يتوجَّبُ علينا النظر إلى ترتيبها حسب نزولها لأنَّ هذا له أهمّيّته في الحكم على المعاني الجديدة، وقد ذكر الزركشي في كتابه[1] ترتيبَ السور حسب النزول، وكان ترتيبُ السور السبع التي معنا كما يلي:

السور المكية: سورة ص – سورة الأعراف – سورة طه – سورة الإسراء – سورة الحِجْر – سورة الكهف .

السور المدنية: سورة البقرة.

(1) ينظر البرهان في علوم القرآن: الزرْكَشي ج1 ص193

وبمراعاة هذا الترتيب النزولي نُحَدّد أوّلا أهمَّ المعاني المشتركة بين السور، وهذه المعاني تتمثَّلُ – بَعد النظر والتأمّل– في: أمْر الله الملائكةَ بالسجود لآدم، وامتثال الملائكةِ هذا الأمر، ومخالفة إبليس أمْرَ ربّه.

ففي سورة "ص"جاء قوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلاّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74)﴾.

وفي "الأعراف" جاء قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11)﴾.

وفي "طه" جاء قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى (116)﴾.

وفى "الإسراء" جاء قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61)﴾.

وفي "الحجْر" جاء قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31)﴾.

وفي "الكهف" جاء قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ(50)﴾.

وفي "البقرة" جاء قوله:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)﴾.

فإنَّ هذه المعاني الثلاثةَ كلُّها تشتَرِكُ فيها هذه السوَرُ القرآنية، لأنها المحاورُ الكُبرى لهذه القصة، ولأنَّ كلَّ سورة – أثناء عَرْضها– لها جانبٌ جديد من جوانب القصة ، فكان لزاما ذكر هذه المحاور حتّى تكْشِفَ السورةُ إضافتَها الجديدةَ والتي توافق المقام؛ هذا على ما يتجلّى من فُروقٍ أسلوبية بديعة في صياغة تلك المحاور أو صياغة القصّة عموما.

أمّا الجوانب الجديدة التي اشْتَمَلَتْ عليها كلُّ سورة أثناء نزولها فهي:

– **سورة ص**: كانت أوّل السور، لذلك كان كلُّ ما ذُكر فيها من أحْداثٍ جديداً، ومع ذلك اختصَّتْ مقارنةً بباقي السُّور بما انْفَرَدَتْ به مثل: (خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) في قوله تعالى:

(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ).

– **سورة الأعراف**: أضافتْ أحداثا جديدةً مثل: أمر الله آدم وحوّاء أنْ يسكُنا الجنة بعد طرد إبليس منها، ووسوسة الشيطان لهما وما ترتَّب عليها، وأمر الله لهم بالهبوط إلى الأرض.

واختصَّت عن السور بذكر ندم آدم وحوّاء ودعائهما الله بالمغفرة والرحمة وإلاّ كانا من الخاسرين:

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25)﴾.

– **سورة طه**: اختصَّتْ بتمهيدٍ جامعٍ للقصّة: (وَلقَدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلمْ نَجِدْ لهُ عَزْماً).

وبتفصيلِ النعيم الذي سيلقاه آدمُ وحوّاء في الجنة: (إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى، وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى).

وبأنّ الله اجتبى آدمَ وهداه: (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى).

– **سورة الإسراء**: اختصَّتْ بوضع مقولة إبليس موضع إبائه السجود: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) .

وبالتصريح بحقده على آدم: (أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ).

وأنْ يجلب عليهم بخَيْله ورَجله، وأنْ يُشاركَهم في الأموال والأولاد، وأنَّ وعْدَهُ لهم ما هو إلاَّ غرور: (وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا).

– **سورة الحِجْر**: اختصَّتْ بذكر الصلصال والحمأ المسنون، فقد تردَّد لفظ (من صلصال من حمإ مسنون) ثلاث مرّات تأكيدا وتنويها ولتدبُّر طبيعة وحقيقة هذا الخلق:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (27) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (33)﴾.

– **سورة الكهف**: اختصَّتْ بِوَصْف إبليس بأنه كان من الجنّ وأنّه فسَقَ عن أمر ربه، وبإنكار أنْ يُتّخذَ هو وذُرّيّته أولياءَ من دون الله.

ونلاحِظُ أنَّ الإشارةَ جاءتْ عابرةً عن قصَّة آدم في سورة الكهف، وهي وإنْ اشْتمَلَت على العناصر الثلاثة التي لم يخلُ منها مصدر من مصادر القصة فإنّ جانب القصص غير ظاهر فيها، وإنما جيء بها تمهيداً لإنْكار أنْ يتَّخذ الناس إبليس وذُرّيته أولياء من دون الله، والعهدُ المكيّ لم يكُنْ في حاجةٍ إضافيةٍ إلى تفصيلٍ بعد أنْ تحدّثَتْ عنها خمسُ سُور مكّية في تفصيلٍ ووضوح؛ لذلك جاءتْ آية "الكهْف" لمحةً عابرة إلى حديث طويل معلوم وذائع أمره، كما أنَّ هذه السورة على وَجَازة ما جاء في آيتها من حديث القصّة فإنها اشتمَلَتْ على جديدٍ لم يُصرَّح به في غيرها، وذلك الجديد هو: (إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)، فنِسْبتُه إلى الجنّ والحُكْم عليه بالفسق لم يرِد إلاّ في آية "الكهَف"، وهذا يُعْطينا قيمةً عظيمة هي أنَّ القصّة المتكرّرة في القرآن لم تخلُ من جديد وإنْ قصُرت في مَوْضع دون آخر:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (50)﴾.

– **سورة البقرة**: ليس فيها مكرّر سوى أمر السجود والهبوط وترقُّب الهُدَى، وما عدا ذلك فخاصٌّ بها، أمّا هذا الخاصّ الجديد فهو كما يلي:

أولاً: جاء فيه أنّه قال للملائكة: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)، ولم يقُلْ لهم كَما قال في المكي: (إِنَى خَالِقٌ بَشَراً مِن طِيَن) – مثلا– كما في سورة "ص"، وجَعْل آدم خليفةً مرحلةٌ أرقى من خَلْقه.

ثانياً: جاء فيه أنّ الملائكة استفهموا وبنوا استفهامهم على وصفين في الخليفة، ووصفين فيهم، أمّا الوصفان اللذان في الخليفة: فكونُه مفسداً في الأرض وسافكاً للدماء.

وأما الوصفان اللذان فيهم: فكونهم مُسبِّحين بحمد الله ومقدِّسين له؛ فردّ الله عليهم بأنه يعلم ما لا يعلمون.

ثالثاً: وجاء فيه تعليمُ الله آدمَ الأسماءَ كلَّها.

رابعاً: وجاء فيه أنّ الله عرَضَ المسمّياتِ على الملائكة وطلب منهم أنْ يُنبِّئوه بها فلم يستطيعوا وفوَّضوا الأمر إلى الله مسبِّحين له.

خامساً: وجاء فيه أنَّ الله أمر آدم أنْ يُنبِّئهم بالأسماء ففعل، فلمَّا أنبأهم بأسمائهم قال الله لهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33)﴾.

وأوّل ما يُلاحظ – هنا – أنّ نصّ سورة البقرة حين اشتَمَل على معانٍ جديدة ومعان تحدّثت عنها السور المكية، فإنّه في بناء القصة في العهد المدني يقدّم القرآن المعاني الجديدة، وبعد الفراغ منها يسوق المعاني التي ورَدَتْ في العهد المكّي، وبذلك يكتَمل بناءُ القصة، ولم يعُدْ فيها موضعٌ لإضافةٍ جديدة.

ومن مُلائمات القصّة في سورة البقرة للعهد المدني أنّ اليهودَ كانوا في المدينة وهم أهلُ كتابٍ ولهم بماضي الأمم وحقائق الخلق دراية؛ فجاءهُمُ القرآن بتفاصيلَ دقيقةٍ من جَعْلِ الخلافةِ لآدمَ، ومحاورةِ الملائكة ربهم، وتعليمِ آدمَ الأسماء، وعجْزِ الملائكة عن التنبؤ بها، وتحقيق ذلك لآدم.

ومن تلك الملاءمة أيضاً قوله تعالى: (إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ)، فهذه العبارة تؤدي إلى جانب المقصود منها معنى آخر هو تهديد ظاهرة النفاق التي جدَّت في المدينة ولم تكُن تُعْرف في مكّة؛ ففيها تهديدٌ لهم بكشف أسرارهم وإظهار خفاياهم لأنّ النفاق يقوم على كتمان الكفر وإظهار الإيمان والطاعة.

وبعد هذه الدراسة نجد أنّ القصّة القرآنية لم تلْتَزِمْ طريقاً واحداً من حيث الطُّولُ والقِصَر، والإجمالُ والتفصيل، ولكلّ نوع من هذه الأنواع أمثلته الواضحة في كتاب الله؛ ثمّ إنّ القصة القرآنية جاءت وافيةً بالغرض التي سيقت من أجله، فليس قصر القصة بالشيء الذي يُشعر القارئ بنقصٍ فيها، بل ربما يُذكر في القصة القصيرة المجملة ما لم يذكر في غيرها؛ وباستقراء تكرار القصص في القرآن الكريم يتبيّن أنّه لا توجد قصّةٌ واحدة ذُكرت في موضعين أو أكثر بطريقة واحدة، بل نجد كلّ قصة فيها ما لم يأت في الأخرى، ففي كلّ قصّة من المشاهد والجزئيات والأحداث ما تفرّدت به في هذا الموطن عن غيره من

المواطن، ولا شكّ أنّ هناك محاورَ وقضايا تتردّد اقتضاها السياق، ولكنّ هذه القضايا لم تأت على أسلوب واحد[1].

(1) ينظر القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته: فضل حسن عباس، دار الفرقان، الأردن ط1 1987، ص:22- 27

الفصل الثالث

الترديد الإيقاعي

المبحث الأول: الترديد الصّوْتي

المبحث الثاني: الترديد النسَقي

* * *

إنَّ الإيقاع في أيّ عَمَلٍ أدبيّ يُقدِّمُ مُساهمةً أساسية في العملية الإبداعية، بحيث يُشكّل أحد الركائز التي تزيد الصورة الأدبية جودة وجمالا؛ والترديد في الإيقاع يشمل جانبين، فقد يتردَّدُ الصوْتُ بأبعاد متقاربة تُضفي نغَماً مسموعا وملحوظا على تراكيبه، وهو الترديد الصوتي؛ وقد تتماثل من تركيبين حركاتٌ وسكناتٌ تبثُّ في عُمْق الكلام مُوسيقى خفيّةً تسري في النفس ويُدركها الحسّ، وهذا في الشعر هو السرّ البديع الذي يكمُنُ في أنساقه وأوزانه، وهو الترديد النسَقي.

وعلى هذا ينقسِمُ الفصل لمبحثين: ترديد صوتي، وترديد نسقي.

المبحث الأول: الترديد الصوتي

المطلب الأوّل – التجانُس الصوتي:

ويُسمَّى أيضا توازن الجرس الصوتي[1].

وهو "تكرارُ صَوْتٍ أو أكثر في الكَلِمات المتوالية، وهو مظهرٌ من مظاهر موسيقى الكلام"[2].

---

(1) ينظر معجم المصطلحات الأدبية: ابراهيم فتحي؛ التعاضدية العمالية للطباعة تونس ط1 1986 : ص 113 ،[ترجمة Assonance].

(2) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، كامل المهندس ص 88 ،[ترجمة Assonance].

فإنّ الحرف إذا تردّد في الكلام على أبعادٍ متقاربة، أكْسَبَ ترديدُ صوته ذلك الكلامَ إيقاعا مُبْهجاً، يدركه الوجدان السليم حتى عن طريق العين، فضلا على إدراكه السمعي بالأذن، ويُشترط التقاربُ بينها لأنّ التباعد يُفقد الترديد قيمته الصوتية الناشئة عن سرعة عودته؛ وترديد الحرف على هذه الأبعاد يحسُن حسنا كبيرا إذا جاء بطريق التداعي الصوتي غير متكلّفٍ له، بحيث يتّسق المعنى اتّساقا يشغل النفس عن أنّ جانبا كبيرا من حسن العبارة راجع إلى الترديد، وإنما يظهر ذلك عند التأمّل[1].

وأعلى مثال رائع هو القرآن الذي تداعت الحروف خلال تعبيره، توفيرا لحُسْن الجرس، وتآلف النظم، إيقاعا ومعنى، على شاكلَةٍ تلْفِتُ النظر.

نقرأ هذه الآيات ونتأمّل حرف القاف كيف يتردّد فيها بقوّة إيقاعية تمنح المعنى صلابة وشدّة:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاّ قَلِيلاً مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:246].

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران:181].

(1) ينظر التكرير بين المثير والتأثير: عز الدين السيد ص 45

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [النساء:27].

ثمّ هذه الآية من سورة هود وكيف تناسق حرف الميم في إيقاعه:

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود:48].

نجد الميم بهذا التجانس البديع في الآية يضفي نوعاً من دفء الوداعة والأمن والحنان ليساهم في تصوير هبوط نوح عليه السلام بسلام وبركات.

ونتأمّل حرف النون في هذه الآيات:

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:16-17].

وحرف اللام ومواقعه، ثم نعيد القراءة ونتأمَّل حرف الكاف:

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء:12].

والهَمْزة:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ، رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:192-193].

ثمّ هذه الآية وكيف اتّسقَتْ فيها الحروف وتجانَسَتْ على وجهٍ عجيب:

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد:16].

إنّ حرْفَ اللام يظهَرُ ظهوراً عجيباً: (قل، والأرض، قل الله، قل، أولياء، لا يملكون لأنفسهم، قل هل، الأعمى والبصير، هل، الظلمات، جعلوا لله، خلقوا كخلقه، الخلق، عليهم، قل الله خالق كلّ، وهو الواحد القهار).

وحرف القاف: (قل، قل، قل، قل، خلقوا، كخلقه، الخلق، قل، خالق، القهار).

يقول محمّد عبد الله درّاز (المتوفى:1377هـ) عن هذا التجانس في القرآن:

"فإذا ما اقترَبْتَ بأذنك قليلا قليلا، فطرَقَتْ سمعَكَ جواهرُ حروفه خارجةً من مخارجها الصحيحة، فاجأتك منه لذّةٌ أخرى في نظم تلك الحروف ورَصْفِها وترتيب أوضاعها فيما بينها: هذا ينقر وذاك يصفر، وثالث يهمس ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النفَس، وآخر يحتبس عنده النفس، وهلمّ جرا؛ فترى الجمال اللّغوي ماثلاً أمامك في مجموعة مختلفة مؤتلفة، لا كركرة ولا ثرثرة، ولا رخاوة ولا معاظلة، ولا تناكر ولا تنافر؛ وهكذا ترى كلامًا ليس بالحضريّ الفاتر، ولا بالبدويّ الخشن، بل تراه وقد امتزجَتْ فيه جزالة البادية وفخامتها برقّة الحاضرة وسلاستها، وقدر فيها الأمرُ تقديرًا لا يَبْغي بعضُهما على بعض؛ فإذا مزيجٌ منهما كأنما هو عُصارة اللغتين وسلالتهما"[1].

هذا لون من ألوان الترديد الصوتي في القرآن على أبعادٍ تُكسب الكلام حُسنا وتآلفا، فضلا على ما في القرآن الكريم من ترديد الحرف التزاما في كثير من فواصل السور التي قد تشمل آيات السورة كلها، كما هو شأن السجع.

(1) النبأ العظيم: محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، بيروت ، ط2 ، 2005م ، ص135

المطلب الثاني – السجع:

ويسمّى أيضا التسجيع.

"وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا معنى قول السكاكي: الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر"[1].

وقد عرَفَ هذا المصطَلَحُ اختلافاً بين العلماء في إطلاقه على هذه الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، فمنهم مَنْ أنكر وجودَ السجْع في القرآن وأتى بمصطلح "الفاصلة" ليعبّر عن تلك الظاهرة، وخصُّوها بنهايات الآيات القرآنية.

وحتى قولنا (نهايات الآيات) لم يكُن من تعبيرهم بل كانوا يُسمُّونها (رؤوس الآيات)[2]، تمييزاً لها عن مصطلحات الشعر والنثر، ففي الشعر نقول: صدر البيت وعجزه، وفي النثر نقول بداية الجملة ونهايتها، فبداية الآية عندهم كنهايتها: رأس، أي مستوى من الارتفاع والارتقاء لا ينتهي ولا يهبط أبداً، والوقف عند الرأس يُشعر بأنّ آيات القرآن قِمم يرقى القارئ إليها، وكلّما مضى في القراءة ازداد رقياً.

ومن أشهر مَنْ رفضوا إطلاق السجع على القرآن: الباقلاني (المتوفى:403هـ) في كتابه "إعجاز القرآن"، والرمّاني (المتوفى:386هـ) في كتابه

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني ص 402

(2) ينظر مثلا معاني القرآن للفراء

"النكت في إعجاز القرآن"، والأول أشعريّ والثاني معتزليّ وكلاهما من المتكلِّمين.

يقول الباقلاني: "ذهَبَ أصحابُنا كلُّهم إلى نفي السّجْع من القرآن وذكره الشيخ أبو الحسن الأشعريّ رضي الله عنه في غير موضعٍ من كتبه"[1]. ويقول في موضع آخر: "فبان بما قلنا أنّ الحروفَ التي وقعَتْ في الفواصل متناسبةً – موقعَ النظائر التي تقع في الأسجاع– لا يُخْرِجُها عن حَدِّها ولا يُدخلها في باب السجع"[2].

ويقول الرمّاني:"الفواصلُ حروفٌ متشاكلة في المقاطع توجِبُ حُسْنَ إفهام المعاني. والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أنّ الفواصلَ تابعةٌ للمعاني، وأمّا الأسْجاعُ فالمعاني تابعةٌ لها"[3].

لكنّ أكثر البلاغيين لم يتّبعوا هذه التفرقة بين الفواصل والأسجاع، فأبو هلال العسكري يقول بوجوده في القرآن، ويصرّح في (الصناعتين) بأنّ "جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالفٌ في تمكين المعنى، وصفاء اللّفظ، وتضمُّن الطّلاوة والماء لما يجرى مجراه من كلام الخلق"[4]، وابن سنان الخفاجي تصدّى أكثر للردّ على من نفَوْا السجع عن القرآن، وفرّقوا بينه وبين

(1) إعجاز القرآن: الباقلاني تحقيق أحمد صقر دار المعارف مصر ط5 1997م ص 58

(2) نفسه: ص 64

(3) النكت في إعجاز القرآن: الرماني ت (محمد خلف الله ومحمد زغلول) دار المعارف مصر ط3 1976 ص97

(4) الصناعتين: أبو هلال العسكري ص 266

الفواصل، قال: " وأما الفواصل التي في القرآن فإنهم سمّوها فواصلَ ولم يسمُّوها أسجاعاً وفرّقوا فقالوا: إنّ السجْعَ هو الذي يُقصد في نفسه ثم يُحْمل المعنى عليه، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة... وهذا غير صحيح، والذي يجب أنْ يُحَرَّرَ في ذلك أنْ يقال: إنّ الأسجاعَ حروفٌ متماثلة في مقاطع الفصول على ما ذكرناه، والفواصل على ضربين: ضربٌ يكون سجعاً وهو ما تماثلَتْ حروفُه في المقاطع، وضَرْبٌ لا يكون سَجْعاً وهو ما تقابلت حروفه في المقاطع ولم تتماثلْ، ولا يخلو كلٌّ واحد من هذين القسمين -أعني المتماثل والمتقارب- من أنْ يكون يأتي طوْعاً سهلاً وتابعا للمعاني، وبالضدّ من ذلك حتى يكونَ متكلفاً يتبعه المعنى؛ فإنْ كان من القسم الأول فهو المحمودُ الدالّ على الفصاحة وحسن البيان، وإنْ كان من الثاني فهو مذمومٌ مرفوض"[1].

ونبّه ابنُ سنان على سبب الرافضين لوجود السجع في القرآن، أنّ الذي دعاهم إلى تسمية كلّ ما في القرآن فواصل، ولم يُسمّوا ما تماثلَتْ حروفُه سَجْعاً هي الرغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المرويّ عن الكهنة وغيرهم[2].

وكذلك ابنُ الأثير لم ينْفِ إطلاق مصطلح السجع على القرآن، وعنده "لو كان مذمومًا لما ورد في القرآن الكريم، فإنه قد أتى منه بالكثير، حتى إنه

(1) سرّ الفصاحة: ابن سنان الخفاجي ص 172

(2) ينظر نفسه: ص 174

ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة، كسورة الرحمن، وسورة القمر، وغيرهما، وبالجُمْلة فلم تخل منه سورة من السور"[1].

وحدّد ابن الأثير للسجع أربعة شروط تجعله محمودا، ومن دونها يصيرا مذموما مرذولا[2]:

الأولى: اختيار مفردات الألفاظ.

والثانية: اختيار التركيب.

والثالثة: أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعًا للمعنى لا المعنى تابعًا للفظ.

والرابعة: أن تكون كلّ واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالَّة على معنى غير المعنى الذي دلَّتْ عليه أختها.

هذه بعض الأقوال في السجع والفواصل القرآنية، من موافقين ومخالفين، وكلّ طرف كانت له حُجَجه وأدلّته التي يستند إليها.

وقد اهتمَّ البلاغيون بالسجْع ووضَعُوا له تفريعاتٍ متنوّعةً ومختلفة، وشروطَ حُسْنٍ وجودة، وضَرَبوا لتلك الأقسام من مختلف التمثيلات: من القرآن الكريم، والحديث النبوي، ومنثور العرب وأشعارهم، وحتى مما يُستهْجَن منه في نثرهم وشعرهم.

ومن بين تلك التفريعات المهمّة أنه ثلاثة أقسام:

---

(1) المثل السائر: ابن الأثير ج1 ص 210

(2) ينظر نفسه ج1 ص 215

– **السَّجْعُ المرصَّع**: ويُسمَّى الترصيع أيضا عند بعض البلاغيين، وهو أنْ تكونَ الألفاظُ المتقابلة في السَّجْعَتَيْن متَّفقةً في أوزانها وفي أعْجَازِها أي في الحرف الأخير من كلّ متقابلَيْن فيها.

ومن أمثلته في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية: 25 - 26].

فالتقابُلُ في كَلِمَاتِ الفقرتين يُلاحَظُ فيه الترديد في الأوزان وفي الحرف الأخير:

إنّ – إِلَيْنَا – إِيَابَهُمْ .

إنَّ – عَلَيْنَا – حِسَابَهُمْ.

أمّا (ثُمَّ) فهي بمثابة مشترك بين الفقرتين.

ومنه أيضا:

﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ، وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ، وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الغاشية:28-30].

﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً﴾ [المرسلات :1-2].

– **السَّـجْع المتـوازي**: أنْ تكـون الكلمتـان الأخـيرتان مـن السّجْعَـتَيْن متَّفِقَتَيْن في الوزن وفي الحرف الأخير منهما، مع وجود اختلافٍ ما قبلهما في الأمرين، أو في أحَدِهما.

ومن الأمثلة القرآنية:

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية:13-14] .

كلمتا: (مَرْفوعَة) و(موضوعة) يتردّدُ فيهما الوزن والحرف الأخير، لكنّ ما قبلهما وهما: (سُرُرٌ) و(أَكْوَابٌ) غير مُتَّفِقَتين فيهما.

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم:1-2].

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة:30-31].

– **السَّجْعُ الْمُطَرَّف**: أنْ تكونَ الكَلِمَتان الأخيرتان من السَّجْعتين مختلفتين في الوزْن، متفقَتَيْن في الحرف الأخير، وعندئذٍ لا يُنْظَرُ إلى ما قبلهما في الاتِّفاق أو الاختلاف.

ومن الأمثلة القرآنية:

﴿مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ [نوح:13-14] .

كلمتا: (وَقَارا) و(أَطْوَارَا) يتردّد فيهما الحرف الأخير؛ ومختلفتان في الوزن.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ:6-7].

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا، أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم:77-78].

هذه الفروع الثلاثةُ كما نرى تتمايز من خلال متغيّرٍ أسلوبيّ اعتمد عليه البلاغيون القدماء في تفريع السجع وتصنيف أشكاله؛ إذ اعتبروا الوزن – بما له من شأنٍ في تكثيف الإيقاع– مبدأً أساسياً في تحديد وضْعِ الفروع على سُلَّم الترتيب والقيمة، إلاّ أنَّ الوزنَ باعتباره مُتَغيّراً لا يُعيّنُ حقيقةَ السجْع ولا يُوَضِّحُ

ماهيته، فلو انْتَفى وجودُه في كلّ تلك الأقسام الثلاثة لظلَّتْ حقيقة السجع فيها، ولو انتفى التواطؤ على حرفٍ واحد في النهاية لبَطلَتْ حقيقة السجع.

ثمّ إنْ كان له قيمةٌ صوتية ترجع إلى موسيقاه الذي يتردّد في السمع، فإنّ له في الوقت ذاته قيمةً فكرية ترجع إلى دلالته، وهاتان القيمتان ترتبطان برباط وثيق، ولا يُتصوّر أنْ يخلو أحدُهما عن اقترانه بصاحبه.

وقد قرَّر أكثرُ الدارسين أنَّ السجْعَ وانسجامَه الصوتيّ لم يكن لرعاية اللَّفظ على جانب المعنى في القرآن، وأنّ طريقة صياغة الآيات قد رُوعيت من أجل المعنى فكانت أنسب من حيث الترديدُ الصوْتي في فواصل السّوَر؛ فكان التوازي الصوتي لهذا النمط التعبيري يتلازم دائما مع التوازي الدلالي.

والترديد الصوتي في السجع له قيمته الفنية في الدلالة الكلِّية للنصّ، إذ هو يُشكِّلُ تراكماتٍ موسيقية تشحَنُ التعبير بطاقاتٍ إيحائية في خدمة الأداء الجمالي.

فسورة القمر بما تتميّز من فقرات ذات ختم صوتي ثابت، إذا ابتدأنا في تلاوتها فإننا نجد هذا الصوت الثابت يرجع بسُرعة، مما يجعله يتردّد على فترات متقاربة فيكثُر وقْعُه ويقوى أَثَرُه، ويُحْدِث تراكُما إيقاعيا مُنتظما، فيفْرِضُ بذلك مكانه في صُوَر التعبير، ويكون رافدا من روافد دلالة النصّ.

قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (3) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (4) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (5) فَتَوَلَّ

عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (6) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (8) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (9) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (10) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (11) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (12) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (14) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (15) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (16) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (17) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (18) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (19) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (20) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (21) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (22)﴾ إلى آخر السورة.

نلاحظ نغم الراء مُتردِّدا فيها أكثر من مئة مرّة؛ مع انتظامه في آخر آيات السورة البالغة عددها خمس وخمسون آية، وما يُؤدِّيه هذا الصوت الموحي بالشدَّة بطبيعة نُطقه الذي يحدُثُ بضرباتٍ عديدة ومتردِّدة من اللسان على اللَّثة، وأنَّ ترديده يوحي بواقعية ترديد العذاب على من كفر بآيات الله المنزلة على الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فالله سبحانه يُعيد عليهم العذاب ويكرّر المأساة ثانية على الكفرة الكذابين بعد أنْ سيق العذاب على من سلف من أصنافهم في الأديان السابقة، فَضْلاً عن تناسُق هذا الإيقاع الصوتي مع سياق السورة المتمثّل بحلقة "عذابٍ رهيبة سريعة لاهثة مكروبة يشهدها المكذبون،

وكأنما يشهدون أنفسهم فيها ويحسّون إيقاعات سياطها فإذا انتهت الحلقة وبدأوا يسْتَرِدُّون أنفاسَهُم اللاهثة المكروبة عاجلتهم حلقة جديدة أشدّ هَوْلاً ورُعْباً، وهكذا تَنْتهي الحلقات السبعة في هذا الجوّ المفزع الخانق فيظلّ المشهد الأخير في السورة فإذا جوّ آخر ذو ظلال أخرى، وإذا هو الأمن والطمأنينة والسكينة"[1] ، وهو مشهد ذو "إيقاع هادئ يرسُم للنعيم صورة شاملة في تعبير يلقي ظلال النعماء واليسر في لفظ ناعم منساب ذي جرس يوحي بالسهولة والسلاسة فضلاً عما يوفره الإيقاع الصوتي المتمثل في تكرار صوت الراء في نهاية فواصل المشهد، الذي يفيد التكرار فكأن المتقين في جنات ونعيم دائمين لا ينقطعان، وهذا هو النعيم الأبدي والحسي والمعنوي المتمثل في المقطع الثاني"[2]؛ إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ؛ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 54-55]. ولعلّ القيمة الأسلوبية لترديد صوت الراء تكمُن في استعماله في عموم السورة وانتقاله من نغم عاصف هادر إلى نغم ملاطف موادع، إذ بدأت شديدة وعنيفة، وانتهت هادئة آمنة[3].

---

(1) في ظلال القرآن: سيد قطب دار الشروق ج6 ص 3425

(2) الإيقاع في لغة القرآن الكريم-دراسة أسلوبية دلالية-: عبد الواحد زيارة، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الآداب، 1995م: ص 158-159

(3) ينظر إعجاز القرآن -دراسة كاشفة لخصائص البلاغة ومعاييرها- : د عبد الكريم الخطيب، دار الكتاب العربي، مصر، ط1، 1964م؛ ج1 ص 382

لقد شحنت الراء بشحنات أسلوبية تتمثل في كيفية مطابقتها لسياق الحال فهي شديدة في ثلاث وخمسين آية، وهادئة في الآيتين الأخيرتين[1].

ولما كانت الراء ساكنة في نهايات الآيات فقد عمَّ اللفظة المختومة بالراء المشددة السكون أيضاً في خمس آيات هي:

- ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:2]
- ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:3]
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [القمر: 19]
- ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ [القمر:38]
- ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر:46]

ولما كانت الأسلوبية تُعنى بدراسة الخصائص اللغوية التي تنقل الكلام من وسيلة إبلاغ عادية إلى أداة تأثير فنية[2] فالملمح الأسلوبي في هذه الآيات هو الوقف على التضعيف للانسجام الموسيقي الفني[3]؛ مما يكوِّنُ فونيماً صوتياً ثانوياً يحمل قيماً أسلوبية تجعل الوقف متيحاً للنص القرآني حرية التحرُّك في

---

(1) ينظر السابق ج1 ص 383

(2) يُنظر البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب ص 136

(3) يرجّح د ابراهيم أنيس أن النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يقرأ كان لا يضعف الراء في هذه الآيات الخمس بل يقف عليها دون تضعيف للانسجام الموسيقي. ينظر من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية؛ ط2؛دت؛ ص 217

فواصل الآيات فضلاً عن تمكينه المعنى، وتوازنه للإيقاع الذي تُسهم الفواصل في تكوينه وإبرازه[1].

(1) ينظر الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري: عواطف كنوش مصطفى، أطروحة دكتوراه، أدب البصرة، 1995م؛ ص 96

وأيضا ينظر الإيقاع في لغة القرآن الكريم–دراسة أسلوبية دلالية–: عبد الواحد زيارة؛ ص 77

المطلب الثالث – الالتزام:

ويُسمَّى لزوم ما لا يلزم أيضا.

"وهو أنْ يجيء قبل حرف الرويّ وما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازمٍ في مذهب السجع"[1].

أو: "أنْ يلتزم الناثر في نثره، أو الشاعر في شعره قبل رويّ البيت من الشعر، حرفاً فصاعداً على قدر قوّته، وبحسب طاقته، مشروطاً بعدم الكُلفة"[2].

هذا النوْعُ يقومُ على ترْديدِ صَوْتٍ إضافيّ مع صَوْتِ السجع، فلا يخفَى أنّه عُنْصر موسيقيّ يوفّر انسجاما وتلاؤماً أعلى طبقةً من السجع، وجاء في القرآن بين آيتين إلى أربع آيات كحدٍّ أقصى في مواضعَ محدودةٍ منه، من غير كُلفة ولا قلق، بل سلاسةٍ ولين زاد إيقاعها تأثيرا وجمالا.

ومن نماذجه في القرآن الكريم:

﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201 - 202].

﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ [الواقعة:28-29].

﴿وَالطُّورِ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴾ [الطور:1-2].

﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ [التكوير:15-16].

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني ص 408

(2) تحرير التحبير: ابن أبي الإصبع ص 517

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ [الانشقاق:17-18].

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:9-10].

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ، وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم:2-3].

﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ، وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ، وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة:26-30].

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ، وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ، الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ، وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:1-4].

في هذه الآيات القرآنية ازدادَتْ مسافة التشابُه من حرْف إلى حرفَيْن اثنَيْن؛ وهما آخر ما يختم الكلمة، مما يزيد أكثر مُفاجأة المتلقِّي الذي ربما كان ينتظر ترديد حرْفٍ واحد فإذا بحَرْفَيْن معا يتردَّدان آخر الكلمة والكلام؛ وهذا الأسلوب فَضْلاً عن مجيئه في القرآن من غير كُلْفة وبأعذب ترديد وأحسنه، فقد جاء أنسب لسياقه وأحْكَم تناسُقا للفاصلة وآيتها.

فآياتُ الشرح الأخيرة وقع الالتزام فيها في أربع آياتٍ مُتوالية:

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ

وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ

كـلُّ كلمـةٍ ختاميـة تتكـوَّن في أصـلها مـن ثلاثـة حـروف سـاكنة الوسـط وتنتهـي بِــراءٍ مفتـوح (صـدر،وزر،ظهر،ذكر)؛ وكلُّهـا أضـيفت لكـاف الخطـاب المبني على الفتح الذي يتوجَّهُ إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام؛ فكاف الخطاب واحدة في الألفاظ الأربع وحرف الراء جزء من بناء الكلمة ولذلك طال هذا النوع من الالتزام.

المطلب الرابع – الجناس:

ويُسمَّى أيضا التجنيس والمجانسة والتجانس.

"الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس: كلُّها ألفاظٌ مشتقّة من الجنس. فالجناس مصدر جانس، والتجنيس تفعيل من الجنس، والمجانسة مفاعلة منه؛ لأنّ إحْدَى الكلمتين إذا شابهت الأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية، والتجانس مصدر تجانس الشيئان: إذا دخلا تحت جنس واحد"[1].

"وحقيقَتُهُ في مُصْطلح علماء البيان هو أنْ يتّفِقَ اللَّفْظتان في وجهٍ من الوجوه ويختلف معناهما"[2].

قال ابن الأثير: "اعلم أنَّ التجنيسَ غرَّةٌ شادخةٌ وجْهَ الكلام، وقد تصرَّف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه، فغرَّبوا وشرّقوا، لا سيّما المحْدَثين منهم، وصنَّف الناس فيه كتبًا كثيرة، وجعلوه أبوابًا متعدّدة، واختلفوا في ذلك، وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض، فمنهم عبد الله بن المعتز، وأبو علي الحاتمي، والقاضي أبو الحسن الجرجاني، وقدامة بن جعفر الكاتب، وغيرهم. وإنَّما سُمِّيَ هذا النوع من الكلام مجانسًا؛ لأنّ حروفَ ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد. وحقيقتُه أنْ يكون اللفظُ واحدًا والمعنى مختلفًا. وعلى هذا فإنه هو اللفظ المشترك، وما عداه فليس من التجنيس الحقيقيّ في شيء، إلاّ أنه قد خرج من

(1) أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم ج1 ص97

(2) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحي ابن حمزة العلوي ج2 ص185

ذلك ما يسمَّى تجنيسًا، وتلك تسمية بالمشابهة؛ لا لأنها دالّة على حقيقة المسمَّى بعينه"[1].

وقد وُضع لفنّ الجناس تقسيماتٌ كثيرة جدّا، تفرّعَتْ وتنوّعَتْ في كُتُب البلاغة، فبعدما عرّفَتْ كتبُ البلاغة الجناسَ أنه تشابهُ كلمتين في النطق واختلافُهُما في المعنى، انقَسَم هذا التشابه قسمين، فقد يكون تشابها تامّا يشمل جنس الحروف وعددها وضبطها وترتيبها، وقد يكون غير تامّ إذا اختلف طرفاه في واحد من الأمور الأربعة المتقدّمة. ثمّ تفرّع عن التامّ أقسام، وعن غير التامّ أقسام، وعن تلك الأقسام أقسام؛ وزادوا بعد ذلك في آخرها قسما يُلحق بالجناس.

وكثير منها مُتوفِّرٌ في القرآن الكريم، بأحسن صورة، وأعذب إيقاع؛ إذ الدلالة في هذا الأسلوب مختلفة بين الطرفين، والترديد هو في تلك الحروف التي تُحْدث في النفس لذّة، وترسم في الكلام جمالا؛ و"مناسبة الألفاظ تحدِثُ مَيْلاً وإصغاءً إليها، لأنَّ اللفظ المذكور إذا حمل على معنى، ثم جاء والمراد به معنى آخر، كان للنفس تشوّق إليه"[2]؛ كما قد يُحْدث الترنّمُ مفاجأة، بالانتقال إلى الطرف الثاني الذي يشبه الطرف الأول، فالمتوقّع أنْ يُؤدي التماثل الشكلي إلى تماثل دلالي، وهنا يحدث غير المتوقّع، إذ يقود التماثل إلى التخالف، فصار –

(1) المثل السائر: ابن الأثير ج1 ص262

(2) أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم ج1 ص97

كما قال عبد القاهر عن الجناس –"كأنّه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنّه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها"[1].

ولأن الترديد في الجناس التام يكون تاما، وفي غير التام يكون غير تام؛ انقسم الترديد معنا في هذا المطلب إلى قسمين:

- **الترديد التامّ:**

الترديد في هذا النوع يكون تاما، إذ تعاد الكلمة ذاتها بالحروف والعدد والضبط والترتيب؛ وتزداد مسافة التشابه من حرف في السجع وحرفين في الالتزام إلى كل الكلمة في الجناس؛ فتكون مفاجأة المتلقِّي أكثر خصوصا وأنّ المعنى يختلف بين طرفي الترديد.

ومثاله قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم:55].

ذكر أبو هلال العسكري وابن الأثير أنّه ليس في القرآن الكريم سوى هذه الآية من هذا النوع[2]. وهذا من ناحية الاشتراك اللّفْظي الذي يُبنى عليه الجناس حقيقةً، وإلاّ ففي القرآن ألفاظٌ عدَلَتْ عن دلالتها الأصلية في السياق، وصارت بدلالة أخرى عند بعض المفسّرين، فإذا ما تكرّر لفظٌ وعدلَتْ دلالةُ

(1) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني ت محمود شاكر، مطبعة المدني القاهرة،دار المدني جدة، دط دت: ص8

(2) ينظر الصناعتين ص 440 ، والمثل السائر ج1 ص263

أحدهما عن أصلها؛ وقَعَ بين اللّفْظين تغايرٌ في المعنى مع اتفاقٍ في المبنى، وصحّ بمفهومهم إيقاع الجناس.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:42].

(اصطفاك) الأولى بمعنى اختارك، والثانية بمعنى فضّلك، فالاتفاق في اللفظ دون المعنى.

وَتَكَرَّرَ فِعْلُ اصْطَفَاكِ لأَنَّ الاصطفاء الأوّل اصطفاء ذَاتِيٌّ، وَهُوَ جَعْلُهَا مُنَزَّهَةً زَكِيَّةً، وَالثَّانِي بِمَعْنَى التَّفْضِيلِ عَلَى الْغَيْرِ؛ فَلِذَلِكَ لَمْ يُعَدَّ الأَوَّلُ إِلَى مُتَعَلِّقٍ، وَعُدِّيَ الثَّانِي[1].

وقوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ، أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:7-9].

إنَّ كلاًّ من الألفاظ الثلاثة مغايرٌ لكلٍّ من الآخرَيْنِ، إذ الأوّل ميزان الدنيا، والثاني ميزان الآخرة، والثالث ميزان العقل[2].

---

(1) ينظر التحرير والتنوير ج3 ص244

(2) ينظر فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: زكريا الأنصاري ت محمد علي الصابوني دار القرآن الكريم بيروت ط1 1983 ص544 ، وملاك التأويل: الغرناطي ج2 ص461

وقوله تعالى:

﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ، يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾ [النور:43-44].

يَذْهَبُ بالأَبْصارِ لأُولي الأَبْصارِ بينهما جناس تامّ، لأنّ المراد بالأولى العيون، وبالثانية العقول والقلوب[1].

- **الترديد غير التامّ:**

الترديد هنا غير تامٍّ بالنظر إلى الكلمة، لاختلاف طَرَفَيْه في بعض الحروف أو عددها أو ضبطها أو ترتيبها؛ أو حتى بين طرفين يجمع بينهما الاشتقاق أو ما يشبه الاشتقاق؛ لملاحظة مسافة التشابه بينهما.

وقد استعمل القرآن الكريم من كلٍّ منها بعض النماذج:

- اختلافُ عدد الحروف:

أي تختلف أطراف الترديد من حيث الطولُ والقصر؛ فيكون أحدها جزءاً من الآخر.

كقوله تعالى:

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ [القيامة:29-30].

---

(1) ينظر التفسير المنير: وهبة الزحيلي دار الفكر المعاصر دمشق ط2 1418هـ ج 18 ص 262

﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [النحل:69].

﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ [طه:97].

﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص:45].

﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ﴾ [العاديات:11].

- اختلاف نوع الحروف:

تتشابَهُ أطراف الترديد في كلّ أجزائها إلاّ في جُزء واحد تتباين فيه، فيقع الترديد حقيقةً في الأجزاء الأخرى.

كقوله تعالى:

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام:26].

﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:22].

﴿وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ [الحشر:11].

﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:7-8].

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة:1].

ويدخل في هذا القسم ما يختلف فيه الحرفان بالنقط:

ومن أمثلته قَوْله تعالى:

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:79-80].

﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:104].

- اختلاف ضَبْط الحروف:

تتَّفِقُ أطراف الترديد في كلّ الأجزاء، وتختلف في هَيْئة بعض هذه الأجزاء.

كقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الصافات:72-73].

ولا يُقال إنَّ اللَّفْظين متَّحدان في المعنى لأنهما مشتقّان من الإنذار فلا يكون بينهما تجنيس؛ فاختلاف المعنى ظاهر؛ إذ المراد بالأول: الفاعلون وهم الرسل، وبالثاني: المفعولون وهم الذين وقع عليهم الإنذار[1].

- اختلاف ترتيب الحروف:

تختلف أطراف الترديد في ترتيب أجزاء كلّ طرَف.

كقوله تعالى:

﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [طه:94].

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء:33].

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر:3].

(1) ينظر خزانة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي ج1 ص87

- ترديد الاشتقاق وما يُشبهه:

وهو ما يجتَمِعُ فيه اختلافان أو أكثر مما سبق؛ فهذا النوْع تتَّفِقُ فيه أطراف الترديد في أكثر الأجزاء أو بعضها مع اختلافها في أكثر من وجه من وجوه الاختلاف السابقة. وكثير من نماذج هذا القسم يكون طرفاه من أصل اشتقاقيّ واحد؛ ومنها ما يكون غير ذلك ويدخل تحت مسمّى ما يشبه الاشتقاق.

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:276].

﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة:31].

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:79].

﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾ [التوبة:38].

﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:127].

﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا، وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف:53-54].

﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور:37].

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [الشعراء:168].

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:19-20].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم:43].

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:89].

﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف:127].

(أتذر موسى) بمعنى أتتوانى عن عقابه، و(يذرك): يرى"جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِتَرْكِهِ وَآلِهَتِهِ: عَدَمُ عِبَادَتِهِ وَعِبَادَتِهَا"[1].

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة:95].

"لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ لتصفَحُوا عنهم ولا تعاتبوهم فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ولا توبخوهم إِنَّهُمْ رِجْسٌ قذر، لخبث باطنهم، فيجب الإعراض عنهم"[2].

فالإعراض المقصود بالفعل المضارع مسامحة وغفران، ولكن المقصود بفعل الأمر مغاضبة وترك وإهمال.

---

(1) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): رشيد رضا الهيئة المصرية العامة للكتاب دط 1990 ج9 ص69

(2) التفسير المنير: وهبة الزحيلي ج11 ص 8

المبحث الثاني: الترديد النسَقي

المطلب الأوّل – الموازنة:

وتُسمَّى أيضا التوازن، والمتوازن، والمماثلة.

"وهي أنْ تكونَ الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية"[1].

يقول ابنُ الأثير: "وهي أنْ تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن، وأنْ يكون صدر البيت الشعري وعجُزه متساوي الألفاظ وزنًا؛ وللكلام بذلك طلاوة ورونق، وسببه الاعتدال؛ لأنه المطلوب في جميع الأشياء؛ وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلةً وقعت من النَّفس موقع الاستحسان، وهذا لا مراء فيه لوضوحه"[2].

فالوزن هو المقصود في هذا الترديد، بحيث تتوالى الحركات والسكنات بشكل متوافق متناسق يُعطي الكلام اعتدالا واتّزانا، ويقع في النفس موقع استحسان كما قال ابن الأثير.

وزاد البلاغيون أنه لو شمل الوزنُ ألفاظا من الفقرتين تزيد على الفاصلتين، فهذا أرقى وأكمل، وقد خصّه القزويني باسم المماثلة، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات:117-118].

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني ص 406

(2) المثل السائر: ابن الأثير ج1 ص291

فـالموازنة العاديـة هـي بـين: (المسـتبين) و(المسـتقيم)؛ فهمـا متمـاثلان في الزنة.

والموازنة الأعلى درجة هو توافق الوزن بين (الكتاب) و (الصراط) ، وبين (آتيناهما) و(هديناهما) نوعاً ما.

والقيمة الأسلوبية لهذا الفنّ جعلَتْ بعضَ الدارسين[1] يعدُّه أحدَ القوانين السبعة للإيقـاع[2]، واعتبر أنّ "قـانون التـوازن الصـوتي يتضـمّن في الوقـت نفسـه قانونين على الأقلّ هما قانون التساوي وقانون التوازي. فالتساوي معناه تساوي الأجزاء، والتوازي معناه توازيها"[3].

وبعضـهم[4] قسّـم الموازنـة إلى قسـمين، موازنـة كلّيـة وموازنـة جزئيـة، وقسّـم كلّ واحدٍ منهما إلى أقسام، من بينها التكرار والجناس والازدواج والطباق.

ومهما يكن من تعدُّد هذه المفاهيم فإنها تتّفِقُ كلّها على حدوث الموازنة في الصورة الصوتية للكلمات، حين يتوازن كلُّ لفظ صوتياً مع اللفظ المقابل له في العبارة التالية.

---

(1) ينظر الأسس الجمالية في النقد العربي: عز الدين اسماعيل دار الفكر العربي القاهرة 1992 دط ص:188-193

(2) وهي : النظام، والتغاير، والتساوي، والتوازي، والتوازن، والتلازم، والتكرار.

(3) الأسُس الجمالية في النقد العربي: عز الدين اسماعيل ص192

(4) ينظر المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله الطيب مطبعة الكويت ط3 1989 ج2ص342

وهذا الأسلوب الإيقاعي كثير في القرآن الكريم، كما قال ابن الأثير: "بلْ معظم آياته جارية على هذا النهج، حتى إنّه لا تخلو منه سورة من السور، ولقد تصفَّحْتُه فوجدْتُه لا يكاد يخرج منه شيء عن السّجْع والموازنة"[1].

وأمثلتها من كتاب الله عزّ وجلّ:

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ [الغاشية:15-16].

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا، وَنَرَاهُ قَرِيبًا، يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج:5-9].

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا، كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: 81- 82].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّياطِينَ عَلَى الْكافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا، فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: 83- 84].

﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وِزْراً، خالِدِينَ فِيهِ وَساءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ حِمْلاً﴾ [طه:100-101].

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ، إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق:1-4]. فالطارق والثاقب وحافظ متماثلون في الزنة.

ونتأمّل أيضا فواصل هذه الآيات من سورة الشورى:

(1) المثل السائر: ابن الأثير ج1 ص293

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (16) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (17) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (18) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (19) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (20) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (21) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (22)﴾ [الشورى:16-22].

هذه الآيات جميعها على وزن واحد، فإنّ شديد، وقريب، وبعيد، وعزيز، ونصيب، وأليم، وكبير، كلّ ذلك على وزن (فعيل).

يقول محمّد عبد الله دراز وهو يتحدّث عن إعجاز القرآن في هذا الباب:

"دع القارئ المجود يقرأ القرآن يرتّله حق ترتيله نازلا بنفسه على هوى القرآن، وليس نازلا بالقرآن على هوى نفسه؛ ثم انتبِذْ منه مكانًا قصيًّا لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومدّاتها وغُنّاتها، واتصالاتها وسكتاتها؛ ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية، وقد جُرّدت تجريدًا وأرسلت ساذجةً في الهواء؛ فستجد نفسك منها بإزاء لحنٍ غريب عجيب لا تجده في كلام آخر لو جُرّد هذا التجريد، وجُوّد هذا التجويد؛ ستجد اتساقًا وائتلافًا

يسترعي من سمعك ما تسترعيه الموسيقى والشعر، على أنه ليس بأنغام الموسيقى ولا بأوزان الشعر، وستجد شيئًا آخر لا تجده في الموسيقى ولا في الشعر. ذلك أنك تسمع القصيدة من الشعر فإذا هي تتّحد الأوزانُ فيها بيتًا بيتًا، وشطرًا شطرًا، وتسمع القطعة من الموسيقى فإذا هي تتشابه أهواؤها وتذهب مذهبًا متقاربًا، فلا يلبثُ سمعك أنْ يمجّها، وطبعُك أن يملّها، إذا أعيدت وكُرّرت عليك بتوقيع واحد؛ بينما أنت من القرآن أبدًا في لحنٍ متنوّع متجدّد، تنتقل فيه بين أسباب وأوتاد وفواصل على أوضاعٍ مختلفة، يأخذ منها كل وتَرٍ من أوتار قلبك بنصيبٍ سواء، فلا يعروك منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأم، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد"[1].

(1) النبأ العظيم: محمد عبد الله دراز ، ص134

المطلب الثاني – الازدواج[1]:

تحدَّثَ عنه أبو هلال العسكريّ في كتابه الصناعتين، قرَنَهُ مع السجع وقدَّمهُ بالحديث في الباب الثامن من كتابه، قال: "لا يحسُنُ منثورُ الكلام ولا يحلو حتى يكونَ مُزْدَوجا، ولا تكاد تجدُ لبليغٍ كلاماً يخْلو عن الازدواج، ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن؛ لأنه في نظمِه خارجٌ من كلام الخلق وقد كثُر الازدواجُ فيه"[2].

وميَّز بين نوعَيْن من الازدواج في القرآن:

الأوّل: ما حصَلَ في وسط الآية الواحدة، كقول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:1].

والثاني: ما حصل بين آيتين فأكثر، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ، وَإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح:7-8].

ووضع أبو هلال نقطتين هامَّتين ليحسُن للازدواج:

الأولى: إن أمكن أن تكون الأجزاء متعادلةً كان أجمل، وإنْ لم يمكن أن تكون متعادلة فينبغي أن يكون الجزء الأخير أطول. فإذا اختلَّ هذا الشرط بحيث يُؤتى بالجزء الأوّل طويلا فيُحتاج إلى إطالة الثاني ضرورةً كان هذا عيبا عند أبي هلال وسمّاه التطويل. وقد استدرك أبو هلال أنّه قد جاء في كثير من

---

(1) اعتمدنا هنا مفهوم أبي هلال للمصطلح، نظرا لأهمّية حديثه عنه ولاختلاف مفهومه عن كثير من البلاغيين، ولم تكُن تلك المفاهيم الأخرى من مراد بحثنا.

(2) الصناعتين: أبو هلال العسكري ص266

ازدواج الفصحاء ما كان الجزء الأخير منه أقصر، حتى جاء في كلام النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء كثير[1].

أمّا الثانية: فينبغي أيضا أن تكون الفواصل على زنة واحدة، حتى وإن لم يمكن أن تكون مسجوعة، فيقع التوازن والتعادل. فإن أمكن أنْ يكون كلّ فاصلتين على حرف واحد، أو ثلاثِ فواصل، أو أربع فواصل لا يتجاوز ذلك كان أحسن؛ فإن جاوز ذلك نسب إلى التكلُّف. وإذا كانت فاصلة الجزء الأول على غير وزن فاصلة الجزء الثاني كان هذا عيباً عند أبي هلال سمّاهُ التجميع[2].

إنّ الازدواجَ الذي يتحدَّثُ عنه أبو هلال هو تلازم جملتين أو جملٍ متعدّدة، بحيث يُراعى في تجاورها عوامل الطول والقصر من جهة، وأواخر تلك الجمل -بمعنى فواصلها- من جهة أخرى؛ وكلّ ذلك يشكّل مراكز ثقل في توازن النصّ عموما؛ فإن ضُبط طول الجُمْلة وقصرها مراعاةً مع صاحبتها، وضُبطت أوزان الفاصلتين، وتوالت هذه العناية لكلّ الجمل، أعطى لتشكيلها في النصّ إيقاعا بديعاً، يحقّق هذا الإيقاعَ ما في هندسة الجمل من رونق التوازن وحسن التعادل.

(1) ينظر السابق ص269-270

(2) ينظر نفسه: ص269-270

وكلّ القرآن الكريم هو مثال للازدواج، و"جميع ما في القرآن مما يجرى على التسجيع والازدواج مخالفٌ في تمكين المعنى، وصفاء اللفظ، وتضمُّن الطَّلاوة والماء لما يجرى مجراه من كلام الخلق"[1].

قال تعالى:

﴿أَنْ لَوْ نَشاءُ أَصَبْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾ [الأعراف:100].

﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة:267].

﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:21].

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:9-10].

﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر:1-2].

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكى، وَأَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَأَحْيا﴾ [النجم:43-44].

أطرافُ الترديد في هذا الأسلوب هي أجزاء الازدواج؛ فكأنَّ كلّ جُزء من أجزاء الازدواج ترديد شكليّ للجُزء الآخر، فلِتَلازُم أطرافه وغالباً ما يكونان اثنيْن سُمِّيت هذه الظاهرة بالازدواج، مع اخْتِلاف الطرفَيْن ظاهرا وباطنا، طُولا وقِصرا؛ إلاَّ أنَّ تلازُمَهُما يُوحي بالترديد المتضمَّن فيهما.

(1) السابق ص266

المطلب الثالث – الترديد الرقمي:

نقصد به ترديد بعض الألفاظ بعددٍ مُعيَّن في كلّ سور القرآن جملةً؛ وهذا النوع ظهر حديثا وهو يعتمد ملاحظة أعداد الحروف أو الألفاظ وإظهار ما فيها من جمال عددي والنفوذ منه إلى الجمال البياني فالإعجاز.

وقد ظهَرَتْ مُؤلَّفات عديدة في الإعجاز العددي، كلُّها تحاول إثبات إعجاز القرآن الكريم بالاعتماد على الإحصاء. فكثيرا ما نجد لفظتين مُتضادّتين أو متقابلتين تكرّرتا في القرآن بالعدد نفسه؛ وكثير من الألفاظ تردّد بعدد مخصوص، وقد يكون واضحا سرّ ذلك العدد، وقد يخفى ويكتفي الدارسون بإيراد الإحصاء دون ذكر السبب الذي كان من أجله ذلك الرقم بالذات.

ومن النماذج:

ترديد لفظة الملائكة يساوي ترديد لفظة الشيطان وبلغ عددها 68 مرة.

ترديد لفظة الملائكة بمشتقاتها يساوي ترديد لفظة الشيطان بمشتقاتها وبلغت 88 مرة.

ترديد لفظة الحياة بمشتقاتها يساوي ترديد عدد ألفاظ الموت بمشتقاته وبلغت 145 مرة.

ترديد لفظة الدنيا يساوي ترديد لفظة الآخرة وبلغت 115 مرة.

ترديد لفظة الشدة بمشتقاتها يساوي ترديد لفظة الصبر بمشتقاتها وبلغت 102مرة.

ترديد لفظة العقل بمشتقاتها يساوي ترديد لفظة النور بمشتقاتها وبلغت 49مرة.

ترديد لفظة المصيبة بمشتقاتها يساوي ترديد لفظة الشكر بمشتقاتها وبلغت 75مرة.

ترديد لفظة إبليس يساوي ترديد عدد الاستعاذة بالله وبلغ 11 مرة.

ترديد لفظة الرغبة بمشتقاتها يساوي ترديد لفظة الرهبة بمشتقاتها وبلغت 8 مرات.

ترديد لفظة الشهر بلغ عددها 12 مرة، وترديد لفظة اليوم بلغ عددها 365 مرة.[1]

إنَّ هذا الترديد الدقيق والمتوازن وهذه التوافقات العجيبة فيه تُعدُّ وجها من وجوه الإعجاز القرآني، وتدلُّ على حكمة بديعة مودعة بين حروفه وألفاظه؛ ولا يمكن أن تكون صدفة أو حادثة عفوية لأنه ترديد مقصود بتلك الأرقام، وتناسُق فوق طاقة الأنام.

وما زال هذا الوجه الإعجازي حديث السنّ، وحاول فيه كثير من الدارسين ولا يزالون يحاولون بما تسمح لهم عقولهم وتنقدح به قلوبهم، ليضيفوا ويبيّنوا ويثبتوا به عظمة وإعجاز القرآن الكريم.

---

(1) وللمزيد من النماذج ينظر الإعجاز العددي للقرآن الكريم: عبد الرزاق نوفل دار الكتاب العربي بيروت ط 5 ت 1987م

الباب الثالث

بلاغة أساليب الترديد في القرآن

الفصل الأوّل: دلالات الأساليب الترديدية المتقاربة الأطراف

الفصل الثاني: دلالات ترديد القصص

* * *

قد رأينا في الفصول السابقة مدى تنوُّع الأساليب الترديدية التي وظفها القرآن، وقد اختلفت حسب الشكل وحسب المضمون، وإن كان بدهيا استحالة الفصل بين الشكل والمضمون إلاّ أنّ طبيعة البحث فرضت علينا هذه القسمة التجريدية، كما كان طبيعيا أنّ ما يعود تحت أساليب الترديد اللغويّ كلّه يعود بالضرورة لأساليب الترديد الإيقاعي، فالصورة هي هي قد تردّدت، لذلك كانت دلالاتُ تلك الأساليب ازدواجيةَ الوظيفة: معنى وإيقاعا، ونحن هنا سنعرض بشيء من التفصيل التمثيلي بلاغةَ كل الأساليب الترديدية التي مرّت معنا، ما هي دلالاتها في القرآن الكريم؟ ، وحتما سنرى أنّ بعض تلك الأساليب ستتضافر فيه أكثر من دلالة، ويحمل في طياته أكثر من غرض، وكلها مسوقة في خصوص السياق القرآني، والذي هو المثل الأعلى للبيان العربي، والذي يجب أن تُتّبع خطاه ويُقتفى أثره، حتى يبلغ الأديب درجةً أرقى في أسلوبه وكتاباته.

وباستقراء جلّ ما كتبه علماؤنا في تحديد دلالات الترديد في القرآن الكريم، وجدنا عدداً من الأغراض والفوائد، منها ما هو من صميم بلاغتها، ومنها ما هو إضافيّ طارئ لمقامه، وتبيّن أنهم اشتركوا في العديد منها، وتميّز أكثر من واحد باجتهاده في بعضها؛ لأنّ البلاغة تعْتَمد في صميمها على الذوْق السليم والحسّ المرهف والمادّة الغزيرة في استِكْنَاهِ مكامِنِ الجمال والتأثير.

ويُعدُّ الزركشيُّ مِنْ أوائل مَن أشار في كتابه إلى بعض الفوائد البلاغية للتكرار، بلغت سبع فوائد –كما مرَّ معنا–؛ وكثير ممّن أتوا بعده أخذوها نصّا

أو أضافوا بعض ما تنبَّهوا له من أغراضٍ أُخَر، وقد اتَّسَمَتْ جُهودُ القدامى باستقصاء ما أمْكن من أنواع الفوائد، في حين اتّسَمَتَ جُهُودُ المحدثين في أغلبها على التصنيف.

وسنعْرِض في هذا الباب أهمَّ ما جاءَتْ لأجله أساليبُ الترديد في القرآن على فصلين:

الفصل الأوّل: نعرض فيه دلالات الأساليب التي تقارب طرفاها.

الفصل الثاني: نعرض فيه دلالات القصص القرآني باعتباره النوع الغالب في الترديد الموضوعي (أي الذي تباعد طَرَفَاه).

الفصل الأوَّل

دلالات الأساليب الترديدية المتقاربة الأطراف

* * *

أوّلا – التأكيد:

أغلَبُ الدارسين يُجْمِعون على هذا الغرَض، ويجعلونه شاملاً لأغْلَب أساليب التردْيد، فهو بمثابة غرضٍ عامّ لها، وما بقي يصِحُّ أنْ ينْضويَ كغرَضٍ خاصٍّ معها.

والتأكيد في الكلام يكون لأجْل التركيز على المؤكَّد وتقريره في نفس المتلقِّي.

ومنه في القرآن الكريم:

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح:5-6].

﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر:3-4].

فالتوكيد بالتكرير أبلغ في التأثير.

بعضُ المفسِّرين ينظر لطرَفَيَ الترديد – في بعض أساليبه – أنّهما متماثلان، فالأوّل هو نفسه الثاني، وذُكِرَ الثاني تأكيداً للأول، أمّا بعضُهم فيعدُّ الطرفَ الثاني متعلِّقا بجهةٍ في المعنى تختلف عن جهةِ تعلُّق الطرَف الأوّل، ليصل في الأخير إلى أنّ طرفَيَ الترديد ليسا شيئا واحدا في الدلالة وإنما هما شيئان متشابهان ظاهرا.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ المقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:10-11].

فلفظة (السابقون) الثانية هي تأكيد، كأنه قال: هم المعروفُ حالُهم، المشهورُ وصفهم. أما عند بعضهم فالمعنى: والسابقون إلى طاعة الله، هم السابقون إلى رحمته وكرامته[1].

وقد أشار الزركشيُّ إلى هذا بقوله: "فإنَّ التَّأكِيدَ يُقَرِّرُ إِرادَةَ معنَى الأوّلِ وعدَمَ التّجَوُّزِ، فَلِهذا قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر:3-4]، إِنَّ الثَّانِيَةَ تَأسِيسٌ لا تَأكِيدٌ، لأَنَّهُ جَعَلَ الثَّانِيَةَ أَبْلَغَ فِي الإِنْشَاءِ فَقَالَ: وَفِي (ثُمَّ) تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ الإِنْذَارَ الثَّانِيَ أَبْلَغُ مِنَ الأوّل؛ وكذا قوله: ﴿ما أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار:17-18]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر:19-20]، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ وَأَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَمَاثِلَيْنِ"[2].

وتحدَّث الزركشيُّ بعد ذلك عن التأكيد بتكرير الإنشاء، ففي الآيتين: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ دلالة الأولى الإنذار، ودلالة الثانية تأكيد الإنذار؛ فقد يُحتمل فيه أنْ يكونَ الإنذار الثاني هو الأوّل، أو أنْ يكون هناك إنذاران وهذا هو المسَمَّى عند الزركشيّ: تأكيدٌ بتكرير الإنشاء[3].

---

(1) ينظر فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: الأنصاري ص547

(2) البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج3 ص11

(3) ينظر نفسه ج3 ص12

لذلك قال صاحب كشف المعاني:

"قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾... إمّا توكيد للخبر، أو ستعلمون ما تلْقَوْنَ في الآخرة"[1].

إنَّ الآية الثانية من قوله تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عرفتْ كما مرَّ ثلاث حالات:

- تأكيد: الآية الثانية هي نفسها الآية الأولى، حدَثٌ واحد يُؤَكَّد بالترديد.
- تكرير إنشاء: الآية الثانية إنشاءٌ جديد للأولى، فهما حدَثان مُتماثلان.
- تأسيس: الآية الثانية أبلغ من الآية الأولى، فهما حدَثان غير متماثلين.

فحالة التأكيد الأولى تنظرُ لآية الترديد ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أنها الآيةُ نفسُها التي سَبَقَتْها ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وإنما ترددت تأكيدا لها وتقريرا في النفس؛ كقولنا مثلا (لقد جاء زيد لقد جاء)؛ فالمجيء واحد والترديد تأكيد.

وتكرير الإنشاء ينظر لآية ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أنها إنشاء جديد لآية ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي أنها حصلت مرّتين، كما هو الشأن في المثنّى، مثل (الْتَفَتَ زيد والْتَفَت) أي الْتَفَت الْتَفَاتَتَيْن.

---

(1) ينظر كشف المعاني في المتشابه من المثاني: ابن جُماعة ص371

والتأسيس ينظُر لآية ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أنها إنشاء أبلغ لآية ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، فالثانية أكبر حجما من الأولى، كأنها ضعفه أو أضعافه مما يجعلها تَبِين عنه من جهة الدلالة. كقولنا: انطلق زيد ثم انطلق كالبرق.

ومهما يكُن فإنَّ تكرير الإنشاء والتأسيس يتضمَّن معنى التأكيد ولو جُزئيا. لذلك صحّ إطلاق مُصطلح التأكيد على الكلّ عند كثير من المفسّرين، تفاديا للخوض في هذه التقسيمات المنطقية.

ومن النماذج أيضا قَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:42].

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة:198].

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ "اصْطِفَاءَيْنِ" وَ"ذِكْرَيْنِ" وَهُوَ الأَقْرَبُ فِي الذِّكْرِ لأَنَّهُ مَحَلٌّ طُلِبَ فِيهِ تَكْرَارُ الذِّكْرِ[1].

وقوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:93].

(1) ينظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج3 ص13

وَجُمْلَةُ (ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا) تَأْكِيدٌ لَفْظِيٌّ لِجُمْلَةِ (إِذا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) وَقُرِنَ بِحَرْفِ (ثُمَّ) الدَّالِّ عَلَى التَّرَاخِي الرُّتبيّ ليَكُون إيماءاً إِلَى الازْدِيَادِ فِي التَّقْوَى وَآثَارِ الإِيمَانِ، كَالتَّأْكِيدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَلاّ سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ:4-5]، وَلِذَلِكَ لَمْ يُكَرِّرْ قَوْلَهُ: (وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) لأَنَّ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ مَشْمُولٌ لِلتَّقْوَى. وَأَمَّا جُمْلَةُ (ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا) فَتُفِيدُ تَأْكِيدًا لَفْظِيًّا لِجُمْلَةِ (ثُمَّ اتَّقَوْا) وَتُفِيدُ الارْتِقَاءَ فِي التَّقْوَى بِدَلالَةِ حَرْفِ (ثُمَّ) عَلَى التَّرَاخِي الرُّتبِيّ، مَعَ زِيَادَةِ صِفَةِ الإِحْسَانِ[1].

ومنها:

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا، وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه:33-34].

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة:5].

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلاّ أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص:19].

كُرّرت (أنْ) في أربع مواضيع تَأكِيدًا.

وأيضا:

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر:11-12].

---

(1) ينظر التحرير والتنوير: ابن عاشور ج7 ص36

ثانيا – التطرِية والتجديد:

إِذَا طَالَ الْكَلامُ وَخُشِيَ تَنَاسِي الأَوَّلِ أُعِيدَ ثَانِيًا تَطْرِيَةً لَهُ وَتَجْدِيدًا لِعَهْدِهِ[1].

ويأتي الترديد هنا لطول الفصل الذي يكون بين ركني الجملة، فيعود ما كان أوّل الركن الأوّل إلى أوّل الركن الثاني حتى لا يقع قلقٌ أو اضطرابٌ في المعنى.

ومن أمثِلَته قولُه تعالَى:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:89].

(فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ): أَعَادَ (فَلَمَّا جَاءَهُمْ) وَهِيَ عَيْنُ الأولَى لِطُولِ الْفَصْلِ، وَوَصَلَ بِهِ الْجَوَابَ وَهُوَ (كَفَرُوا بِهِ)[2].

وقوله تعالى:

﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:188].

---

(1) ينظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج3 ص14

(2) ينظر تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): رشيد رضا ج1 ص316

جَاءَ تَرْكِيبُ الآيَةِ عَلَى نَظْمٍ بَدِيعٍ إِذْ حُذِفَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِفِعْلِ الْحُسْبَانِ الأَوَّلِ لِدَلالَةِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَهُوَ مَفْعُولُ (فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ).. وَأُعِيدَ فِعْلُ الْحُسْبَانِ فِي قَوْلِهِ: (فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ) مُسْنَدًا إِلَى الْمُخَاطَبِ عَلَى طَرِيقَةِ الاعْتِرَاضِ بِالْفَاءِ وَأُتِيَ بَعْدَهُ بِالْمَفْعُولِ الثَّانِي وَهُوَ:(بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذابِ) فَتَنَازَعَهُ كِلا الفِعْلَيْنِ[1].

وجُمْهُور الْمُفَسِّرِينَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ – تَعَالَى – : (فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ) تَأْكِيدٌ لِقَوْلِهِ: (لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ) كَمَا هُوَ مَعْهُودٌ فِي الْكَلامِ الْعَرَبِيِّ مِنْ إِعَادَةِ الْفِعْلِ إِذَا طَالَ الْفَصْلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْمُولِهِ[2].

وقوله تعالى:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:110].

أُعِيدَ (إِنَّ رَبَّكَ) ثَانِيًا لِطُولِ الفَصْلِ بَيْنَ اسْمِ إِنَّ وَخَبَرِهَا الْمُقْتَرِنِ بِلامِ الابْتِدَاءِ مَعَ إِفَادَةِ التَّأْكِيدِ اللَّفْظِيِّ[3].

وقوله تعالى:

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون:35].

---

(1) ينظر التحرير والتنوير: ابن عاشور ج4 ص194

(2) ينظر تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): رشيد رضا ج4 ص242

(3) ينظر التحرير والتنوير: ابن عاشور ج14 ص300

(أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ) إِعَادَة لِكَلِمَةِ (أَنَّكُمْ) الأُولَى اقْتَضَى إِعَادَتَهَا بُعْدُ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ خَبَرِهَا، وَتُفِيدُ إِعَادَتُهَا تَأْكِيدًا لِلْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ اسْتِفْهَامَ اسْتِبْعَادٍ تَأْكِيدًا لاسْتِبْعَادِهِ[1].

وقوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:63].

(مَنْ) شَرْطية جوابها محذوف مُقدَّر قبل قوله سبحانه: (فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ) أيْ: (فحقّ أنّ له نار جهنّم)، وقُدِّر ذلك لأنّ جوابَ الشرط لا يكون إلاّ جملة و(أنّ المفتوحةَ مع ما في حيّزِها) مُفْرَدٌ تأويلاً.. وقيل: المرادُ (فله نار جهنّم) وأنَّ تكريرَ (أنّ) في قوله سبحانه (أَنَّهُ): توكيد، وقيل: ليس كذلك لأنه لو كان المرادُ (فله) وكانت (أنّ) توكيدا لكان (نار جهنّم) مَرْفوعا ولم يعملْ (أنّ) فيه، ولماَ فُصل بين المؤكِّد والمؤكَّد بجملة الشرط، ولماَ وقع أجنبيٌّ بين فاء الجزاء وما في حيّزه. وأُجيب بأنّه من باب التكرير لبُعْد العَهْد وهو من باب التطرية ومثل ذلك لا يمنع العمل ودخول الفاء[2].

---

(1) ينظر السابق ج18 ص53

(2) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي تحقيق علي عبد الباري دار الكتب العلمية بيروت 1415هـ دط: ج5 ص318

ومن الأمثلة أيضا:

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:119].

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:4].

ثالثا – التعظيم والتهويل:

يأتي الترديد هنا قصد تصعيد الدلالة وشحنها بما يصوِّرُ للنفس كِبَرَ حَجْمها أو عِظَمَ خَطَرها.

كقوله تعالى في هذه الآيات:

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة:8-9].

(ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ): (ما) استفهامية مبتدأ ثان و(أَصْحابُ) خبره، والجملة خبر المبتدأ الأوّل والرابط الظاهر القائم مقام الضمير، وكذا يقال في قوله تعالى: (وَأَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ)، والأصل في الموضعين ما هم؟ أيْ: أيّ شيء هم في حالهم وصِفَتهم، فإنّ (ما) وإنْ شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنّها قد تُطلب بها الصفة والحال كما تقول ما زيد؟ فيقال: عالم، أو طبيب؛ فوُضِعَ الظاهرُ مَوْضعَ الضمير لكوْنه أدخل في المقصود وهو التفخيم في الأوّل والتفظيع في الثاني[1].

وقوله تعالى:

﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة:1-3].

(مَا) اسْمُ اسْتِفْهَامٍ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّهْوِيلِ وَالتَّعْظِيمِ كَأَنَّهُ قِيلَ: أَتَدْرِي مَا الحَاقَّةُ؟ أَيْ مَا هِيَ الحَاقَّةُ، أَيْ: شَيْءٌ عَظِيمٌ الحَاقَّةُ، وَإِعَادَةُ اسْمِ الْمُبْتَدَأِ فِي

(1) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي: ج14 ص131

الجُمْلَةِ الوَاقِعَةِ خَبَرًا عَنْهُ تَقُومُ مَقَامَ ضَمِيرِهِ فِي رَبْطِ الجُمْلَةِ المُخْبَرِ بِهَا، وَهُوَ مِنَ الإِظْهَارِ فِي مَقَامِ الإِضْمَارِ لِقَصْدِ مَا فِي الاسْمِ مِنَ التَّهْوِيلِ.. وَ(مَا) الثَّانِيَةُ اسْتِفْهَامِيَّةٌ، وَالاسْتِفْهَامُ بِهَا مُكَنًّى بِهِ عَنْ تَعَذُّرِ إِحَاطَةِ عِلْمِ النَّاسِ بِكُنْهِ الحَاقَّةِ لأَنَّ الشَّيْءَ الخَارِجَ عَنِ الحَدِّ المَأْلُوفِ لا يُتَصَوَّرُ بِسُهُولَةٍ فَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُتَسَاءَلَ عَنْ فَهْمِهِ، وَالخِطَابُ فِي قَوْلِهِ: (وَما أَدْراكَ) لِغَيْرِ مُعَيَّنٍ، وَالمَعْنَى: الحَاقَّةُ أَمْرٌ عَظِيمٌ لا تُدْرِكُونَ كُنْهَهُ.. و(مَا) الأُولَى اسْتِفْهَامِيَّةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي التَّهْوِيلِ وَالتَّعْظِيمِ.. لأَنَّ الأَمْرَ العَظِيمَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُسْتَفْهَمَ عَنْهُ فَصَارَ التَّعْظِيمُ وَالاسْتِفْهَامُ مُتَلازِمَيْنِ، وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ الاسْتِفْهَامَ إِنْكَارِيًّا، أَيْ لا يَدْرِي أَحَدٌ كُنْهَ هَذَا الأَمْرِ، وَالمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى كِلا الاعْتِبَارَيْنِ هُوَ التَّهْوِيلُ[1].

وقوله تعالى:

﴿الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:1-2].

إعادة لفظ (القَارِعَةُ) إظهارٌ في مقام الإضمار عُدل عن أن يقال: القارعة ما هيه، لماَ في لفظ القارعة من التهويل والترويع، وإعادة لفظ المبتدأ أغنت عن الضمير الرابط بين المبتدأ وجملة الخبر.. و(ما) استفهامية، والاستفهام مُستعمل في التهويل.. ومعنى (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ) زيادة تهويل أمر القارعة[2].

وقوله تعالى:

---

(1) ينظر التحرير والتنوير: ابن عاشور ج29 ص 113-114

(2) ينظر نفسه: ج30 ص510

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر:1-2].

(وَمـا أَدْراكَ مَـا لَيْلَـةُ الْقَـدْرِ) تَنْوِيـهٌ بِطَرِيـقِ الإِبْهَـامِ الـمُرَادِ بِـهِ أَنَّ إِدْرَاكَ كُنْهِهَا لَيْسَ بِالسَّهْلِ لِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الفَضَائِلِ الجَمَّةِ، وَكَلِمَةُ (مَا أَدْرَاكَ مَا كَذَا) كَلِمَةٌ تُقَالُ فِي تَفْخِيمِ الشَّيْءِ وَتَعْظِيمِهِ، وَالـمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ يُعَرِّفُكَ مَا هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، أَيْ يَعْسُرُ عَلَى شَيْءٍ أَنْ يُعَرِّفَكَ مِقْدَارَهَا[1].

ومن الأمثلة أيضا:

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ، فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ [الواقعة:27-28].

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ، فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ [الواقعة:41-42].

(1) ينظر السابق: ج30 ص 458

رابعا – الوعيد والتهديد:

ويكونُ حين يُنْتِجُ أسلوبُ الترديد بقيمته التعبيرية معنى التوعُّد والتهْديد، أو يُضاعف هذا المعنى إنْ كان واقعا في بناء التركيب.

ومن نماذجه قَوْله تَعَالَى:

﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر:3-4].

وَذِكْرُ (ثُمَّ) فِي الـمُكَرَّرِ دَلالَةٌ عَلَى أَنَّ الإِنْذَارَ الثَّانِيَ أَبْلَغُ مِنَ الأَوَّلِ وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى تَكَرُّرِ ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَإِنْ تَعَاقَبَتْ عَلَيْهِ الأَزْمِنَةُ لا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ تَغْيِيرٌ بَلْ هُوَ مُسْتَمِرٌّ دَائِمًا[1].

وقوله تعالى:

﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [القيامة:34-35].

فَقَوْلُهُ: (أَوْلى لَكَ) وَعِيدٌ، وَهِيَ كَلِمَةُ تَوَعُّدٍ تَجْرِي مَجْرَى الْمَثَلِ فِي لُزُومِ هَذَا اللَّفْظِ لَكِنْ تَلْحَقُهُ عَلامَاتُ الخِطَابِ وَالغَيْبَةِ وَالتَّكَلُّمِ، وَالـمُرَادُ بِهِ مَا يُرَادُ بِقَوْلِهِمْ: وَيْلٌ لَكَ، مِنْ دُعَاءٍ عَلَى الـمَجْرُورِ بِاللامِ بَعْدَهَا، أَيْ دُعَاءٍ بِأَنْ يَكُونَ الـمَكْرُوهُ أَدْنَى شَيْءٍ مِنْهُ.. وَقَوْلُهُ: (ثُمَّ أَوْلى لَكَ فَأَوْلى) تَأْكِيدٌ لِلدُّعَاءِ عَلَيْهِ وَلِتَأْكِيدِهِ السَّابِقِ. وَجِيءَ بِحَرْفِ (ثُمَّ) لِعَطْفِ الجُمْلَةِ دَلالَةً عَلَى أَنَّ هَذَا التَّأْكِيدَ ارْتِقَاءٌ فِي الوَعِيدِ، وَتَهْدِيدٌ بِأَشَدَّ مِمَّا أَفَادَهُ التهديد الأوّل وَتَأْكِيدُهُ[2].

---

(1) ينظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج3 ص17

(2) ينظر التحرير والتنوير: ابن عاشور ج29 ص 363-364

وقوله تعالى:

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ، لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:65-66].

اللاّم في قوله تعالى: (ليكفروا)، (وليتمتَّعوا) لامٌ مقصودٌ به التهديد والوعيد كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت:40] و﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ [هود:93] وقوله ﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:29].

(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ) فليس هؤلاء كلّ الناس، ولا يتناول الخطاب غير من ذُكر، فقوله بعد: (إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) يتناول جميع من شمله الضمير في قوله (ركبوا) وظاهر الخطاب تساوى هؤلاء في مُرْتكَبِهم، فالوعيد شاملٌ لجميعهم ومتناولٌ جملَتَهُم، فحَسُنَ توكيد الوعيد لشموله لهؤلاء المخصومين فقيل: (وليتمتَّعوا)[1].

(1) ينظر ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل: الغرناطي ج2 ص298

خامسا – التخصيص والتفسير:

ينـدَرِجُ في هـذا الغـرَض تقريبـاً كـلُّ أمثلـة الترديـد الـدلالي القريـب: ذكـر الخاصّ بعد العامّ وذكر العامّ بعد الخاصّ والإيضاح بعد الإبهام، وبعض حـالات التذييل.

ويُؤتى بهـذه الأسـاليب للاهتمـام الزائـد بالجـزء المـردّد مـن الدلالـة، إمّـا تخصيصا وإمّا إيضاحا.

ومن نماذج ذلك قَوْله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:93].

التَّقْوَى امْتِثَالُ الـمَأْمُورَاتِ وَاجْتِنَابُ الـمَنْهِيَّاتِ، وَلِذَلِكَ فَعَطْفُ (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) عَلَى (اتَّقَوْا) من عطف الخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، لِلاهْتِمَامِ بِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[البقرة:98]، وَلأَنَّ اجْتِنَابَ الْمَنْهِيَّاتِ أَسْبَقُ تَبَادُرًا إِلَى الأَفْهَامِ فِي لَفْظِ التَّقْوَى لأَنَّهَا مُشْتَقَّةٌ مِنَ التَّوَقِّي وَالكَفِّ[1].

(1) ينظر التحرير والتنوير: ابن عاشور ج7 ص35

وقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:33].

(مَا ظَهَرَ مِنْها) هُوَ مَا يُظْهِرُهُ النَّاسُ بَيْنَ قُرَنَائِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ مِثْلَ البِغَاءِ وَالمُخَادَنَةِ، وَ(مَا بَطَنَ) هُوَ مَا لا يُظْهِرُهُ النَّاسُ مِثْلَ الوَأْدِ وَالسَّرِقَةِ.. وَأَمَّا الإِثْمُ فَهُوَ كُلُّ ذَنْبٍ، فَهُوَ أَعَمُّ مِنَ الفَوَاحِشِ.. فَيَكُونُ ذِكْرُ الفَوَاحِشِ قَبْلَهُ لِلاهْتِمَامِ بِالتَّحْذِيرِ مِنْهَا قَبْلَ التَّحْذِيرِ مِنْ عُمُومِ الذُّنُوبِ، فَهُوَ مَنْ ذِكْرِ الخَاصِّ قَبْلَ العَامِّ لِلاهْتِمَامِ، كَذِكْرِ الخَاصِّ بَعْدَ العَامِّ، إِلاَّ أَنَّ الاهْتِمَامَ الحَاصِلَ بِالتَّخْصِيصِ مَعَ التَّقْدِيمِ أَقْوَى لأَنَّ فِيهِ اهْتِمَامًا مِنْ جِهَتَيْنِ.. وَعَطْفُ (البَغْيَ) عَلَى (الإِثْمَ) مِنْ عَطْفِ الخَاصِّ عَلَى العَامِّ لِلاهْتِمَامِ بِهِ[1].

وقوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:60].

عَطْفُ رِباطِ الخَيْلِ عَلَى القُوَّةِ مِنْ عَطْفِ الخَاصِّ عَلَى العَامِّ، لِلاهْتِمَامِ بِذَلِكَ الخَاصِّ[2].

---

(1) ينظر السابق: ج8 ص 100

(2) ينظر نفسه: ج10 ص 55

وقوله تعالى:

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾ [الرعد:17].

جُمْلَةُ (كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثالَ) مُسْتَأْنَفَةٌ تَذْيِيلِيَّةٌ لِمَا فِي لَفْظِ الأَمْثال مِنَ العُمُومِ، فَهُوَ أَعَمُّ مِنْ جُمْلَةِ (كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ وَالباطِلَ) لِدَلالَتِهَا عَلَى صِنْفٍ مِنَ المَثَلِ دُونَ جَمِيعِ أَصْنَافِهِ فَلَمَّا أُعْقِبَ بِمَثَلٍ آخَرَ وَهُوَ (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً) جِيءَ بِالتَّنْبِيهِ إِلَى الفَائِدَةِ العَامَّةِ مِنْ ضَرْبِ الأَمْثَالِ، وَحَصَلَ أَيْضًا تَوْكِيدُ جُمْلَةِ (كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ) لأَنَّ العَامَّ يَنْدَرِجُ فِيهِ الخَاصُّ.

فَإِشَارَةُ (كَذلِكَ): إِلَى التَّمْثِيلِ السَّابِقِ فِي جُمْلَةِ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً أَيْ مثلُ ذَلِكَ الضَّرْبِ البَدِيعِ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ، وَهُوَ المَقْصُودُ بِهَذَا التَّذْيِيلِ[1].

وقوله تعالى:

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل:5].

(1) ينظر السابق: ج13 ص 121

عطف (مَنافِعُ) عَلَى (دِفْءٌ) مِنْ عَطْفِ العَامِّ عَلَى الخَاصِّ لأَنَّ أَمْرَ الدِّفْءِ قَلَّمَا تَسْتَحْضِرُهُ الخَوَاطِرُ[1].

وقوله تعالى:

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص:5-6].

وَخَصَّ بِالذِّكْرِ مِنَ الْمَنِّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ عُطِفَتْ عَلَى فِعْلِ نَمُنَّ عَطْفَ الخَاصِّ عَلَى العَامِّ وَهِيَ: جَعْلُهُمْ أَئِمَّةً، وَجَعْلُهُمُ الوَارِثِينَ، وَالتَّمْكِينُ لَهُمْ فِي الأَرْضِ، وَأَنْ يَكُونَ زَوَالُ مُلْكِ فِرْعَوْنَ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي نِعَمٍ أُخْرَى جَمَّةٍ[2].

وقوله تعالى:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:27].

---

(1) ينظر السابق: ج14 ص 105

(2) ينظر نفسه: ج20 ص 71

الرَّأْفَةُ: الرَّحْمَةُ الـمُتَعَلِّقَةُ بِدَفْعِ الأَذَى وَالضُّرِّ فَهِيَ رَحْمَةٌ خَاصَّةٌ.. وَالرَّحْمَةُ: العَطْفُ وَالـمُلايَنَةُ.. فَعَطْفُ الرَّحْمَةِ عَلَى الرَّأْفَةِ مِنْ عَطْفِ العَامِّ عَلَى الخَاصِّ لاسْتِيعَابِ أَنْوَاعِهِ بَعْدَ أَن اهْتَمَّ بِبَعْضِهَا[1].

وقوله تعالى:

﴿وَقَضَيْنا إِلَيْهِ ذلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحِجْر:66].

(قَضَيْنا) قَدَّرْنَا، وَضُمِّنَ مَعْنَى أَوْحَيْنَا فَعُدِّيَ بِـ (إِلَى). وَالتَّقْدِيرُ: وَقَضَيْنَا ذَلِكَ الأَمْرَ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ، أَيْ إِلَى لُوطٍ- عَلَيْهِ السَّلامُ-، أَيْ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ بِمَا قَضَيْنَا. و(ذلِكَ الأَمْرَ) إِبْهَامٌ لِلتَّهْوِيلِ. وَالإِشَارَةُ لِلتَّعْظِيمِ، أَيِ الأَمْرُ العَظِيمُ. و(أَنَّ دابِرَ هؤُلاءِ مَقْطُوعٌ) جُمْلَةٌ مُفَسِّرَةٌ لِـ (ذلِكَ الأَمْرَ) وَهِيَ الـمُنَاسِبَةُ لِلفِعْلِ الـمُضَمَّنِ وَهُوَ (أَوْحَيْنَا)، فَصَارَ التَّقْدِيرُ: (وَقَضَيْنَا الأَمْرَ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ). فَنُظِمَ الكَلامُ هَذَا النَّظْمَ البَدِيعَ الوَافِرَ الـمَعْنَى بِمَا فِي قَوْلِهِ: ذلِكَ الأَمْرَ مِنَ الإِبْهَامِ وَالتَّعْظِيمِ. وَمَجِيءُ جُمْلَةِ (دابِرَ) مُفَسِّرَةٌ مَعَ صُلُوحِيَّةِ (أَنَّ) لِبَيَانِ كُلٍّ مِنْ إِبْهَامِ الإِشَارَةِ وَمِنْ فِعْلِ (أَوْحَيْنَا) الـمُقَدَّرِ المضمّن، فتم بذلك إِيجَازٌ بَدِيعٌ مُعْجِزٌ[2].

(1) ينظر السابق: ج27 ص 421

(2) ينظر نفسه: ج14 ص 65

سادسا – التعجُّب:

هذه الدلالة البلاغية لها طرُقٌ عديدةٌ لتصويرها في البلاغة العربية، وتُعدُّ بعضُ أشكال الترديد أحَدَ الأنماط التي تُوظَّف لذلك؛ وكما الشأنُ في كثيرٍ من الأغراض قد يكون الترديد هو المنتِجُ لها بحيث إذا ذهب الترديد اختفى الغرَض، وقد يكون الغرَضُ مذكورا في الجملة ويأتي الترديد ليضاعف منه أضعافا كثيرة في النفس.

ومن التمثيلات في القرآن الكريم:

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر:19-20].

فَأُعِيدَ تَعَجُّبًا مِنْ تَقْدِيرِهِ وَإِصَابَتِهِ الغَرَضَ عَلَى حَدِّ: قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَشْجَعَهُ![1].

قال صاحب ملاك التأويل:

"قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر:18-20]، للسائل أنْ يسأل عن تكرُّر قوله: (قدّر) ثلاث مرات في كلام متّصل متقارب؟.. فالأوّل إخبارٌ، أعنى قوله: (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ)، والثاني تعجُّب عن إصابة تقديره بعد الفكر وهو قوله: (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)، والثالث وهو قوله: (ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) تأكيدٌ للتعجُّب"[2].

---

(1) ينظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج3 ص18

(2) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ج2 ص492-493

وقال تعالى:

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة:8-11].

لقد مرّ بنا أنّ من دلالات هذه الآيات التعظيم والتهويل، ولكنها في الوقت ذاته تحتمل دلالة التعجُّب. فإِظْهَارُ لَفْظَيْ أَصْحاب الـمَيْمَنَةِ وأَصْحاب الـمَشْئَمَةِ بَعْدَ الاِسْتِفْهَامَيْنِ دُونَ الإِتْيَانِ بِضَمِيرَيْهِمَا من مقَام التعجيب وَالتَّشْهِيرِ الـذي يَقْتَضِـي الإِظْهَـار بِخِـلاف مقَـام قَوْلِـهِ تَعَـالَى: ﴿وَمـا أَدْراكَ مَـا هِيَـهْ﴾ [القارعة:10].. وَقَوْلُهُ: السَّابِقُونَ ثَانِيًا يَجُوزُ جَعْلُهُ خَبَرًا عَنِ السَّابِقُونَ الأَوَّلِ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ أَصْحَابِ الـمَيْمَنَةِ بِأَنَّهُمْ مَا أَصْحابُ الـمَيْمَنَةِ لأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى وَصْفِهِمْ بِشَيْءٍ لا يَكْتَنِهُ كُنْهَهُ بِحَيْثُ لا يَفِي بِهِ التَّعْبِيرُ بِعِبَارَةٍ غَيْرِ تِلْكَ الصِّفَةِ إِذْ هِيَ أَقْصَى مَا يَسَعُهُ التَّعْبِيرُ، فَإِذَا أَرَادَ السَّامِعُ أَنْ يَتَصَوَّرَ صِفَاتَهَمْ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَدَبَّرَ حَالَهُمْ، وَهَذَا عَلَى طَرِيقَةِ قَوْلِهِ: ﴿أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأَعْرَاف:157]. وَيَجُوزُ جَعْلُهُ تَأْكِيدًا لِلأَوَّلِ فَمَآلُ جُمْلَةِ مَا أَصْحابُ الـمَيْمَنَةِ وَنَظِيرَتُهَا وَجُمْلَةُ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ هُوَ التعجيب مِنْ حَالِهِمْ[1].

(1) ينظر التحرير والتنوير: ابن عاشور ج27 ص 286

وقوله تعالى:

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأعراف:148].

جُمْلَةُ: (اتَّخَذُوهُ) مُؤَكِّدَةٌ لِجُمْلَةِ (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى) فَلِذَلِكَ فُصِلَتْ، وَالغَرَض مِنَ التَّوْكِيدِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ هُوَ التَّكْرِيرُ لأَجْلِ التَّعْجِيبِ .. وَلِتُبْنَى عَلَيْهِ جُمْلَةُ (وَكانُوا ظالِمِينَ) فَيَظْهَرُ أَنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ بِاتِّخَاذِ الْعِجْلِ، وَذَلِكَ لِبُعْدِ جُمْلَةِ: وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسى بِمَا وَلِيَهَا مِنَ الجُمْلَةِ وَهَذَا كَقَوْلِهِ: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾- إِلَى قَوْله- ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ [الْبَقَرَة:282] أُعِيدَ (فَلْيَكْتُبْ) لِتُبْنَى عَلَيْهِ جُمْلَةُ: (وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ)، وَهَذَا التَّكْرِيرُ يُفِيدُ مَعَ ذَلِكَ التَّوْكِيد وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى التَّوْكِيدِ[1].

(1) ينظر السابق: ج9 ص 111

سابعا – تعَدُّد المتعلِّق:

هذا الغرَضُ هو الذي ذهَبَ إليه تقريبا كلُّ المصنِّفين في التشابه اللَّفْظي في القرآن، إذ كان همُّهم هو دفْعُ التكرير الذي يوحي بإعادة الأشكال ظاهرا، ممَّا يسْتَعْصي على كثيرٍ من القارئين أو السامعين فهمَه إلاَّ أنه مُكرّر زائد وهو أحَدَ منافذِ المغْرِضين المشكّكين في صحّة القرآن الكريم.

لذلك اتَّخَذَ أصْحابُ التشابُه اللّفْظي هذا الغرَضَ عُدّةً لهم، فما وجدوا من ترديدٍ في القرآن إلاَّ اجْتَهَدُوا في التفريق بين أطرافه دلالياً، ليخْرُجُوا في آخر المطاف أنه ليس بتكرار.

ولفظُ التعلُّق يُعرف أكثرَ في علم النّحْو، وهو يرتبط خاصّةً بشبه الجملة من ظروف وجارّ ومجرور، بحيث أنّ وُرودَها في الجملة ينبني على وجود اسم محذوف مُقدَّر هو الذي يأخُذُ مكانه الأصْلَ في الإعراب؛ أمّا ما يخصُّ ما نحن فيه فالأمر فيه شبيه، إلاّ أنه هنا يخصّ كلّ الأشكال من حرف ولفظ وتركيب، فإذا تردَّد لفظٌ ما في الجملة، أو جملة في نصّ، كان كلّ لفظ أو تركيب له سياقه الخاصّ، بحيث يتعلَّقُ الطرَفُ الأول بتركيبٍ له معنى يختلف عن التركيب الذي يتعلَّقُ به الطرَفُ الثاني ؛ إذا تردّد هذا اللفظ أو التركيب بهذا الشكل كان الغرَضُ البلاغيّ من ذلك تعدُّدَ المتعلِّق.

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:13].

فَإِنَّهَا وَإِنْ تَعَدَّدَتْ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ بِهَا الثَّقَلَيْنِ مِنَ الإِنْسِ وَالجِنِّ وَعَدَّدَ عَلَيْهِمْ نِعَمَهُ الَّتِي خَلَقَهَا لَهُمْ، فَكُلَّمَا

ذَكَرَ فَصْلا مِنْ فُصُولِ النِّعَمِ طَلَبَ إِقْرَارَهُمْ وَاقْتَضَاهُمُ الشُّكْرَ عَلَيْهِ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ وَصُوَرٌ شَتَّى[1].

ومنه قوله تعالى:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور : 35].

الْكَلامُ تَمْثِيلٌ لِهَيْئَةِ إِرْشَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَيْئَةِ الْمِصْبَاحِ الذِي حَفَّتْ بِهِ وَسَائِلُ قُوَّةِ الإِشْرَاقِ فَهُوَ نُورُ اللَّهِ لا مَحَالَةَ.. وَإِعَادَةُ لفظِ الْمِصْباح دُونَ أَنْ يُقَالَ: (فِيهَا مِصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ)، كَمَا قَالَ: (كَمِشْكَاةٍ فِيها مِصْباحٌ) إِظْهَارٌ فِي مَقَامِ الإِضْمَارِ لِلتَّنْوِيهِ بِذِكْرِ الْمِصْبَاحِ لأَنَّهُ أَعْظَمُ أَرْكَانِ هَذَا التَّمْثِيلِ، وَكَذَلِكَ إِعَادَةُ لِفْظِ الزُّجاجَة فِي قَوْلِهِ: (الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) لأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ أَرْكَانِ التَّمْثِيلِ، وَيُسَمَّى مِثْلُ هَذِهِ الإِعَادَةِ تَشَابُهَ الأَطْرَافِ[2].

(1) ينظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج3 ص18

(2) ينظر التحرير والتنوير: ابن عاشور ج18 ص234- 236

وقوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا، وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [النساء:131-132].

لقد كرّر قوله: وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ في الآية الأولى مرّتين، ثم مرّة في الآية الثانية: إمّا تأكيدا، ليتنبّه العباد وينظروا ما في ملكوته وملكه، وأنه غنيّ عن العالمين، أو كرَّره لفوائد: فأخبر أوّلاً أنّ اللَّه تعالى يُغني كُلاًّ من سَعَتِه، لأنَّ له ما في السموات وما في الأرض، فلا تنفدُ خزائنه؛ ثم قال ثانيا: أوصيناكم وأهل الكتاب بالتقوى، وإن تكفروا فإنه غنيٌّ عنكم لأنّ له ما في السموات وما في الأرض؛ ثم أعلم ثالثا بحفظ خَلْقِه وتدبيره إياهم بقوله: وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلا لأنّ له ما في السموات وما في الأرض[1].

وقوله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)﴾.

(1) التفسير المنير: وهبة الزحيْلي ج5 ص308

قال السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن):

"(لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) أَيْ فِي المُسْتَقْبَلِ،

(وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ) أَيْ فِي الحَالِ (مَا أَعْبُدُ) فِي المُسْتَقْبَلِ،

(وَلا أَنَا عَابِدٌ) أَيْ فِي الحَالِ، (مَا عَبَدْتُمْ) فِي المَاضِي،

(وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ) أَيْ فِي المُسْتَقْبَلِ (مَا أَعْبُدُ) أَيْ فِي الحَالِ،

فَالحَاصِلُ أَنَّ القَصْدَ نَفْيُ عِبَادَتِهِ لآلِهَتِهِمْ فِي الأَزْمِنَةِ الثَّلاثَةِ"[1].

وتوجيهٌ آخر عند ابن جُماعة في كتابه (كشف المعاني في المتشابه من المثاني):

"فقوله: (لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) صريحٌ في الآن الحاضر فنفي المستقبل كالمسكوت عنه، فصرَّح بنفي ذلك أيضا فيه بقوله تعالى: (وَلا أَنَا عَابِدٌ) أي في المستقبل، (مَا عَبَدْتُمْ) أي الآن، (وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ) في المستقبل ما أعبده في الحال والاستقبال. وهذا إعلام من الله تعالى له بعدم إيمان أولئك خاصّة.. فلا تكرار حينئذ، وهذا من معجزاته – صلى الله عليه وسلم – فإنَّ القائلين له ذلك ماتوا كُفّارا، ولم يؤمن أحد منهم قطّ"[2].

ومن المعاني التي أوردوها أيضا: قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال، ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضا، واختصّ

---

(1) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي ج3 ص228

(2) كشف المعاني في المتشابه من المثاني: ابن جماعة ص 380

الفعلان منه ومنهم بالحال. وقال بعدها: ولا أنا عابد ما عبدتّم في المستقبل، ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون، فاختلفت المعاني وحسُن التكرار في اختلافها ويجب أنْ تكون السورة على هذا مختصّةً بمن المعلوم أنه لا يؤمن[1].

(1) ينظر أمالي السيد المرتضى: علي بن الطاهر ت بدر الدين الحلبي مطبعة السعادة مصر ط1 1907م ج1 ص84

ثامنا – استمالة القلوب لقبول الخطاب:

وسمّاه الزركشيّ: زِيَادَةُ التَّنْبِيهِ عَلَى مَا يَنْفِي التُّهْمَةَ لِيَكْمُلَ تَلَقِّي الكَلامِ بِالقَبُولِ[1].

ويكون بتوظيف الترديد في سياقٍ يحمله في دقّةٍ ورقّة، ليصوّر تلطُّفا وسماحةً يسْتَميل بها المتكلِّمُ قلْبَ سامعه ويحرِّكُ مشاعره ليصغي إليه ويقبل منه.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تعالى في سورة غافر:

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر:38-39].

فَإِنَّهُ كَرَّرَ فِيهِ النِّدَاءَ لِذَلِكَ.

فَابْتَدَأَ مَوْعِظَتَهُ بِنِدَائِهِمْ لِيَلْفِتَ إِلَيْهِ أَذْهَانَهُمْ وَيَسْتَصْغِيَ أَسْمَاعَهُمْ، وَبِعُنْوَانِ أَنَّهُمْ قَوْمُهُ لِتُصْغِيَ إِلَيْهِ أَفْئِدَتُهُمْ.. وَأَعَادَ النِّدَاءَ تَأْكِيدًا لِإِقْبَالِهِمْ إِذْ لاحَتْ بَوَارِقُهُ فَأَكْمَلَ مُقَدِّمَتَهُ بِتَفْصِيلِ مَا أَجْمَلَهُ يُذَكِّرُهُمْ بِأَنَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا مَحْدُودَةٌ بِأَجَلٍ غَيْرِ طَوِيلٍ، وَأَنَّ وَرَاءَهَا حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ أَشَدَّ دِفَاعِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ مُنْبَعِثٌ عَنْ مَحَبَّةِ السِّيَادَةِ وَالرَّفَاهِيَةِ، وَذَلِكَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الزَّائِلِ وَأَنَّ الخَيْرَ لَهُمْ هُوَ العَمَلُ لِلسَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ[2].

---

(1) ينظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج3 ص13

(2) ينظر التحرير والتنوير: ابن عاشور ج24 ص149

وقال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا، يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا، يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم:42-45].

صدَّرَ كلَّ نصيحةٍ من النصائح الأربع بقوله: (يا أبت) توسُّلاً إليه واستعطافاً[1].

وفِي النِّدَاءِ بِقَوْلِهِ: (يَا أَبَتِ) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ تَكْرِيرٌ اقْتَضَاهُ مَقَامُ اسْتِنْزَالِهِ إِلَى قَبُولِ الْمَوْعِظَةِ لأَنَّهَا مَقَامُ إِطْنَابٍ. وَنظير ذَلِكَ تَكْرِير لُقْمَانَ قَوْلَهُ: (يَا بُنَيَّ) ثَلاثَ مَرَّاتٍ:

﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لُقْمَان:13].

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ، يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لُقْمَان:16-17].

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل: الزمخشري دار الكتاب العربي بيروت 1407هـ ج3 ص20

بِخِلافِ قَوْلِ نُوحٍ لابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود:42] مَرَّةً وَاحِدَةً دُونَ تَكْرِيرٍ لأَنَّ ضِيقَ الْمَقَامِ يَقْتَضِي الإِيجَازَ وَهَذَا مِنْ طُرُق الإِعْجَازِ[1].

(1) ينظر التحرير والتنوير: ابن عاشور ج16 ص114

تاسعا – التعاقُب والاستيعاب:

والمقصودُ أنْ يُؤتى بالترديد للمعنى الذي يُصوِّر تكرُّرَ شيءٍ إثرَ شيء، إمّا على سبيل تعاقُب تلك الأشياء، وإمّا للدّلالة بذلك التعاقُب على استيعاب المعْنى لكُلِّ تلك الأشياء.

مثل قوله تعالى:

﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا، إِلاّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا﴾ [الواقعة:25-26].

و(سَلاماً) الأَوَّلُ مَقُولُ (قِيلاً) أَيْ هَذَا اللَّفْظ الَّذِي تَقْدِيرُهُ: سَلَّمْنَا سَلامًا، فَهُوَ جُمْلَةٌ مَحْكِيَّةٌ بِالْقَولِ؛ و(سَلاماً) الثَّانِي تَكْرِيرٌ لِ (سَلاماً) الأَوَّلِ تَكْرِيرًا لَيْسَ لِلتَّأْكِيدِ بَلْ لإِفَادَةِ التَّعَاقُبِ، أَيْ سَلامًا إِثْرَ سَلامٍ..كقَوْلهمْ: قَرَأْتُ النَّحْوَ بَابًا بَابًا، أَوْ مُشَارًا بِهِ إِلَى كَثْرَةِ الْمُسَلِّمِينَ فَهُوَ مُؤْذِنٌ مَعَ الكَرَامَةِ بِأَنَّهُمْ مُعَظَّمُونَ مُبَجَّلُونَ، وَالفَرْقُ بَيْنَ الوَجْهَيْنِ أَنَّ الأَوَّلَ يُفِيدُ التَّكْرِيرَ بِتَكْرِيرِ الأَزْمِنَةِ، وَالثَّانِي يُفِيد التّكْرَار بتكرار الْمُسلّمِينَ؛ وَهَذَا القِيلُ يَتَلَقَّوْنَهُ مِنَ الْمَلائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِالجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ﴾ [الرَّعْد:23-24]، وَيَتَلَقَّاهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ﴾ [يُونُس:10][1].

(1) ينظر السابق: ج27 ص297

وقوله تعالى:

﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:21-22].

دَكًّا دَكًّا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلُهُمَا مَنْصُوبًا عَلَى المَفْعُولِ المُطْلَقِ المُؤَكِّدِ لِفِعْلِهِ. وَلَعَلَّ تَأْكِيدَهُ هُنَا لأَنَّ هَذِهِ الآيَةَ أَوَّلُ آيَةٍ ذُكِرَ فِيهَا دَكُّ الجِبَالِ، وَإِذْ قَدْ كَانَ أَمْرًا خَارِقًا لِلعَادَةِ كَانَ المَقَامُ مُقْتَضِيًا تَحْقِيقَ وُقُوعِهِ حَقِيقَةً دُونَ مَجَازٍ وَلا مُبَالَغَةٍ، فَأُكِّدَ مَرَّتَيْنِ هُنَا وَلَمْ يُؤَكَّدْ نَظِيرُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ فِي سُورَةِ الْحَاقَّةِ [14]، فَ(دَكًّا) الأَوَّلُ مَقْصُودٌ بِهِ رَفْعُ احْتِمَالِ المَجَازِ عَنْ (دُكَّتَا) الدَّكُّ أَيْ هُوَ دَكٌّ حَقِيقِيٌّ، و(دَكًّا) الثَّانِي مَنْصُوب عَلَى التوكيد اللَّفْظِيّ لـ(دكّا) الأَوَّلِ لِزِيَادَةِ تَحْقِيقِ إِرَادَةِ مَدْلُولِ الدَّكِّ الحَقِيقِيّ لأَنَّ دَكَّ الأَرْضِ العَظِيمَةِ أَمْرٌ عَجِيبٌ فَلِغَرَابَتِهِ اقْتَضَى إِثْبَاتُهُ زِيَادَةَ تَحْقِيقٍ لِمَعْنَاهُ الحَقِيقِيّ .. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَجْمُوعُ المَصْدَرَيْنِ فِي تَأْوِيلِ مُفْرَدٍ مَنْصُوبٍ عَلَى المَفْعُولِ المُطْلَقِ المُبَيِّنِ لِلنَّوْعِ، وَتَأْوِيلُهُ أَنَّهُ دَكٌّ يَعْقُبُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَمَا تَقُولُ: قَرَأْتُ الْكِتَابَ بَابًا بَابًا وَبِهَذَا المَعْنَى فَسَّرَ صَاحِبُ الكَشَّافِ وَجُمْهُورُ المُفَسِّرِينَ مِنْ بَعْدِهِ.. فَإِذَا قُلْتَ: بَيَّنْتُ لَهُ الكِتَابَ بَابًا بَابًا فَمَعْنَاهُ بَيَّنْتُهُ لَهُ مُفَصَّلاً بِاعْتِبَارِ أَبْوَابِهِ. وهَذَا الوَجْهُ أَوْفَى بِحَقِّ البَلاغَةِ فَإِنَّهُ مَعْنًى زَائِدٌ عَلَى التَّوْكِيدِ وَالتَّوْكِيدُ حَاصِلٌ بِالمَصْدَرِ الأَوَّلِ[1].

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا فَـ(صَفًّا) الأَوَّلُ حَالٌ مِنَ المَلَكُ، و(صَفًّا) الثَّانِي لَمْ يَخْتَلِف المُفَسِّرُونَ فِي أَنَّهُ مِنَ التَّكْرِيرِ المُرَادِ بِهِ التَّرْتِيبُ

(1) ينظر التحرير والتنوير: ابن عاشور ج30 ص336

وَالتَّصْنِيفُ، أَيْ صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ، أَوْ خَلْفَ صَفٍّ، أَوْ صِنْفًا مِنَ الـمَلائِكَةِ دُونَ صِنْفٍ، قِيلَ: مَلائِكَةُ كُلِّ سَمَاءٍ يَكُونُونَ صَفًّا حَوْلَ الأَرْضِ عَلَى حِدَةٍ.. فتَكْرِيرُ الـمُنَكَّرِ فِي قَوْلِـكَ، قَـرَأْتُ الْكِتَـابَ سُـورَةً سُـورَةً، وَقَوْلِـهِ تَعَـالَى: ﴿وَجـاءَ رَبُّـكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ لَيْسَ فِي الحَقِيقَةِ تَأْكِيدًا إِذْ لَيْسَ الثَّانِي لِتَقْرِيرِ مَا سَبَقَ بَلْ هُوَ لِتَكْرِيرِ الـمَعْنَى لأَنَّ الثَّانِيَ غَيْرُ الأَوَّلِ مَعْنًى؛ وَالـمَعْنَى: جَمِيعُ السُّوَرِ، وَصُفُوفًا مُخْتَلِفَـةً.. وَلا يَحْتَمِـلُ حَمْلُـهُ عَلَـى أَنـه مفعـول مُطلـق مُؤَكِّـدٌ لِعَامِلِـهِ إِذْ لا مَعْـنَى لِلتَّأْكِيدِ[1].

(1) ينظر السابق: ج30 ص337

عاشرا – تحقيقُ التناسب:

قد يُعدُّ من الأغراض ما جعَلَتْه نازك الملائكة أحد أقسام التكرار عندها، وهو تكرار التقسيم وعرَّفَتْه أنه ما يتكرَّر في أوّل كلّ فقرة أو في ختامها؛ والغرَضُ الأساسيُّ من هذا الصنف من الترديد إجمالا أنْ يقوم بعمَل النقطة في ختام الفقرة ويوحِّد العمَل الأدبيَّ في إتجاه معين[1] .

وفضّلَتْ نازكُ أنْ يشمَلَ العبارةَ المكرّرةَ بعضُ التغيير ليُعطي المتلقِّي هِزّةً ومفاجأة، ثمّ ألمعت إلى أنَّ هذا النوع من أصعب مسالك التكرار[2].

وينطبق على هذا ما يدخُلُ في الترديد التركيبي، سواء ما يشمله تغيير أو لا يشمله، وكلاهما يجتمع في سورة الشعراء.

الأوّل ما يتردّد دون تغيير وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)﴾.

ذُكرت الآيتان أوّل مرّة مع بداية السورة في قوله تعالى:

﴿طسم (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (4) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (5) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (6) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ

(1) ينظر قضايا الشعر المعاصر ص 284

(2) ينظر نفسه ص 287

أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (7) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)﴾.

ثم تردّدَتْ الآيتان بعد هذا في ختام سبع قصص متتالية في السورة.

أمّا الثاني الذي يشمله بعض التغيير، فهو مُفتتحُ خمسِ قصصٍ الأخيرة من مجموع القصص السبْع التي في السُّورة، وأوّلها قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (109)﴾.

هذه الآيات الخمس ذُكِرت في بداية خَمْس قصص، مع تغييرٍ فقط في اسم النبيّ واسم قومه، هكذا:

لفظ (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ) ذُكر مكانه بالترتيب:

(كَذَّبَتْ عادٌ)، (كَذَّبَتْ ثمودُ)، (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ)، (كَذَّبَ أصْحابُ الأيْكَة).

ولفظ (أَخُوهُمْ نُوحٌ) ذُكر مكانه بالترتيب:

(أَخُوهُمْ هُودٌ)، (أَخُوهُمْ صَالِحٌ)، (أَخُوهُمْ لُوطٌ)، (شُعَيْبٌ).

وهذا الترديد المقصود يشكِّلُ حلقات يشدُّ بعضُها بعضا، ويحقِّقُ تناسباً بين دلالات القصص، فبعد افتتاح السورة والمرور بالآيتين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)﴾ تبدأ قصة موسى وما تُختَم حتى تعود الآيتان وتلفتنا إليها، ثم تبدأ قصة ابراهيم، وتستمرّ فما تأتي

نهايتها حتى تعود الآيتان من جديد وينْتابُنا شعورٌ بعودتها بعد ذلك، وتُفتتح قصة نوح بمقدمة من خمس آيات وتمضي أحداثها حتى تختمها – وعن توقّعٍ منّا– الآيتان السابقتان، ثم تبدأ قصة هود ويحدث هنا مفاجأة الترديد الجديد، إذ نُفاجأ بالمقدمة نفسها التي تصدّرت قصة نوح مع تغيير الأسماء فقط، فتأخذ آيات السورة بهذه الصور الترديدية في التلاحم فيما بينها أكثر فأكثر؛ وهكذا تمضي بقية الأحداث بين ختام وافتتاح، يفجؤنا الترديد الأول ويوقظ فينا حسّ التوقُّع فنمضي ونحن نتوقعه وبالفعل نمرّ به ويرضي ما في نفوسنا، ثم تمضي الأحداث فإذا بالترديد الثاني يفجؤنا لحضوره غير المتوقّع، وتستمرُّ السورة في إحكام بديع، وأسلوب رفيع، تتناسب آياته ومعانيه حتى كأنّ القصص كلّها هي قصّة واحدة.

حاديَ عَشَر – الانفعال:

الانفعال مظهرٌ من المظاهر النفسية التي قد يحقِّقُها الترديد ببعض أساليبه، "وليس يخفى أنَّ مادّةَ الصوت هي مظهرُ الانفعال النفسي، وأنّ هذا الانفعالَ بطبيعته إنما هو سببٌ في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدًّا أو غُنّةً أو ليناً أو شدّة، وبما يهيّئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقاديرَ تناسب ما في النفس من أصولها"[1].

فإنْ كان بين الأصوات ترديدا متناسباً حمل النفس إلى الميل والإصغاء، "فإنَّ مُناسبة الألفاظ تُحْدِثُ مَيْلاً وإصغاء إليها"[2].

ويعلِّل حازم القرطاجنّي (المتوفى: 684هـ) تعليلا نفسيّا عامّا يدخل فيه الترديد بأشكاله فيقول:

"فإنَّ للنفُوس في تقارُنِ المتماثلات وتشافُعِها والمتشابهاتِ والمتضادّاتِ وما جرى مَجْراها تحريكاً وإيلاعاً بالانْفِعال إلى مُقْتَضى الكلام لأنَّ تناصُرَ الحُسْن في المسْتَحْسِنين المتماثلين والمتشابهين أمْكَنُ من النفْسِ مَوْقعاً مِنْ سنوح ذلك لها في شيءٍ واحد"[3].

---

(1) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الرافعي دار الكتاب العربي بيروت ط8 2005م ص149

(2) أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم ج1 ص97

(3) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجنّي تحقيق ابن الخوجة دار الغرب الإسلامي لبنان ط3 1986 ص45

وقد تحدّثَتْ نازك الملائكة في كتابها قضايا الشعر المعاصر عن التكرار اللاشعوري وقالت أنّ هذا الصنفَ لم يرِدْ في الشعر القديم الذي وقَّفَ نفسه – فيما يلوح– على تصوير المحسوس والخارجيّ من المشاعر الإنسانية؛ وشرْطُ هذا الصنْف من التكرار أنْ يجيء في سياقٍ شعوريّ كثيفٍ يبلغ أحيانًا درجة المأساة، ومن ثَمَّ فإنّ العبارة المكرّرة تؤدي إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجةٍ غير عادية، وباستناد الشاعر إلى هذا التكرار يستغني عن عناء الإفصاح المباشر[1].

وبعضُ صُوَر الترديد في آيات القرآن تحقِّقُ بقوّةٍ انفعالَ النفوس لها، وتصوِّرُ في إعجاز باهرٍ مكنونَ المشاعر الإنسانية؛ وأحسن مثال على هذا الإعجاز البياني قوله تعالى من سورة المدّثّر:

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلاّ قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30)﴾.

تتضافرُ في هذه الآيات أشكالٌ من الترديد: اللفظي والتركيبي والإيقاعي، لتصوِّرَ لنا هذه المشاهد الحيّة. فقد تردَّدَتْ لفظة (قدّر) ثلاث مرات، وجملة (قُتل كيف قدَّر) مرّتيْن، و(ثمّ) أربع مرات، و(سَقَر) مرتيْن، والقاف عشر مرات، والراء سبع عشرة مرة، والسين ثماني مرات.

---

(1) ينظر قضايا الشعر المعاصر ص 287

كلُّ هذا كان له دوْرُه في دقَّة التصوير، وقد حكت الآياتُ الأُوَلُ ما كان يختلج في نفس أحد أعداء الدين ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلاّ قَوْلُ الْبَشَرِ (25)﴾، رسمَت بدقَّةٍ كُلَّ ما كان في سرّه من انفعالات قبل أنْ يقولَ قولتَهُ الظالمة. وبعد هذا الافتراء منه نزل عليه الوعيد والتهديد ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30)﴾، بآياتٍ قصيرة النفَس مباشرةً بعد مقالته.

(سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ) السين تدلُّ على القُرْب، وسَقَر مُفَسَّرةٌ بما يزيد في تهويلِها، وترديدُها يُوحي بعَظيم خَطَرِها، وتوالَتْ بعدَها أوصافُها بما ينْخَلِعُ له القلْب، ويثير انفعال النفس.

ثانيَ عَشَر – الترنُّم النغَمي:

لا بُدَّ لأصوات الحروف من نوْعٍ في التركيب وجِهَةٍ من التأليف حتى يُمازجَ بعضُها بعضاً، ويتألّفَ منها شيء مع شيء، فتتداخل خواصُّها، وتجتمعَ صفاتها، ويكون منها اللحنُ الموسيقي، ولا يكون إلاّ من الترتيب الصوتي الذي يثير بعضُه بعضاً على نِسبٍ معلومة ترجِعُ إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده. والقرآن غاية في انسجام أصواته إذ تشكّل حروفه في كلماته، وكلماته في جُمله، ألحاناً لغوية رائعة؛ كأنها لائتلافها وتناسبها قطعةٌ واحدة[1].

إنّ أوّل شيء أحسَّتْه تلك الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قسمت فيه الحركة والسكون تقسيمًا منوعًا يجدد نشاط السامع لسماعه، ووزّعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعًا بالقسط الذي يساعد على ترجيع الصوت به وتهادي النفس به آنًا بعد آن، إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى فيجد عندها راحته العظمى[2].

ويحقِّق هذا الغرَضَ أكثرُ أساليب الترديد الإيقاعي واللُّغويّ، فكلُّها بما فيها من ترديد أصْواتٍ وألْفاظٍ تُكْسِب النصَّ تناغُماً وتناسُقا إيقاعيا يأخُذ بمسامع المتلقِّي، ولو حقَّق أدنى شروط التلاوة لأخذت آياته مجامع قلبه ولبِّه.

---

(1) ينظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الرافعي ص148

(2) ينظر النبأ العظيم: محمد عبد الله دراز ص 135

وكلّ القرآن مثالٌ للترنُّم الصوتي، فقد بُنِيَتْ جُمَلُهُ بناءً موسيقياً شجياً من تقابلٍ بين الكلمات، وتساوٍ بينها في الحروف؛ مثل سورة النبأ، فبين أغلب آياتها تقابلٌ موسيقيّ في عدد الكلمات والحروف والحركات:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلاّ سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلاّ سَيَعْلَمُونَ (5) أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (12) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (17) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (18) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (19) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (20) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (21) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (22) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (23) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (24) إِلاّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (25) جَزَاءً وِفَاقًا (26) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (27) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (28) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (29) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاّ عَذَابًا (30) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (31) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (32) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (33) وَكَأْسًا دِهَاقًا (34) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (35) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (36) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (37) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (38) ذَلِكَ الْيَوْمُ

الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (39) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (40)﴾.

هناك أناقةٌ واضحةٌ في التعبير، مع اللّمَسات المقصودة لمواطن الجمال في الوجود والنفوس، وافتنانٌ مبدعٌ في الصور والظلال والإيقاع الموسيقي والفواصل، تتناسقُ كلّها مع طبيعته في خطاب الغافلين النائمين السادرين، لإيقاظهم واجتذاب حسّهم وحواسّهم بشتى الألوان وشتى الإيقاعات وشتى المؤثرات.. ، والعدول أحياناً عن اللّفظ المباشر إلى الكناية، وعن اللفظ القريب إلى الاشتقاق البعيد، لتحقيق التنغيم المقصود، مما يؤكّد هذه اللفتة خلال الجزء كلّه على وجه التقريب. وهذه السورة نموذجٌ لاتجاه الجزء التي يضمّها بموضوعاته وحقائقه وإيقاعاته ومشاهده وصوره وظلاله وموسيقاه ولمساته في الكون والنفس، والدنيا والآخرة؛ واختيار الألفاظ والعبارات لـتُوقِع أشدّ إيقاعاتها أثراً في الحسّ والضمير[1].

(1) ينظر في ظلال القرآن: سيد قطب ابراهيم دار الشروق القاهرة ج 6 ص 3802

الفصل الثاني

دلالات الأساليب الترديدية المتباعدة الأطراف

(القصص)

* * *

سبق وتحدَّثنا في فصل سابق أنَّ القصص القرآني من أبرز موضوعات القرآن الكريم ترديدا، وأكثرها عناية من العلماء في هذا المجال، لما شهده من مؤلفات وردود على شبهات المغرضين الطاعنين في القرآن الكريم.

لقد أثار ترديد القصص القرآني اختلافا بين العلماء قدامى ومحدثين، وكثيرٌ من القدماء حاولوا أن يعلّلوه بوصفه ملمحا من ملامح الإعجاز القرآني وآيةً على صدق محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم ابن فارس الذي يقول عن ترديد الأنباء والقصص: "إنَّ الله جلّ ثناؤه جعل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثله آيةً لصحّة نبوّة محمّد صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم، ثمّ بيّن وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرَّرَ ذكر القصّة في مواضعَ إعلاماً أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأيّ نظمٍ جاء وبأيّ عبارة عبّر"[1]، كما أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتتبيّن فيه البلاغة؛ وأُعيدَ كثيرٌ من القصص في مواضعَ كثيرةٍ مختلفة، على ترتيبات متفاوتة، ونُبِّهوا بذلك على عَجْزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ به ومُكرَّراً[2].

---

(1) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسُنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطبّاع ، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993م ص 214

(2) ينظر إعجاز القرآن: الباقلاني، ص 61

وقد شايع المتقدِّمين في آرائهم لفيفٌ من المحدثين يرى أحدُهم أنَّ الترديد في القصص من غايات القرآن الكريم وأغراضه وأنه نزل به، وأنه لا يجوز لنا أن ننكره، ولا ينبغي أن نعتذر عنه، فهو من خصائصه ومزاياه، إذ بقي مع هذا الترديد جديدا، كلّما قرأناه لا يبعث سأما في النفوس، ولا تفتر له همّة الباحث أو القارئ[1] .

ويذهب آخر إلى جعل الترديد جزءاً من المنهج القصصي للقرآن[2]، ويرى ثالثٌ أنَّ مستوى القصة القرآنية يظل في الذروة رغم ترديدها، ويتغيَّر إيحاؤها بكلمة تضاف أو جزءٍ يحذف أو عبارةٍ جديدة، أو جملة لم تكُن موجودة، أو مجرّد ظلّ لخاطر نفسي لم يقدّم قبل ذلك.. وهذه معجزة في فنّ الكتابة لا ترى له مثيلا في أيّ كتاب على الأرض غير هذا الكتاب الكريم الذي أسلمه لنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم وهو رجل لم يكن يكتب ولم يكن يقرأ[3] .

ومن المحدثين من حاول نفي مصطلح التكرار عن ترديد القصص القرآني والاعتذار عنه بأنه ليس تكرارا مطلقا بقدر ما هو تكامل بين أجزاء القصة

---

(1) ينظر القصة القرآنية: فتحي رضوان، سلسلة كتاب الهلال، عدد أغسطس، 1978م، ص 100

(2) ينظر سيكولوجية القصة في القرآن ص 115

(3) ينظر أنبياء الله: أحمد بهجت، دار الشروق، القاهرة، ط18، 1990م، ص 21-22

الواحدة[1]. أو أنه التنويع في عرض حلقات القصة[2]. وقد أصاب الاضطرابُ آراءَ بعض الذين اعتذروا عن وجود التكرار في القصة القرآنية، فأقرَّ بوجوده مرّة[3]؛ وعلَّله مرّة ثانية بأنه تكرار تكامُلي وتنويعٌ في العرض[4]. ومرّة ثالثة رأى أنه بالنظر إلى كثرة معارض الشخصيات في القصة القرآنية فإنه يعدّ تكرارا؛ وبالنظر إلى الحادثة فإنه لا يعدّ من التكرار[5].

إن أصل الترديد في القصة القرآنية: أن تأتي مجموعة من قصص الأنبياء في سورة من السور لهدف معيّن ولتأكيد فكرة بعينها، ثم تأتي هذه المجموعة نفسها في سورة أخرى لهدف آخر ولتأكيد فكرة أخرى، ويختلف السياق في كلّ من السورتين عن الأخرى، مع اختلاف طريقة العرض للقصة بل لمجموعة القصص، بحيث يتمّ التركيز على معنى معيّن في كلّ مرّة، ومن أمثلة ذلك قصص أنبياء الله نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، وقد وردت في سورتي الأعراف والشعراء، وتتضافر مجموعة القصص في الأعراف على بيان فكرة أن الأديان جميعها تقوم على التوحيد، ولذلك ركّزت القصص على دعوة هؤلاء الأنبياء لأقوامهم وتذكر ما نطق به كل نبي منهم، فورد على لسان معظم

---

(1) ينظر التصوير الفني: سيّد قطب ص 162

(2) ينظر دراسات قرآنية: محمد قطب ص 257

(3) ينظر القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: عبد الكريم الخطيب ص 64

(4) ينظر نفسه ص 273

(5) ينظر نفسه ص 42 - 43

الرسل: ﴿يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف:59، و65، و73، و85]؛ وإنك لتسمع إليهم واحدا بعد الآخر فتجد كلاما منسّقا وهدْياً مُنْسَجِما.. صدَرَ عن مشكاةٍ واحدة، وانساق إلى هدف واحد، يمهد أوّله لآخره وتصدق نهاياته بداياته، وكأنهم خطباء في حفل واحد، واجتمعوا في أمسية موعودة، أو ليلة مشهودة، وليسوا رجالا توزَّعَتْهُم أكتاف القرون المتطاولة[1].

أما مجموعة القصص نفسها في سورة الشعراء فتركّز على معنى آخر هو تكذيب الأقوام للرسل، وتتَّحد الصيغ في التعبير عن هذا المعنى، فكلّ قصة تبدأ بقوله تعالى: (كذّبت ... المرسلين)، فإذا كان هؤلاء الأقوام قد وجهت إليهم دعوة واحدة فإن استقبالهم لهذه الدعوة كان واحدا أيضا، ولذلك جمعهم مصير واحد هو الهلاك والتدمير، ويلاحظ أنّ السياق جَمَع مَن وَقَع عليهم التكذيب فقال: (المرسلين) مع أنّ قومَ كل نبيّ كذبوه هو خاصّة؛ ليدلّ على أنّ فارق الزمن بين هؤلاء الأقوام لم يكن له أيّ تأثير عليهم.

وهكذا يبدو أنّ الترديد في القصة القرآنية له وظيفته المحدّدة، فهو وسيلة من وسائل القرآن لغرس القصة في نفوس أصحابها، ولترهيب الخارجين عليها، وتخويفهم من مغبَّة تكذيبهم وعنادهم، وبذلك تتناسب القصّة مع الغايات العامّة للقرآن الكريم، والترديد من الناحية الفنية له قيمته؛ فهو ليس ترديدا آليا مملاًّ حتى في أشدّ الأجزاء المردّدة تشابها، فالحقيقة التي تطالع القارئ أن

(1) ينظر نظرات في القرآن: محمد الغزالي، دار التوفيق النموذجية، ط6 1986م ص 101

القصة تُعرض في معارض كثيرة متنوّعة، وفي أثواب جديدة تضيف أحيانا إلى جوهر القصة، وتكتفي بتوضيح موقفٍ وتجليته أحيانا أخرى بما تُكسِبه من ظلال وأضواء، والترديد لم يكُن ليصيب القصة كلّها، وإنما كان يرد في بعض أجزائها فقط، ونادرا ما كان القرآن يسترسل في سرد أحداث القصة كلها في موطن واحد، بل إنّ ذلك لم يحدث إلاّ في قصة واحدة هي قصة يوسف عليه السلام.

إنَّ قصة يوسف وردت كاملةً في موضع واحد دون ترديد، مما دفع علماءنا أن يجدوا لها أغراضا هي كذلك، لعدم ورودها مردّدة مثلها مثل غالبية القصص، منها ما كتبه الزركشي والسيوطي؛ وملخَّصُه كالتالي[1]:

– أن في السورة تشبيبَ النسوة بيوسف عليه السلام، وحال امرأة ونسوة افتتنّ بأبدع الناس جمالا فناسب عدم ترديدها لما فيه من الإغضاء والستر.

– أنّ السورة اختصَّتْ بحصول الفرج بعد الشدة، بخلاف غيرها من القصص فإن مآلها إلى الوبال كقصة إبليس وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم، فلما اختصّت بذلك اتّفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص.

(1) ينظر الإتقان في علوم القرآن: السيوطي ج3 ص231-232

– أنّ الله ردَّد قصص الأنبياء وساق قصة يوسف مساقا واحدا إشارة إلى عجز العرب، كأن النبي قال لهم إن كان من تلقاء نفسي فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في سائر القصص.

– أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أنْ يقصّ عليهم فنزلت مبسوطةً تامة، ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفس بها والإحاطة بطرفيها.

– أن قصص الأنبياء إنما ردّدت لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم والحاجة داعية إلى ذلك لترديد تكذيب الكفار لرسول الله فكلما كذبوا أنزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حلّ على المكذبين؛ ولهذا قال تعالى في آياتٍ: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾[الأنفال:38]؛ ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾[الأنعام:6]. وقصّة يوسف لم يُقصد منها ذلك.

وبهذا أيضا يحصل الجواب عن حكمة عدم ترديد قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وقصة موسى مع الخضر وقصة الذبيح.

إنّ ترديد القصص في القرآن الكريم يرتكز بشكلٍ أساس على عدد من القصص التي أعيد ذكرها في القرآن الكريم، وهي قصة آدم، ونوح، وعاد، وهود، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى، فهذه أبرز القصص التي وردت في القرآن الكريم وتردد ذكرها فيه، ويمكن إدراك بعض الحكمة من هذا التأكيد

على تلك القصص بعينها، وإعادة القول فيها مرة بعد أخرى، عند التأمل في طبيعة تلك القصص ومضمونها.

إنّ المتأمّل في هذه القصص يجد كلّ قصّة منها بأحداثها تعالج أنواعًا من الانحراف الذي يظهر في المجتمعات البشرية، باعتبارها تجمّعات إنسانية بغضّ النظر عن جنسها، وبيئتها الزمانية والمكانية، وهذا النوع من الضلال عن الحق والانحراف عن الصراط المستقيم، الذي أشارت إليه قصص القرآن الكريم، لم يزل يتردد في المجتمعات البشرية، فمثلًا: قصة فرعون مع موسى تمثل نوعًا من الانحراف الذي يورّثه عز السلطة ونشوة القوة، حتى تبلغ بصاحبها درجة من الانحراف تصل به إلى أن يكذب أكبر كذبة عرفتها البشرية، فيقول: أنا ربكم الأعلى. فضلًا عن الكِبْر والبطَر والأشر، ونحن لم نزل نرى هذا المثل يتردد على تعاقب الزمان ومرّ العصور، ولذا رأينا أنّ الله تعالى أعاد ذكر هذه القصة في أكثر من موضع، فهي لا تعالج أمرًا ظرفيًّا آنيًّا يكون ثم يزول، بل هي صورة لم تزل تتردّد مرة بعد أخرى، وكذا الشأن في باقي القصص التي أعيد ذكرها في القرآن الكريم، فكل منها تعالج نوعًا من الانحراف الذي تشهده المجتمعات البشرية في كل العصور. وإذًا فترديد مثل هذه القصص، والتأكيد عليها، وإعادتها مرة بعد أخرى، هو مما تقتضيه الحكمة، فالناظر في هذه القصص

يتمثل المنهج الأمثل في مواجهة هذه الانحرافات عن منهج الأنبياء عليهم السلام.

وفضلاً عن هذا، فقد تميّز كلّ موضع ذكرت فيه تلك القصص، بأنه يعتني بجانب من جوانب أحداث القصة، ويلقي الضوء على زاوية من زواياها، على نحو لا يوجد في الموضع الآخر، الذي تذكر فيه القصة، بمعنى أن السياقات التي ترد فيها القصة، تختلف باختلاف موضعها الذي تذكر فيه، واختلاف السياقات يورث- ولابد- اختلافًا في المعاني التي تستفاد منها، وهذا ما يؤكد أن القصة لا تتكرر على نحو حرفي، بل لها في كل موضع ذكرت فيه ما يميزها، ويجعلها موضعًا لاستنباط هدايات وعظات جديدة، وبعد هذا فقصص القرآن الكريم، مظهر من مظاهر الإعجاز البياني، فالقصة الواحدة ترد في القرآن الكريم، بسياقات وألفاظ متعددة، بتعدد المواضع التي ترد فيها، وهذا من كمال البلاغة وعظيم البيان.

على أنّ الأمر العظيم الذي له بال خطير هو الذي يستأهل الترديد، أما الشيء العارض فإنّ ترديده قد يكون ثقيلا على السمع، بغيضا إلى النفس، فإنه لا يستأهل المعاودة، أما الأشياء الجسيمة ذات البال كقصص الأنبياء التي فيها أحداث من أنباء الغيب، فما أحوج البشرية إلى معرفتها والوصول إلى مراميها، وعلى هذا فترديدها أمر يطابق مقتضى الحال، إذ أن الطبيعة البشرية تميل إلى

أن يعاد الشيء الذي يحنّ الإنسان إليه ويرغب في معرفته، خصوصا أن هذه الأمور مرتبطة تماما بالعقيدة وبالسلوك الإسلامي الصحيح.

وإنه من الواضح أنّ هذا الترديد في القصص القرآني فيه شيء من التباين والتنوُّع في طريقة العرض، وقد وَضع الإمام الزركشيّ في كتابه "البرهان في علوم القرآن" بعض الفوائد لترديد القصص القرآني وتابعه السيوطي وغيره فيها، وأوّلُ فائدة أثبتوها أنَّ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ زِيَادَةَ شَيْءٍ لَمْ يُذْكَرْ فِي الذِي قَبْلَهُ أَوْ إِبْدَالَ كَلِمَةٍ بِأُخْرَى لِنُكْتَةٍ وَهَذِهِ عَادَةُ الْبُلَغَاءِ[1].

ونستطيع أنْ نحصر نوْعا ما دلالاتِ هذا الترديد وفوائدَه مما ذكره الباحثون قديما وحديثا في النقاط السبعة التالية:

(1) ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ج3 ص 25 وما بعدها

أوَّلاً – بيان بلاغة القرآن وإعجازه:

وذلك بالتصرُّف في البلاغة على أعْلى مرتبة، لأنّ فِي إِبْرَازِ الكَلامِ الوَاحِدِ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ وَأَسَالِيبَ مُخْتَلِفَةٍ مَا لا يَخْفَى مِنَ الفَصَاحَةِ[1].

إنَّ النظرة المتأنّية تؤكّد أنّ في القصص القرآني ترديداً قد يكون القصدُ منه التكميل، كما في قصة آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى عليهم السلام، وأنّ هناك ترديدا يصل التشابه فيه إلى قريبٍ من التماثل أحيانا، كما في بعض المشاهد من قصة موسى عليه السلام، وأنّ هناك ترديداً يقتضيه الغرض الذي سيقت من أجله القصة كما في قصة آدم عليه السلام؛ وقد تُردَّدُ القصةُ ضمن مجموعة من القصص للتدليل على فكرة بعينها وتأكيدها، كقصص قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام التي تكرَّرت مجتمعة في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم.

ومن أبرز ما يمثّل الترديد الذي سيق بقصد التكميل ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام في سور "مريم والشعراء والأنعام"؛ فالمشاهد التي وردت في هذه السور تمثل جانب الدعوة في حياة إبراهيم، وينفرد كلّ مشهد فيها بإضافة تزيد هذا الجانب وضوحا وتقريرا.

---

(1) ينظر الإتقان في علوم القرآن: السيوطي ج3 ص230

أما السورة الأولى فتحكي عن دعوة إبراهيم لأبيه وما كان بينهما من جدل ومناقشة، يقول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (48) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (49) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (50)﴾[مريم:41-50]. ويلاحظ أنّ سورة مريم يسيطر عليها جوّ العلاقة بين الأبناء وبين الآباء والأمهات، ففي بدايتها حديث عن زكريا الأب ويحيى الابن –عليهما السلام–، ثم حديث عن مريم الأم وعيسى الابن البارّ بوالدته –عليهما السلام–، فليس من العجيب أن تركّز السورة في المقطع الخاصّ بإبراهيم عليه السلام على علاقته بأبيه، ودعوته هذا الأب إلى ترك عبادة الأصنام وترك عبادة الشيطان أيضا.

وقد تدرَّج إبراهيم في دعوة أبيه فكان يُلقي إليه بالدعوة إثر الدعوة بما يدلّ على الحرص الذي يكنّه، وعلى العطف والمودّة تجاه هذا الأب، فيناديه أولا: يا أبت لم تعبد أصناما لا تنفع ولا تضرّ، ولا تملك من أمر نفسها شيئا، وثانيا: يا أبت إني قد جاءني من الله الهداية والعلم النافع فاتبعني، وثالثا: يعظه بل ينهاه عن عبادة الشيطان، ورابعا: يعلن خوفه على أبيه؛ ثم ينطلق الحوار بينهما كاشفا عن قوة الأب الذي يهدّد ولده بالرجم، ويطلب منه أن يهجره، وكاشفا أيضا عن حنان الابن، ورحمته بأبيه، ولم يجد إبراهيم بُدّاً من أن يعتزل أباه وقومه ويلجأ إلى جناب ربه.

واعتزال إبراهيم ليس دليلا على سلبية الذي ينفضُ يديه ممّن يدعوهم حينما يُبدون الصدّ عن دعوته، ولكن فليكرّر إبراهيم دعوته وليوسّع من دائرتها؛ كما تنطق بذلك سورة الشعراء، يقول تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (69) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (70) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (75) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (76) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (77) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82)﴾[الشعراء:69-82].

إذا كانت دعوة إبراهيم قد اقتصرت على أبيه فقط في سورة مريم فإنّ هذا المقطع من القصة يظهر مدى اتّساع الدعوة التي حملها لتشمل أباه وقومه جميعا، عسى أن يجد مِنْ بينهم مَنْ تنعطف إليه نفسه، ولا يصدّ عنه كما صدّ عنه أبوه وتوعّده، ويلاحظ أن قضية العبادة هي محور هذه الحلقة من القصة، وأن تحديد المعبود المستحقّ للعبادة هو المسيطر على الحوار الدائر بين إبراهيم وأبيه وقومه، فهم يصرّحون بأنهم يعبدون الأصنام، ويحاول هو أن يكشف عن زيف معبوداتهم ببيان أنها حجارة لا تسمع ولا تضرّ ولا تنفع، ويبيّن لهم أن الله وحده هو المستحقّ للعبادة، لأنه الخالق الرازق، وهو الذي يحيي ويميت.

"وما أحسن ما رتَّب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين، حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرّر لا مستفهم، ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضرّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، كما نعى عليهم تقليد آبائهم الأقدمين، فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة، ثم صور المسألة في نفسه دونهم حتى تخلّص منها إلى ذكر الله عز وعلا، فعظّم شأنه وعدّد نعمه، من لدُن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته، مع

ما يُرجى في الآخرة من رحمته، ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين، وابتهل إليه ابتهال الأوّابين، ثم وصله بذكر يوم القيامة، وثواب الله وعقابه، وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنّي الكرّة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا"[1].

ثم يأتي مقطع آخر من مقاطع قصة إبراهيم يُضيف إلى جانب الدعوة بُعدا آخر، وذلك في سورة الأنعام، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79)﴾[الأنعام:74-79]. وهذا المقطع من القصة يركّز على ما أُعْطِيَهُ إبراهيم عليه السلام في معركة الدعوة، فقد أراه الله ملكوت السموات والأرض، كما رزقه اليقين

(1) الكشاف: الزمخشريّ ج3 ص326 ، وقد نقل ابن الأثير كلام الزمخشري في حديثه عن حسن التخلُّص، وزاد عليه؛ ينظر المثل السائر ج3 ص129-130

الثابت إزاء ما كان يعبد أبوه وقومه من الأصنام، كما أوتي البصيرة النافذة في إقامة الحجج والأدلَّة التي تنْدَكُّ لها أعناق المكابرين الذين يحاجُّونه.

أراد إبراهيم أن ينفي الإلهية عن الكواكب؟ فبدأ ببعض النجوم ثم القمر ثم الشمس، ولو أنه بدأ بالأكبر منها وهي الشمس ما أمكنه أن يتحدث عن القمر والنجوم، ولكنه بدأ بالأصغر إلى الأكبر، وهذا من حسن الاستدلال ودلالة الرشد، ثم استدلّ على عدم إلهية هذه الكواكب بالأفول دون الطلوع، ثم يعلن براءته من الشرك حينما أثبت أن أكبر الكواكب وهي الشمس لا تصلح لأن تعبد، ثم يعلن أنه وجّهَ وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفا[1].

هذه مقاطعُ ثلاثةٌ من قصة إبراهيم يُكمِّل بعضُها بعضا، إذ إنها تخدم فكرة واحدة وتجلّيها، تلك هي فكرة الدعوة التي مارسها إبراهيم؛ فالمقطع الأول يظهر دعوته لأبيه ومدى حرصه وحنانه وخوفه عليه، والمقطع الثاني يظهر دعوته لأبيه وقومه عامّة وإلحاحه عليهم في قبولها، وترك ما يعبدون من أصنام لن تجديهم فتيلا حين يقِفُون بين يدي الله سبحانه، والمقطع الثالث يبيّن قوّة العقيدة في نفس إبراهيم، ويظهر براعته في الدعوة إليها واستمالة أفئدة قومه جميعا نحوها، بما يَعْرِضُ عليهم من حُجج تدلّ على

(1) ينظر القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته: فضل عباس، ص 145

فساد معتقداتهم وتوجُّهاتهم نحو الأصنام والكواكب التي يعبدونها، وما كان لجانب الدعوة في حياة إبراهيم أن يتجلّى واضحا لو لم تأت هذه المقاطع الثلاثة في أثناء القصة.

فالقرآنُ الكريم يَذْكُرُ فِي بَعْضِ حِكَايَةِ القِصَّةِ الوَاحِدَةِ مَا لَمْ يَذْكُرْ فِي بَعْضِهَا الآخَرِ، ويَكُون بَعْضُ القِصَّةِ المَذْكُورُ فِي مَوْضِعٍ مُنَاسِبًا لِلحَالَةِ المَقْصُودَةِ مِنْ سَامِعِيهَا، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَجِدُ ذِكْرًا لِبَعْضِ القِصَّةِ فِي مَوْضِعٍ وَتَجِدُ ذِكْرًا لِبَعْضٍ آخَرَ مِنْهَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ لأَنَّ فِيمَا يُذْكَرُ مِنْهَا مُنَاسَبَةٌ لِلسِّيَاقِ الذِي سِيقَتْ لَهُ، فَإِنَّهَا تَارَةً تُسَاقُ إِلَى المُشْرِكِينَ، وَتَارَةً إِلَى أَهْلِ الكِتَابِ، وَتَارَةً تُسَاقُ إِلَى المُؤْمِنِينَ، وَتَارَةً إِلَى كِلَيْهِمَا، وَقَدْ تُسَاقُ لِلطَّائِفَةِ مِنْ هَؤُلاءِ فِي حَالَةٍ خَاصَّةٍ، ثُمَّ تُسَاقُ إِلَيْهَا فِي حَالَةٍ أُخْرَى. وَبِذَلِكَ تَتَفَاوَتُ بِالإِطْنَابِ وَالإِيجَازِ عَلَى حَسَبِ المَقَامَاتِ، أَلا تَرَى قِصَّةَ بَعْثِ مُوسَى كَيْفَ بُسِطَتْ فِي سُورَةِ طه وَسُورَةِ الشُّعَرَاءِ، وَكَيْفَ أُوجِزَتْ فِي آيَتَيْنِ فِي سُورَةِ الفرقان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا، فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾[الْفُرْقَانِ:35-36][1].

(1) ينظر التحرير والتنوير: ابن عاشور ج1 ص69

ثانيا – التحدّي والتبكيت:

إنَّ الله تَعَالَى أَنْزَلَ هَذَا القُرْآنَ وَعَجَزَ القَوْمُ عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ بِأَيِّ نَظْمٍ جَاءُوا ثُمَّ أَوْضَحَ الأَمْرَ فِي عَجْزِهِمْ بِأَنْ كَرَّرَ ذِكْرَ القِصَّةِ فِي مَوَاضِعَ إِعْلامًا بِأَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ الإتيان بمثله أي بِأَيِّ نَظْمٍ جَاءُوا وَبِأَيِّ عِبَارَةٍ عَبَّرُوا[1].

والتحدّي بالقرآن جاء على وجوه: قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: 88]، ثم تقاصَرَ معهم إلى عَشْر سور منه فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: 13]، ثم تحدّاهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 38]، وقصَرَ التحدّي على هذا المقام في السور المكّية كما ذكرنا وفي المدنية أيضا كما في سورة البقرة، حيث يقول تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نزلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؛ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ

(1) ينظر الإتقان في علوم القرآن: السيوطي ج3 ص230

لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 23- 24] فأخبرهم بأنهم عاجزون عن معارضته بمثله، وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضا، وهذا وهم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه، لكن جاءهم من الله مالا قِبَلَ لأحدٍ من البشرية من الكلام الفصيح البليغ، الوجيز، المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة، والأخبار الصادقة عن الغيوب الماضية والآتية، والأحكام العادلة والمحكمة، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا﴾ [الأنعام: 115][1].

ولو سلك القرآن الكريم طريقاً واحدا في إيراد القصص لقال الكُفّار نحن نقدر على غير هذا النوْع، فقطع الله عليهم كلّ سبيل للاعتراض، وذكر في القرآن أنواعاً مختلفة وترك لهم حرية اختيار ما يشاؤون منها، لكنهم عجزوا فدلّ عجزُهم على صدق القرآن وأنه وحيٌ مُنزل من الله[2].

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة، ط2، 1999م، ج1 ص20

(2) ينظر قصص القرآن: عبد الباسط بلبول مكتبة أصول الدين بالقاهرة ص 324

ثالثا – جذبُ النفوس إلى سماع القصّة بالمغايرة بين أساليبها:

أي بالمغايرة بين أساليب القصة الواحدة، وذلك أنّ القصة لَمَّا كُرِّرَتْ كَانَ فِي أَلْفَاظِهَا فِي كُلِّ مَوْضِعٍ زِيَادَةٌ وَنُقْصَانٌ وَتَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ وَأَتَتْ عَلَى أُسْلُوبٍ غَيْرِ أُسْلُوبِ الأُخْرَى فَأَفَادَ ذَلِكَ ظُهُورَ الأَمْرِ العَجِيبِ فِي إِخْرَاجِ المَعْنَى الوَاحِدِ فِي صُوَرٍ مُتَبَايِنَةٍ فِي النظم وَجَذْبِ النُّفُوسِ إِلَى سَمَاعِهَا لِمَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ التَّنَقُّلِ فِي الأَشْيَاءِ المُتَجَدِّدَةِ وَاسْتِلْذَاذِهَا بِهَا وَإِظْهَارِ خَاصَّةِ القُرْآنِ حَيْثُ لَمْ يَحْصُل مَعَ تَكْرِيرِ ذَلِكَ فِيهِ هُجْنَةٌ فِي اللَّفْظِ وَلا مَلَلٌ عِنْدَ سَمَاعِهِ فَبَايَنَ ذَلِكَ كَلامَ المَخْلُوقِينَ[1].

إنَّ ما تردَّد من قصص القرآن ليس من الترديد الآليّ المملّ، الذي يخلّ بالفنّ ويعيبه النقّاد، لأنّ الحقيقة الواحدة يطالعنا بها القرآن في مواطن مختلفة، ولكن في أثواب جديدة، مع تصرُّف بارع في صيغة التعبير وطرُق الأداء، وإعادة الكلام في الموضوع الواحد من التنويع والطرافة والتجديد من بلاغة القرآن وإعجازه[2].

(1) ينظر الإتقان في علوم القرآن: السيوطي ج3 ص231

(2) ينظر سيكولوجية القصة في القرآن الكريم: التهامي نقرة الشركة التونسية للتوزيع 1974: ص 138

وورود القصة في كلّ موضعٍ بأسلوبٍ مماز عن الآخر، وقالبٍ غير القالب –فلا يملّ الإنسان من ترديدها– يجدِّدُ في نفسه نشاطا ويبرزُ معانياً لا تحصُل بقراءتها في المواضع الأخرى.

رابعا – تمكينُ العِظة والعبرة وإيقاظ الهمم:

مـن الممكـن أن يكـون الترديـدُ مبعثُـهُ التـذكُّر والوصـول إلى العظـة البالغة كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: 51]؛ ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ [طه: 113]. إذ بالترديد ينْتَبِهُ غير المنتبه ويزداد إدراكا وتعمُّقا مَنْ أدرك، فبعض القلوب لا تنتبه إلاَّ إذا ردّد عليها الخبر أكثر من مرَّة[1].

والاهتمام بشأن القصة يمكِّن عِبَرَها في النفس، والترديد من أمارات الاهتمام؛ كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون، فهي تمثّل الصراع بين الحق والباطل أتمّ تمثيل.

وقد أشار بعضُ النقّاد[2] المحدثين إلى أن الترديد الوارد في سورة الرحمن لآية: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾ إحدى وثلاثين مرّة، يدعو القارئ والسامع لكي يتمثّل في ضميره نِعَم ربّه الدنيوية والأخروية، حتى يستنقذ نفسه من العذاب الأليم، وينال ما يجدر به من الثواب والنعيم.

---

(1) ينظر اللآلِيء الحسان في علوم القرآن: موسى شاهين ص 297

(2) يُنظر سورة الرحمن وسور قصار: شوقي ضيف ص43، دار المعارف، مصر، ط3، 1995م

ومعنى ذلك أنّ ترديد القصة القرآنية فيها إيقاظ الهمم، ودفع العقول والنفوس إلى التأمُّل والتدبُّر، ففرْقٌ كبير بين الشيء الذي يحكى مرة، وبين الشيء الذي يكثر ترديده، ففي الثاني استشعار أقوى من الأوّل، وتعليم للإنسان تقوى فيه الدلالة والمحاكاة.

إنَّ ترديد القصص يهدف إلى أنْ يأخذ مُشركو مكة، والمعاندون لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أحداث الأمم السالفة التأسِّي والعظة.

لقد اتَّضح من ترديد القصص أنه على الباغي تدور الدوائر، وأنّ الظلم عاقبته وخيمة، فمن طغى وتكبّر واستبدّ بعباد الله، وانصرف عن العبودية والامتثال للحقّ، فسُرعان ما يرى العاقبة الوخيمة، والنهاية المؤسفة.

وقد تجلّى ذلك في ترديد كثير من القصص القرآني، من مثل قول الحقّ عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ

الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)﴾ [يونس:88-92]. وهكذا تحددت نهاية فرعون وجنوده في هذه السورة بعد أن بدا منهم الصلف والغرور.

وأين فرعون الطاغية؟ وهو القائل في سورة أخرى: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[النازعات:24]، والذي هدَّد مَنْ آمن من السحرة في سورة غيرها ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[طه:71].

إنّه لقي حتفه ومصيره الذي تقشعرُّ منه الأبدان.

إنَّ النفوس البشرية تتباين طبائعها، وتختلف مشاربها، فمنها من رقَّ قلبه، وسكنت نفسه، حتى كان وقع العظة عليها له أثره البالغ في قبولها لهدى الله، فيزول عنها ما علق بها من أكدار، حتى تستنير بنور الله سبحانه.

أما القلوب المتحجِّرة فإنها تظلّ في نُكتتها السوداء، لأنَّ عقْلَها شارد، فالصلف يحدوها، والكبر يطغيها، والعناد يحيط بها من كلّ جانب، لا همّ لها إلاّ أن تتحدّى الرسُل بكثرة مُتطلّباتها فإن أجيبت إلى شيء نزعت إلى شيء آخر، ولن يقضي على شرّها، ويمحق ضلالتها إلاّ عذاب الله لها. وهكذا نرى النفوس متباينة، فمن الناس من يستجيب لدعوة الحق، ومنهم من يعرض عنها. وهكذا كان ترديد القصة القرآنية يوجّهنا إلى هذه الأصناف المتباينة.

خامسا – تسلية قلب النبي صلى الله عليه وسلم:

تَسْلِيَتُهُ لِقَلْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا اتَّفَقَ لِلأَنْبِيَاءِ مِثْلُهُ مَعَ أُمَمِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:120].

فترديد القصة في سُوَر مختلفةٍ بأساليبَ مختلفةٍ إنما يهدف إلي تمكين هذه السنن في النفس وتثبيتها في القلب حتى تقوى داعية الإصلاح عند المصلح، فلا يجد اليأس سبيلا إليه؛ وقد كان من تربية الله لنبيه ﷺ أن قصّ عليه من سير الأنبياء ما يسلِّيه، لأنَّ نفوس المفسدين في كلّ زمان متقاربة ووسائلهم في محاربة الحق متشابهة[1]، قال تعالي: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فصلت:43].

فمن جهة نظر القرآن نفسه كان تخفيف الضغط على النبي صلى الله عليه وسلم من أهمّ دلالات الترديد؛ وهذا الضغط كان قوياً وعنيفاً، وكانت أسبابه واضحة جلية؛ من كيدٍ للنبي والقرآن والدعوة للإسلام، وهذا أثّر بطريقة مباشرة في نفس النبيّ ودفعه إلى أن يضيق صدراً؛ فقد قال الله تعالى:﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر:97]، وقال أيضاً: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ

(1) ينظر سيكولوجية القصة في القرآن الكريم: التهامي ص 130

الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾[الأنعام: 33]، لقد كان لما يقوله الكفار أثر بالغٌ في نفس النبي ونفس أتباعه وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[يونس:94] فإن كنت يا محمد في شك مما أنزلنا إليك من القصص فاسأل الذين يقرؤون الكتاب أي التوراة من قبلك؛ فإنه ثابت عندهم يخبرونك بصدقه. إنّ هذا الضغط لم يقف عند حده؛ بل تجاوز ذلك إلى ما هو أبعد مدى، قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ؛ لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[القلم: 48-49]، وقال أيضاً: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[هود: 12]، ونجد أنّ القرآن صرّح بهذا الغرض في قوله تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[هود: 120].

لقد صادف الرسول صلى الله عليه وسلم ألوانا من الأذى، وكاد له أعداؤه أعداء الدين، وتربَّصوا به الدوائر، فتارة يتَّهمونه بأنه ليس رسولا،

وتارة يتَّهمونه بأنه شاعر، وتارة بأنه كاهن[1]، وتارة يسبُّونه سبّاً عنيفا، وتارة يقذفونه بالحجارة ويرمونه بالأوساخ والقاذورات، وتارة يصدُّون عن دينه، وتارة يسخرون منه، ومن دينه، وقد كان كلّ همّهم القضاء عليه وعلى أصحابه، وإذ قد وصل بهم الحال إلى ما وصل إليه، فما أحوج النبيّ صلى الله عليه وسلم في كلّ موقف من تلك المواقف إلى تسليته، وتقوية عزمه، وتذكيره بالصبر على أذى قومه.

فرقٌ كبير بين الأمر الذي تكفي فيه اللَّمحة الواحدة والقصة الواحدة حتى تستنير جوانبه فتتكامل معارفه، وبين القصة التي تحكى لأنّ المقام يقتضي ترديدها، والأحداث التي تحيط بالرسول تتناسب مع إعادتها، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام في كلّ لحظة يحتاج إلى رعاية إلهية حيث إنَّ قومه لم يسكتوا عنه برهة، فالصراع دائم، والحقد متحرّك، والخواطر تنبئ عن شرّ متدفّق، ونوايا خبيثة، فكان ترديد القصص القرآنية مواساة لرسول الله صلى الله عليه وسلّم وتعزية له في كل موقف من المواقف، وهذا عامل مهمّ

(1) يقول الشيخ محمد متولّي الشعراوي: "إذا كان محمّد عليه السلام قد سحر من آمن به.. فلماذا لم يسحركم أنتم.. إنّ بقاءكم على الكفر ومحاربة الدين، دليل على أنه ليس ساحرا.. وإلاّ لو كان ساحرا لكان قد سحركم جميعا.. ولم يسلب بعض الناس إرادتهم.. ويترك البعض الآخر على إرادته" معجزة القرآن: الشعراوي ص 37 سلسلة أخبار اليوم، مصر، دط دت

يقـوّي نجـاح الـدعوة الإسـلامية، حـتى تـنهض خفَّاقـة، وهـي تحقِّـق مأربهـا السامي، وغاياتها الطيّبة.

سادسا – ترهيب الجاحدين وإنذارهم:

ترهيبهم بما جرت عليه سُنن الله بعقاب المكذِّبين لرُسُله، ولا أدلّ على صدق السنن الإلهية من حدوثها مرارا وفي ظروف مماثلة وأزمان مُتباعدة[1].

نقرأ في هذا ما جاء في سورة العنكبوت في معرِضِ ذِكْرِ عددٍ من الأنبياء يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ، فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ، وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:14-16].

وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ، فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ، وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ، وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ، فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ

(1) ينظر سيكولوجية القصة في القرآن الكريم: التهامي ص 131

أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: 36-40].

فكلُّ المكذِّبين كانت عاقبتُهم سيِّئةً عبر سائر الأزمنة والأمكنة التي بُعث فيها الرسُل؛ وترديد قصصهم على الأسماع يبعث ترهيبا ووعيدا في القلوب والعقول لتقرّر وتؤكّد خاتمة كلِّ مُكذِّب لهذا الحقّ المبين.

سابعا – تأكيدُ الجانب الغيبيّ وتثبيته في القلوب:

بحيث يصير جُزءا من حياة السامع أو القارئ؛ فالحديث عن الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر تجده في خلال قصص القرآن جميعا، ويندُرُ أنْ تخلوَ قصة من قصص القرآن الكريم عن ذكر جانب أو جوانب من هذه الأمور الخمسة[1].

إنّ تثبيتَ عقيدة الإسلام ونشرها في قومٍ لم يُكلَّفوا قطُّ بشريعةٍ هو من أهمّ دلالات الترديد؛ لوجودهم في فترةٍ من الرسل والأنبياء المنذرين؛ ولذا قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القصص: 46] فهؤلاء القوم لسبب تعاقب الدهور عليهم، وبسبب ما اعتادوا عليه وورثوه من آباءهم وأجدادهم من عبادة غير الله، تأصّلت وتجذّرت فيهم عقيدة الشرك؛ لذلك نراهم يستغربون ويتعجبون فيما إذا قيل لهم إنّ الله واحد لا شريك له، قال تعالى في شأنهم في الآية الكريمة: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:5]، فلا يحوّل ولا يبدل هذا الاعتقاد، إلا بتأكيد وبترديد ما يقابله من التوحيد لله تعالى، وبنفي كل ما يعبدونه من دون الله، وذلك من خلال الأدلّة والبراهين، وتأكيدها وترديدها؛ لترسيخها في نفوسهم إلى أن تكون هي العقيدة الأساس والأصل

(1) ينظر قصص القرآن: عبد الباسط بلبول ص 335

في نظامهم وتشريعهم وعملهم خلال مسيرتهم في الحياة. فبترديد معاني الإسلام التي تحملها القصص القرآنية سوف تنطبع هذه المعاني في النفوس وتصبح ملكات ثابتة بعدما كانت تلك العقائد الفاسدة في عباداتهم مُنطبعة وثابتة في نفوسهم.

إنَّ توجيه العواطف القوية الصادقة نحو عقائد الدين الإسلامي ومبادئه، ونحو التضحية بالنفس والنفيس في سبيل كل ما هو حق، وكل ما هو خير، وكل ما هو جميل – من الدلالات القرآنية للترديد؛ ولعل هذه العواطف هي التي تدفع إلى النشاط للدعوة، كما تجعل الإنسان يستعذب الألم ويتحمَّل الأذى في سبيلها، ومن هُنا يكون التوجيه نحو القيم الجديدة والإيمان بها، ثم الدفاع عنها، والعمل على حثِّ الناس على الإيمان بها إيماناً لا تزعزعه الحوادث، وأيضاً تكوين عواطف قوية وصادقة ضدّ ما هو قبيح وذميم من الأشياء والعادات والأعمال.

ومن أهمّ الأمور التي وجه القرآن العواطف نحوها مشكلات البعث والوحدانية، وبشرية الرسل، وتأييد بعضهم بالمعجزات، وإثبات الوحي والرسالة، وبيان أن الدين كله من عند الله، من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله واحد ربّ الجميع.

والتأكيدُ على وحدة الدين عند الرسل، وتشابُه أقوامهم في موقفهم، يدخل في أصل العقيدة ووحدة الدعوة إليها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:25]؛ ويَقْتَضي تقريرُ هذه الحقيقة أنْ تُعرَضَ طائفةٌ من قصص الأنبياء متتابعةً تَرْوي كلَّ ذلك[1].

(1) ينظر سيكولوجية القصة في القرآن الكريم: التهامي ص 132

الخاتمة

* * *

في هذه الخاتمة سنعْرِضُ أهـمَّ ما سارت عليه صفحات بحثنا حول الترديد القرآني وما صاحَبه من أساليبَ ودلالاتٍ ودواعٍ بلاغية:

❖ الترديد مصطلحٌ عرفته كتب البلاغة بشكلٍ غير ثابت، بحيث تنوَّعَتْ مفاهيمُه عند البلاغيين ولم يحصل اتّفاقٌ على مدلوله، بل كان كلّ منهم يأخذ مفهوما من سلفه ويغيِّر فيه بحسب فهمه، واستمرّ الحال حتى وقتنا الحاضر، فلم يستقلّ كغيره من المصطلحات الكثيرة في البلاغة العربية. إذ شَهِد أربع مفاهيمَ من القرن الرابع الهجري إلى القرن الثاني عشر من الهجرة؛ وقد اخْتَرْنا منها أعمَّها وأشملَها لغيرها من فُنون البديع التي تمتاز بالوظيفة الترديدية، فكان الترديد في هذا البحث بمعنى كلِّ إعادةٍ وَرَدَتْ في القرآن الكريم بأيِّ شكْلٍ كانت. لهذا السبب كان لفظ الترديد أنسب وأدلّ من المصطلح المشهور التكرار، الذي أخذ مكانه الخاصّ بين المصطلحات البلاغية، وأصبح حين إطلاقه يُفهم منه ذلك التكرار الإطنابي. وأيضا لما لاحظناه من استعمال أصحاب المعاجم والقواميس وتوظيف لفظ الترديد للدلالات الصوتية.

❖ لفظ التكرار في بدايات نشوء البلاغة كان معناه مُتَّسعا أكثر من معناه الاصطلاحي الذي أُثبِتَ له فيما بعد، ظهر ذلك عند نموذجين من القُدامى ممن كان لهم هذا الاتساع في الفهم وهما ابنُ الأثير في كتابه المثل السائر، وابنُ البناء المراكشي صاحب كتاب الروض المريع في صناعة البديع ، كما أنَّ من المتأخِّرين المحْدَثين من تابع هذا الفهم

وحمَلَ هو أيضا مصطلحَ التكرار على الشمول، وأشهر نموذج على ذلك هي الأديبة الشاعرة نازك الملائكة في كتابها قضايا الشعر المعاصر.

❖ إن ابن الأثير ربما كان أوّل من فصّل في التكرار، إذ عرَّفَهُ ووضع له أقساما وصلت عنده إلى ستة أقسام، وهي كما بيّنّا مُتداخلة في كثير من الأحيان، وقد حَوَتْ هذه الأقسام أساليبا ترديدية مُتنوِّعة، منها ما فيه ترديد الحرف ومنها ترديد الكلمة ومنها ترديد الجملة، وانضوى عنده فيها ذكر الخاصّ بعد العامّ، والإيضاح بعد الإبهام، وجعل منها أيضا الترادُف.

❖ أمّا ابن البناء المراكشي – وهو في الزمن بعد ابن الأثير– فربما هو الأول من نظر للتكرار بذلك الشمول أكثر من ابن الأثير، فقد خصّص له قِسْما كاملا من كتابه بعنوان التكرير، وقسَّمه إلى قِسْمَيْن كلّ قسم يضمُّ تحته أقساما من الأساليب الترديدية المتنوّعة، منها العكس والتبديل، ومنها التصدير، ومنها الجناس والمشاكلة والسجع والموازنة.

❖ ومن المحدثين نازك الملائكة، وقد تناولت التكرار في كتابها تناولا جديدا في الشعر العربي، وأوضَحَتْ فيه رؤيتها، ووضعت له أقساما من منظور جديد خالَفَتْ به أقسام القدامى؛ ومفهومها للتكرار مفهومٌ واسع شامل يبدأ من ترديد الحرف في الكلمة إلى ترديد مقطع كامل، ونظرتها تُدخل فيه كل المتشابهات المعنوية واللفظية على وجه الخصوص.

❖ في الدراسات القرآنية كانت النظرة نفسها لهذا المصطلح؛ وقد أُلِّفَت هذه الدراساتُ كرُدود على شُبُهات مُثارة حول أساليب الترديد في القرآن الكريم. وأبرز من تناولها ثلاثة، الأوّل ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن، والثاني الخطيب الإسكافي في كتابه درّة التنزيل وغرّة التأويل، والثالث العلاّمة الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن.

❖ يُعدُّ ابن قتيبة – في كتابه تأويل مشكل القرآن– الأوّل في هذا المجال الذي يتناول ما أُشْكِل من الآيات القرآنية، وقد تحدّث عن التكرار كأحد الأمور التي قد تُشكل، وكان مفهومه واسعا كما رأينا أدخل فيه حتى ترديد القصص القرآني.

❖ والإسكافيّ في كتابه درّة التنزيل وغرّة التأويل أوّل تأليف في مجال التشابه اللفظي، وهو مخصّص في توجيه كلّ الألفاظ أو الآيات القرآنية التي قد تظهر بمظهر التشابه والتكرير الزائد، فيجتهد أصحابُ هذا المنهج في التفريق ما أمكن بين تلك المتشابهات، ليخرجوا في الأخير أن ذلك ليس من التكرار. وأوضَحْنا أنّ نظرتهم كانت شاملةً للتكرار سواء الحرف أو الكلمة أو التركيب أو ما تردّد معنىً، وكان ذلك على مستوى كامل القرآن الكريم باعتباره نصّا موحّدا متلاحم السور، فقد تكون الآية الأولى في سورة، والأخرى المشابهة لها في سورة أخرى، ومع ذلك يعدّونهما من المتشابه ويبيِّنون مواطن الاختلاف.

❖ أمّا الزركشيَّ في كتابه البرهان فقد اشتمل على مبحثٍ للتكرار مفصّل، وضَعَ فيه – دون النصِّ على ذلك– تعريفا لغويا واصطلاحيا للتكرار، وأعقبه بذكر سبعة أغراض بلاغية له، وبعدها تحدّث عن ترديد القصة في القرآن وذكر لها أيضا بعض الدلالات التي جاء لأجلها الترديد وقد تابعه في هذه الفوائد كثير من العلماء.

❖ أساليب الترديد في القرآن كثيرة ومتنوّعة، تتوزّع على ثلاثة محاور كبرى، الأوّل الترديد اللغوي ، والثاني الترديد الدلالي، والثالث الترديد الإيقاعي.

❖ الترديد اللغوي ينقسم قسمين، ترديد لفظي ويدخل فيه الترديد باللفظ نفسه أو بما هو من اشتقاقه، وترديد تركيبي وهو خاصّ بترديد تراكيب كاملة إما بتغيير وإما بدونه. ويندرج تحت الترديد اللفظي الأقسام التالية: التكرار، المشاكلة، التصدير، تشابه الأطراف، الإرصاد، العكس، السلب والإيجاب، والمراجعة.

❖ الترديد الدلالي بدوره ينقسم قسمين، ترديدٌ دلالي قريب وهو يشمل ما تكرّر من معنيين متقاربين – مكانيا–، وترديدٌ دلالي بعيد أو الترديد الموضوعي ويدخل فيه بالخصوص ترديد القصص. ويندرج ضمن الترديد الدلالي القريب الأقسام التالية: التذييل، ذكر الخاص بعد العام، ذكر العام بعد الخاص، والإيضاح بعد الإبهام.

❖ الترديد الإيقاعي هو أيضا ينقسم قسمين، ترديد صوتي وهو خاصّ بأصوات الحروف، وترديدٌ نسَقي وهو خاصّ بأوزان وتعادل الألفاظ والآيات. ويدخل ضمن الترديد الصوتي الأقسام التالية: التجانس الصوتي، السجع، الالتزام، والجناس. ويدخل ضمن الترديد النسقي: الموازنة، والازدواج، والترديد الرقمي.

❖ دلالات وأغراض الترديد هي الغاية التي تُستعمل لها كلّ أساليبه، والأسلوب الواحد من أساليب الترديد قد يَحْمِل في طيّاته أكثر من غرض، فقد تتضافر أكثر من دلالة في التعبير الترديدي لتسمو الصورة البلاغية لدرجةٍ أكثر إيحائية.

❖ توجد اثنتا عشرة دلالة لكافّة أنواع الترديد عموما، وينفرِد القصص القرآني بدلالات تخصُّه.

❖ الدلالات البلاغية لأساليب الترديد هي:

- التأكيد
- التطرية والتجديد
- التعظيم والتهويل
- الوعيد والتهديد
- التخصيص والتفسير
- التعجُّب
- تعدُّد المتعلَّق

- استمالة القلوب لقبول الخطاب
- التعاقُب والاستيعاب
- تحقيق التناسب
- الانفعال
- الترنُّم النغَمي

❖ دلالات ترديد القصة القرآنية هي:

- بيان بلاغة القرآن وإعجازه.
- التحدّي والتبكيت.
- جذب النفوس إلى سماع القصة بالمغايرة بين أساليبها.
- تمكين العظة والعبرة وإيقاظ الهمم.
- تسلية قلب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.
- ترهيب الجاحدين وإنذارهم بما جرَتْ عليه سنن الله من عقاب المكذّبين.
- تأكيد الجانب الغيبيّ وتثبيته في القلوب.

الفهارس

أوّلا – فهرس الآيات القرآنية

ثانيا – قائمة المصادر والمراجع

ثالثا – فهرس الموضوعات

* * *

أوّلا – فهرس الآيات القرآنية

الآيات	رقمها	الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	1- 3	34
سورة البقرة		
﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	5	82 ، 214
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى ... وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾	16	106
﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾	21	203
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ... أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	24-23	269
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي... فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.	30 - 38	153
﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ ... وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾	33	164
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ... وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.	34	160

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ ... فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	89	215
﴿مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلائِكَتِهِ ... فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾	98	224 ، 137
﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ... قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾	124	118
﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾	138	104
﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾	187	113
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾	190	102
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ... فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	193	102
﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾	194	102
قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	195	106
﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾	196	142 ، 40
﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾	198	213 ، 82
﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾	238	137 ، 70 ، 6

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾	246	169
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾،﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾	253	83
﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾	267	203
﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾	276	49 ، 194
﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ... فَلْيَكْتُبْ﴾	282	231

سورة آل عمران

﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾	8	106
﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا ... ووَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾	17-16	170
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ ... بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	26	114
﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ... وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	27	113
﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ... نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾	42	82 ، 190 ، 213
﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾	54	103
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ... وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	104	39 ، 138

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا ... وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾	181	169
﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ ... وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	188	215
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ... وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾	192-193	171

سورة النساء

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ... وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾	12	170
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا ... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	27	170
﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ... وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾	131-132	234
﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ... وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	155-161	85
﴿أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً﴾	166	106

سورة المائدة

﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾	31	194
﴿فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾	44	115 ، 116
﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	93	213 ، 224

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾	116	103

سورة الأنعام

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ﴾	1	201
﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾	6	258
﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ...مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	10	107
﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	26	49 ، 192
﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ... بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾	33	276
﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾	52	114
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ... وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	74-79	266
﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ... وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	79	194
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا﴾	115	270
﴿وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ ... بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾	124	14 ، 24 ، 109

﴿إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي﴾	162	139 ، 140

سورة الأعراف

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ... لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾	11	159
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ... وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾	11- 25	154
﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ... وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾	19- 25	161
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ... وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾	33	139 ، 225
﴿يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	59، 65، 73، 85	256
﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾	100	203
﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ... نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾	127	195
﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ ... وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾	148	231
﴿أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	157	230
﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾	201 – 202	184

سورة الأنفال

﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾	38	258

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ... وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾	60	225

سورة التوبة

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾	29	37
﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً ... مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾	36	142
﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾	38	194
﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾	63	217
﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾	78	139
﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ ... بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	95	195
﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ... فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾	108	14 ، 109
﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ... وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ﴾	111	134
﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾	127	194

سورة يونس

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ﴾	10	240

﴿وَمَـا كَـانَ النَّـاسُ إِلاَّ أُمَّـةً وَاحِـدَةً ... لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾	19	111
﴿أَمْ يَقُولُـــونَ افْتَـــرَاهُ... إِنْ كُنْـــتُمْ صَادِقِينَ﴾	38	269
﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ... عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾	92-88	274
﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ... فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾	94	277

سورة هود

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا... وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	12	277
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ... إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	13	269
﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾	42	239
﴿قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ ... ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ﴾	48	170
﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾	93	223
﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا ... وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	120	277، 276

سورة يوسف

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ... رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾	4	218
﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ ... وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ﴾	28-27	114
﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾	86	40

سورة الرعد

﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ... وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	5	36 ، 82 ، 100
﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ... وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾	16	171
﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ ... كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾	17	226
﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ﴾	24-23	240

سورة الحجر

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ... بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾	26 - 44	155
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ... مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾	26 - 33	162
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ ... أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.	28 - 31	159

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾	66	141 ، 228
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾	87	140
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾	97	276

سورة النحل

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	5	226
﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾	69	192
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا ... إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	110	100 ، 216
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ... إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	119	83 ، 100 ، 218

سورة الإسراء

﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾	21	107
﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾	23	115
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا ... قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾	61	159

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ... وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾.	61 – 65	156
﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾	81	134
﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ... وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾	88	269

سورة الكهف

﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾	29	223
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾	30	73
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ ... بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾	50	157 ، 159 ، 163
﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ... لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾	54–53	194
﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾	104	193 ، 49

سورة مريم

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ... وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾	50–41	263
﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ ... فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾	45–42	238 ، 99

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ... أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾	78-77	178
﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ... وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾	81-82	198
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ ... فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾	83-84	198

سورة طه

﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾	26-25	142
﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا، وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾	34-33	82 ، 214
﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾	71	275
﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	94	193
﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾	97	192
﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيامَةِ ... وَساءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ حِمْلاً﴾	100-101	198
﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً... أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾	113	273
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى﴾	116	159
﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ... وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾	115 - 127	157

سورة الأنبياء

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	25	284
﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾	33	193
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ... كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾	35-34	135
﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ ... مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	41	107
﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ... وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾	56-52	118

سورة المؤمنون

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾	35	216 ، 74
﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾	36	96
﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ، ... لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	112-114	119

سورة النور

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ.... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	35	233 ، 108
﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾	37	194 ، 49
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ... يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾	43	99

﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾	44-43	191

سورة الفرقان

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾	36-35	268

سورة الشعراء

﴿طسم ، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ... وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	9 - 1	243
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾	9 - 8	244 ، 243 ، 129
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ... أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾	82-69	264
﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾	80-79	192
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾	105 - 110	244 ، 128
﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ... إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	123- 127	128
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ... إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	141- 145	128
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ... إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	160- 164	128
﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾	168	194

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ... إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	176-180	129

سورة النمل

﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾	22	192
﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾	67	74
﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ ... لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	44	119

سورة القصص

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا ... مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾	5-6	227
﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا ... كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ﴾	18-19	35
﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي ... وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾	19	82 ، 214
﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾	45	192
﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾	46	282
﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	51	273

سورة العنكبوت

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ... إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	16-14	280
﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾	20-19	195
﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا... وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	40-36	281
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	40	111
﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء ... وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾	41	112
﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ ... لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	66-65	223

سورة الروم

﴿وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ... وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾	7-6	14 ، 109 ، 115 ، 116
﴿وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾	7	45
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ.... لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	24-21	130
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾	43	195
﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ ... أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾	49-48	101

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾	55	189

سورة لقمان

﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	13	238
﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾	14	96
﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ ... إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾	17-16	238

سورة الأحزاب

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾	37	105
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾	72	39 ، 137

سورة سبأ

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾	5	37
﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾	17	135

سورة فاطر

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ ... فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	2	114
﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾	13	46

سورة الصافات

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾	73-72	193
﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ... إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾	81-79	130
﴿سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ... إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾	109-111	130
﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	117-118	196
﴿سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ... إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾	120-122	130
﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ ... إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾	130-132	130

سورة ص

﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾	5	282
﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ... إِنْ كُلٌّ إِلاّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾	12 - 14	34
﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ... وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	85-71	158
﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ... وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	74-71	159

سورة الزمر

﴿قُـلْ إِنِّي أُمِـرْتُ أَنْ أَعْبُـدَ اللَّـهَ ... لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾	12-11	82 ، 214

سورة غافر

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ... أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾	37-36	109
﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ ... وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾	39-38	237
﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا ... وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	66-64	97

سورة فصّلت

﴿خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾	9	142
﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾	10	
﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾	40	223
﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾	43	276

سورة الشورى

﴿وَالَّـذِينَ يُحَـاجُّونَ فِي اللَّـهِ... ذَلِـكَ هُـوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (22)﴾	22-16	199
﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾	40	48 ، 103

سورة الزخرف

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْواهُمْ﴾	80	6

سورة الطور

﴿وَالطُّورِ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾	2-1	184

سورة النجم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾	2-1	178
﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾	44-43	203

سورة القمر

﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾	2	182
﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾	3	182
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾	19	182
﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ... وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾	22 - 1	179
﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾	38	182
﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ، وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾	39 - 40	36

﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾	46	182
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ؛ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾	55-54	181

سورة الرحمن

﴿الرَّحْمَنُ ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ... فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	18 - 1	121 ، 120
﴿خَلَقَ الإِنْسانَ﴾	3	121
﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ... بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾	9-7	190 ، 122
﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ﴾	8	121
﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾	13	5 ، 36 ، 46 ، 54 ، 69 ، 84 ، 87 ، 120 ، 232، 273
﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾	17	122
﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِرَانِ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	36-35	123
﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ ... فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	42-41	124
﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ... فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	45-43	124
﴿هَلْ جَزاءُ الإِحْسانِ إِلاَّ الإِحْسانُ﴾	60	111
﴿فِيهِما فاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾	68	70 ، 39 ، 6

سورة الواقعة

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ... مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾	9-8	219
﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ... أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾	11-8	230
﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ المقَرَّبُونَ﴾	11-10	96 ، 210
﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا، إِلاّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا﴾	26-25	240
﴿إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً﴾	26	96
﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ، فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾	28-27	221
﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾	29-28	184
﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ، فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾	42-41	221
﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾	64	112
﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾	89	195

سورة الحديد

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا ... مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾	27	227

سورة المجادلة

﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم ... مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾	2	115

سورة الحشر

﴿وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾	11	192

سورة الممتحنة

﴿لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَ لاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾	10	114

سورة الجمعة

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ... وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾	5	115

سورة التحريم

﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾	4	140

سورة القلم

﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ، وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾	3-2	185
﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ... لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾	49-48	277

سورة الحاقة

﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ﴾	2-1	82
﴿الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾	3-1	219 ، 96
﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبالُ فَدُكَّتا دَكَّةً واحِدَةً﴾	14	241
﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾	31-30	178

سورة المعارج

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ...وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا، يُبَصَّرُونَهُمْ﴾	11-5	48 ، 198
﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾	21-19	47

سورة نوح

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾	10	105
﴿مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾	14-13	178
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾	28	140

سورة المدثر

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾	3	193
﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾	20-18	229
﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾	19 – 20	84 ، 211 ، 229
﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ... لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ، عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾	30-18	247 ، 248

سورة القيامة

﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ... إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾	30-26	185، 191
﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى، ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾	35-34	222

سورة الإنسان

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ ... قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾	16-15	109

سورة المرسلات

﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً... عُذراً أو نُذراً﴾	6-1	126 ، 177
﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا ، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا.... وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾	19-1	125
﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾	7	126
﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ... وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾	15-8	126
﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ... وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾	15-12	127
﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾	15	77 ، 120
﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾	50	78

سورة النبأ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ... وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾	40 - 1	250
﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾	5-4	214
﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾	7-6	178

سورة النازعات

﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾	24	275

سورة التكوير

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ... عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾	1 - 14	98
﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾	15-16	184

سورة الانفطار

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾	17-18	83 ، 211

سورة الانشقاق

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ... وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾	1-5	76
﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾	17-18	185

سورة الطارق

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ... إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾	1-4	198

سورة الغاشية

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾	13-14	177
﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾	15-16	198
﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾	25 - 26	177
﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ، وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ، وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾	28-30	177

سورة الفجر

﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	22-21	96 ، 241
﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾	22	242

سورة البلد

﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾	2-1	75 ، 97

سورة الضحى

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾	10-9	185، 203

سورة الشرح

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ... وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾	1 - 4	142 ، 185
﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾	6-5	46 ، 210
﴿فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ، وَإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾	8-7	201

سورة العلق

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾	2-1	74 ، 109
﴿كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾	16-15	110

سورة القدر

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾	2-1	221
﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾	3-2	110
﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾	4	138

سورة العاديات

﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾	8-7	192
﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ﴾	11	192

سورة القارعة

﴿الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ﴾	2-1	82 ، 220
﴿وَما أَدْراكَ مَا هِيَهْ﴾	10	230

سورة التكاثر

﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	4-3	83 ، 210 ، 211 ، 212 ، 222

سورة العصر

﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	2-1	203

سورة الهمزة

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾	1	192
﴿كَلاّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾	5-4	96

سورة الكافرون

﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ﴾	1	69 ، 5
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَ لا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ، وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	6-1	234 ، 33

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	1	143

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾	6-1	97

ثانيا – قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الإتقان في علوم القرآن: السيوطي تحقيق أبو الفضل ابراهيم الهيئة المصرية للكتاب 1974 دط .
- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني ت محمود شاكر مطبعة المدني القاهرة دار المدني جدة دط دت.
- الأسس الجمالية في النقد العربي: عز الدين اسماعيل دار الفكر العربي القاهرة 1992 دط.
- الأسلوبية في دراسات الإعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري: عواطف كنوش مصطفى أطروحة دكتوراه أدب البصرة 1995م
- الإعجاز العددي للقرآن الكريم: عبد الرزاق نوفل دار الكتاب العربي بيروت ط 5 ت 1987م.
- إعجاز القرآن: الباقلاني تحقيق أحمد صقر دار المعارف مصر ط5 1997م.

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الرافعي دار الكتاب العربي بيروت ط8 2005م.
- إعجاز القرآن -دراسة كاشفة لخصائص البلاغة ومعاييرها-: د عبد الكريم الخطيب دار الكتاب العربي مصر ط1 1964م
- الأعلام الزركلي دار العلم للملايين بيروت ط15 2002م.
- أمالي السيد المرتضى: علي بن الطاهر ت بدر الدين الحلبي مطبعة السعادة مصر ط1 1907م.
- أنبياء الله: أحمد بهجت، دار الشروق، القاهرة، ط18، 1990م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم المدني تحقيق شاكر هادي شكر مطبعة النعمان العراق ط1 1969م.
- الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني دار الكتب العلمية بيروت دط دت.
- الإيقاع في لغة القرآن الكريم-دراسة أسلوبية دلالية-: عبد الواحد زيارة رسالة ماجستير جامعة البصرة كلية الآداب 1995م
- بديع القرآن: ابن أبي الإصبع ت حفني محمد نهضة مصر للطباعة والنشر دط دت.

- البديع في نقد الشعر: أسامة ابن منقذ تحقيق أحمد بدوي، حامد عبد المجيد الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والإرشاد القومي الإقليم الجنوبي دط دت.
- البرهان في علوم القرآن: الزركشي دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (وصوّرته دار المعرفة بيروت بالترقيم نفسه) ط1 1957م.
- البلاغة تطوّر وتاريخ: شوقي ضيف دار المعارف مصر ط 11 د ت.
- البلاغة الغنية: علي الجندي مكتبة الأنجلو المصرية ط 2 ت 1966م.
- بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي: محمد عبد المطلب دار المعارف مصر ط2 1995م.
- البيان في روائع القرآن: تمام حسان عالم الكتب مصر ط1 1993م.
- البيان والتبيين الجاحظ مطبعة المدني مصر ط 7 ت 1998م.

- تاج العروس من جواهر القاموس مرتضى الزّبيدي تحقيق عبد العزيز مطر وآخرون دار الهداية الكويت 1970 دط.

- تأويل مشكل القرآن ابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر دار التراث مصر ط 2 1973 م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الإصبع ت حفني شرف الجمهورية العربية المتحدة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي دط دت.
- التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور الدار التونسية تونس 1984 دط.
- التصوير الفني في القرآن: سيد قطب ابراهيم دار الشروق ط17 دت.
- التعبير القرآني لفاضل السامرائي دار عمار عمان ط4 2006م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): رشيد رضا الهيئة المصرية العامة للكتاب دط 1990م.
- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة، ط2، 1999م.
- التفسير المنير: وهبة الزحيلي دار الفكر المعاصر دمشق ط2 1418هـ.

- التكرار المعنويّ في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية): رسالة دكتوراه يحيي محمَّد علي المهْدي جامعة أمّ درمان الإسلامية كلّية اللُّغة والأدب السودان 2008م.
- التكرير بين المثير والتأثير: عز الدين السيد عالم الكتب بيروت ط2 1986م.

- الجامع الكبير لابن الأثير: د مصطفى جواد و د جميل سعيد مطبعة المجمع العلمي العراقي 1956 م دط.
- جواهر القرآن: أبو حامد الغزالي؛ تحقيق د محمد رشيد رضا قباني؛ دار إحياء العلوم؛ بيروت؛ ط 1 ت 1985
- جوهر الكنز: ابن الأثير الحلبي ت محمد زغلول سلام منشأة المعارف الإسكندرية دط دت.
- حلية المحاضرة في صناعة الشعر أبو علي الحاتمي تحقيق د جعفر الكتاني وزارة الثقافة والإعلام بغداد 1979 م دط.
- خزانة الأدب وغاية الأرب الحموي تحقيق عصام شقيو دار ومكتبة الهلال بيروت دار البحار بيروت الطبعة الأخيرة 2004م.

- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: عبد العظيم المطعني مكتبة وهبة مصر ط1 1992م.

- دراسات قرآنية لمحمد قطب دار الشروق القاهرة ط2 ت 1980م .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني ت محمد عبد المعيد مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند ط2 1972م.
- درّة التنزيل وغرة التأويل: الخطيب الإسكافي جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية مكة المكرمة ط1 2001م.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي تحقيق علي عبد الباري دار الكتب العلمية بيروت 1415هـ دط .
- الروض المريع في صناعة البديع : ابن البناء المراكشي ت رضوان بنشقرون دار النشر المغربية الدار البيضاء 1985 دط.

- سرّ الفصاحة: ابن سنان الخفاجي دار الكتب العلمية بيروت ط1 1982م.

- سيكولوجية القصة في القرآن الكريم: التهامي نقرة الشركة التونسية للتوزيع 1974 دط.
- سورة الرحمن وسور قصار: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط3، 1995م.

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسُنن العرب في كلامها، تحقيق عمر فاروق الطبّاع ، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993م

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: القلقشندي دار الكتب العلمية بيروت دط دت.
- الصناعتين لأبي هلال العسكري ت البجاوي ومحمد إبراهيم نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه ط2 1971م.

- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: العلوي المكتبة العنصرية بيروت ط1 1423هـ.

- العُمْدة في محاسن الشعر وآدابه: ابن رشيق القيرواني ت محيي الدين عبد الحميد دار الجيل بيروت ط5 1981م.

- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: الأنصاري ت محمد علي الصابوني دار القرآن الكريم بيروت ط1 1983م
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات الكتاني تحقيق إحسان عباس دار الغرب الإسلامي بيروت ط 2 ت 1982 م.
- في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم دار الشروق القاهرة.

- القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته: فضل حسن عباس دار الفرقان الأردن ط1 1987م.
- قصص القرآن: عبد الباسط بلبول مكتبة أصول الدين بالقاهرة.
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: عبد الكريم الخطيب دار المعرفة بيروت ط2 1975م.
- القصة القرآنية: فتحي رضوان، سلسلة كتاب الهلال، عدد أغسطس، 1978م.

- قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة دار العلم للملايين بيروت دت.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: جارالله الزمخشري ت عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي بيروت دط دت
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل: الزمخشري دار الكتاب العربي بيروت 1407هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون حاجي خليفة مكتبة المثنى بغداد 1941هـ دط.
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني: بدر الدين بن جُماعة ت عبد الجواد خلف دار الوفاء المنصورة ط1 1990م.

- اللآليء الحسان في علوم القرآن: موسي شاهين دار الشروق مصر ط1 2002م.
- لسان العرب: ابن منظور دار صادر بيروت ط 1 د ت.

- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: صالح بن عبد الله الشثري رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى كلية اللغة العربية قسم الدراسات العليا فرع البلاغة والنقد بإشراف أد محمد أبو موسى 2001م .
- المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه: محمد بن راشد البركة رسالة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية أصول الدين بالرياض قسم القرآن وعلومه بإشراف أد سليمان اللاحم 1425/1426هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير ت أحمد الحوفي، بدوي طبانة دار النهضة مصر دط دت.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله الطيب مطبعة الكويت ط3 1989 م.
- مشكل القرآن الكريم: عبد الله المنصور دار ابن الجوزي السعودية ط1 1426هـ.
- المصباح في المعاني والبيان والبديع: ابن الناظم ت حسني عبد الجليل مكتبة الآداب مصر ط1 1989م.
- مصحف التجويد: دار المعرفة دمشق الطبعة الثانية سنة 1420 هـ.

- معالم الكتابة ومغانم الإصابة: ابن شيث القرشيّ (نشره الخوري قسطنطين المخلصي) بيروت 1913م.
- معاني القرآن: الفراء ت أحمد يوسف،محمد علي،عبد الفتاح إسماعيل دار المصرية مصر دط دت.
- معجزة القرآن: الشعراوي سلسلة أخبار اليوم، مصر، دط دت.
- معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ياقوت الحموي ت إحسان عباس دار الغرب الإسلامي بيروت ط1 1993م.
- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002: كامل سلمان الجبوري دار الكتب العلمية بيروت ط1 2002م.
- معجم المصطلحات الأدبية: إبراهيم فتحي التعاضدية العمالية للطباعة تونس ط1 1986م.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة،كامل المهندس مكتبة لبنان بيروت ط2 1984م.
- المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم: صبحي عبد الرؤوف عَصَر، دار الفضيلة القاهرة 1990 دط.

- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: ابن الزبير الغرناطي دار الكتب العلمية بيروت دط دت.
- من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية ط2 دت

- المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي تحقيق عمر خليفة بن إدريس جامعة قات يونس بنغازي ط1 1994 م.
- من قضايا الأدب الحديث: محمد عناني الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر دط 1995م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجنّي تحقيق ابن الخوجة دار الغرب الإسلامي لبنان ط3 1986م.
- موسوعة شعراء العرب: محمد بوزواوي دار الهومة الجزائر (2010) دط.
- موسوعة علوم اللغة العربية: بديع إميل يعقوب دار الكتب العلمية بيروت ط1 2006م.

- النبأ العظيم: محمد عبد الله دراز دار القلم بيروت ط2 2005م.
- نضرة الإغريض في نصرة القريض: المظفر بن الفضل العلوي ت نهى عارف مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1976 دط.
- نظرات في القرآن: محمد الغزالي، دار التوفيق النموذجية، ط6 1986م
- النكت في إعجاز القرآن: الرماني ت (محمد خلف الله ومحمد زغلول) دار المعارف مصر ط3 1976م.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخرالدين الرازي ت نصر الله حاجي دار صادر بيروت ط1 2004م.

- الوشي المرقوم في حلّ المنظوم لضياء الدين ابن الأثير ت د. جميل سعيد المجمع العلمي العراقي ط 2 دت.
- وفيات الأعيان لابن خلّكان تحقيق إحسان عباس دار صادر بيروت - ج3: دط دت - ج4: ط1 ت 1971م.

المجلاَّت:

- مجلة التراث العربي العدد 90 دمشق - 2003م.
- مجلة الجامعة الإسلامية المجلد العاشر العدد الثاني فلسطين سنة 2002م.

ثالثا – فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدّمة	أ
المدخل: نَشأة التردْيد في البلاغة العربية	1
الباب الأوّل: الترديد مفهومه وأنماطه في الدراسات البلاغية والقرآنية...	8
الفصل الأوّل: مصطلح الترديد في البلاغة العربية	9
المبحث الأوّل: الدلالة اللغوية	10
المبحث الثاني: الدلالة الاصطلاحية	12
الفصل الثاني: الترديد في الدراسات البلاغية	26
المبحث الأوّل: المثل السائر لابن الأثير	29
أوّلا – ترجمة موجزة لابن الأثير.....	29
ثانيا – الترديد عند ابن الأثير	30
المبحث الثاني: الروض المريع في صناعة البديع لابن البناء المراكشي	43
أوّلا – ترجمة موجزة لابن البناء.....	43
ثانيا – الترديد عند ابن البناء	44

المبحث الثالث: قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة	51
أوّلا – ترجمة موجزة لنازك الملائكة.....	51
ثانيا – الترديد عند نازك الملائكة	52
الفصل الثالث: الترديد في الدراسات القرآنية	61
المبحث الأول: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة	65
أوّلا – ترجمة موجزة لابن قتيبة.....	65
ثانيا – الترديد عند ابن قتيبة	66
المبحث الثاني: درّة التنزيل وغرّة التأويل للخطيب الإسكافي	72
أوّلا – ترجمة موجزة للإسكافي.....	72
ثانيا – الترديد عند الإسكافي	73
المبحث الثالث: البرهان في علوم القرآن للزرْكَشي	80
أوّلا – ترجمة موجزة للزركشي.....	80
ثانيا – الترديد عند الزركشي	81
الباب الثاني: أساليب الترديد في القرآن الكريم	89
الفصل الأوّل: الترديد اللّغويّ	92
المبحث الأوّل: الترديد اللَّفْظي (باللَّفْظ نفسه أو من اشتقاقه)	93
المطلب الأوّل ـ التكرار	93
المطلب الثاني ـ المشاكلة	102
المطلب الثالث ـ التصدير	105

المطلب الرابع ـ تشابُه الأطراف	108
المطلب الخامس ـ الإرْصاد	111
المطلب السادس ـ العكس	113
المطلب السابع ـ السلب والإيجاب	115
المطلب الثامن ـ المراجَعة	118
المبحث الثاني: الترديد التركيبي (الجُمْلة)	120
المطلب الأوّل ـ الترديد التامّ	120
المطلب الثاني ـ الترديد غير التامّ	128
الفصل الثاني: الترديد الدلالي	132
المبحث الأول: الترديد الدلالي القريب (بين مَعْنَيَيْن متقاربين)	133
المطلب الأوّل ـ التذييل	133
المطلب الثاني ـ ذكر الخاصّ بعد العامّ	137
المطلب الثالث ـ ذكر العامّ بعد الخاصّ	139
المطلب الرابع ـ الإيضاح بعد الإبهام	141
المبحث الثاني: الترديد الدلالي البعيد (المَوْضُوعي)	144
المطلب الأول ـ موضوعات القرآن الكريم	144
المطلب الثاني ـ ترديد القصص القرآني	150
الفصل الثالث : الترديد الإيقاعي	167
المبحث الأول: الترديد الصوْتي (النغَمي)	168
المطلب الأوّل ـ التجانس الصوتي	168
المطلب الثاني ـ السجع	173

المطلب الثالث ـ الالتزام	184
المطلب الرابع ـ الجناس	187
المبحث الثاني: الترديد النسَقي (الوزن والتعادل)	196
المطلب الأوّل ـ الموازنة	196
المطلب الثاني ـ الازدواج	201
المطلب الثالث: الترديد الرقمي	204
الباب الثالث: بلاغة أساليب الترديد في القرآن الكريم	206
الفصل الأوّل: دلالات الأساليب الترديدية المتقاربة الأطراف	209
أوّلا ـ التأكيد	210
ثانيا ـ التطرية والتجديد	215
ثالثا ـ التعظيم والتهويل	219
رابعا ـ الوعيد والتهديد	222
خامسا ـ التخصيص والتفسير	224
سادسا ـ التعجُّب	229
سابعا ـ تعدُّد المتعلِّق	232
ثامنا ـ استمالة القلوب لقبول الخطاب	237
تاسعا ـ التعاقُب والاستيعاب	240
عاشرا ـ تحقيق التناسب	243
حادي عشر ـ الانفعال	246
ثاني عشر ـ الترنُّم النغَمي	249

الفصل الثاني: دلالات الأساليب الترديدية المتباعدة الأطراف (القصص)	252
أوّلا ـ بيان بلاغة القرآن وإعجازه	262
ثانيا ـ التحدّي والتبكيت	269
ثالثا ـ جذب النفوس إلى سماع القصة بالمغايرة بين أساليبها	271
رابعا ـ تمكين العظة والعبرة وإيقاظ الهمم	273
خامسا ـ تسلية قلب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم	276
سادسا ـ ترهيب الجاحدين وإنذارهم	280
سابعا ـ تأكيدُ الجانب الغيبيّ وتثبيته في القلوب	282
الخاتمة	285
الفهارس	292
فهرس الآيات القرآنية	293
قائمة المصَادر والمرَاجع	322
فهرس الموضوعات	336

ملخّص

تدُورُ محاوِرُ هذا البحث على فِكْرة الترديد وأساليبِها في القرآن الكريم، مع دراسة هذه الظاهرة بلاغياً، وقد انقَسَم إلى مَدْخلٍ وثلاثةِ أبواب وخاتمة: اشتَمَلَ المدخَلُ لمحةً عامّةً حَوْل نُشُوءِ الترديد في البلاغة العربية؛ وتركَّزَ البابُ الأوّل على لَفْظة الترديد مُصْطلحا ومَفْهوما، ونَشأتِها في الدراسات البلاغية والقرآنية؛ في حين أجْمَلَ البابُ الثاني كلَّ الأساليب الترديدية ضِمْن ثلاثةِ أصول رئيسة، جمَعَتْ كلَّ فنونَ البلاغة التي تعتمِدُ وظيفةَ الترديد؛ أمّا البابُ الثالث فكان حَوْل الدلالاتِ التي جاءت لأجلها تلك الأساليب. ثمّ ختَمْتُ بخاتمةٍ لخَّصَتْ نتائجَ البحث. وكان مَنْهَجي فيه وصفيا تحليليا على العموم.

الكلمات المفتاحية: القرآن ، الترديد ، أساليب ، الأسلوبية ، البلاغة.

Résumé

Les axes de cette recherche se basent sur l'idée de la répétition et ces méthodes dans le Coran, avec l'étude de ce phénomène de point de vu rhétorique. La recherche a été divisée en une entée, trois parties et une conclusion: L'entrée a donné un aperçu générale sur l'émergence de la répétition dans la rhétorique arabe, et la première partie s'est concentré sur la terminologie et la conception de la répétition, et ses origines dans les études rhétoriques et coraniques. Tandis que la deuxième partie a englobé toutes les méthodes de la répétition en trois bases primordiales, recueillies toute les arts de la rhétorique basés sur la fonction de la répétition. Cependant, la troisième partie était sur les connotations qu'ils sont venu pour lesquelles ces méthodes. Puis conclusion scellé résumer les résultats de la recherche. La méthodologie suivie était descriptive analytique en général.

Mots clés: Coran, la répétition, les méthodes, la stylistique, la rhétorique.

Summary

The main point of this research is on the idea of repeating and methods in the Qur'an, with the study of this phenomenon rhetorical, has been split into the entrance. It has been split into the introduction, three sections and a conclusion: The introduction included the overview of the emergence of repetition in Arabic rhetoric; and the first part has focused on the repetition as a term and concept, and its origins in the rhetorical and koranic studies; while the second part has concluded all the repetition's manners within three bases, collecting all the rhetoric arts based on the function of repetition. Though, the third part was about the connotations which came for them these manners. Then it was ended with a conclusion summed up the search results. The method used was descriptive and analytical in general.

Key words: Quran, repetition, methods, stylistic, rhetoric.

ملخّص الأطروحة

إنّ من بين القضايا المهمّة التي أثيرت من قديمٍ في كتاب الله، قضيةُ الترديد في ألفاظه وآياته؛ فبدأت أوّلَ ما بدأت في نسبة السجع إلى القرآن، وتلك الحروف التي تتردّد على مسافةٍ تقصر أو تطول أيصحُّ أن نسمّيَها سجعا؟، وأيضاً الآيات التي تردَّدَتْ بشكْلٍ كاملٍ على طول السورة، فجاوز بعْضُها الثلاثين، هل نعُدُّها من التكرار؟، ثمّ قضية القصَص القرآني وتردُّد القصّة في أكثر من سورة وما صاحَبَها.

فالترديد في القرآن الكريم زاخر وافر في كثير من أساليبه – تردُّد الحرف أو الألفاظ أو الموضوع – ، وقد كان بعضُ عُلَمائنا يتجنَّبون إطلاق لفْظِ سَجْعٍ أو لفظ تَكرار في القرآن الكريم لِمَا كانت تحمِلُه هاتين اللَّفْظتين من مَعانٍ إضافية وظلالٍ لا تليقُ بكلام الله، في زمَنٍ مُعَيَّن حمَل تلك المعاني؛ أمّا تردُّد الحرف أواخر الجُمل فله أسرارُهُ الصوتية البلاغية، وقد أبقى البلاغيون على إطلاق السجع عليه، وأمّا تردُّد الألفاظ والآيات والقصص فلَهُ دلالاتُهُ وأغراضُهُ التي ما فتئ البلاغيُّون في إثباتها وشَرْحها، وقد أقرُّوا مُصْطلح التكرار كنَوْعٍ من الإطناب في كُتُب البلاغة.

ولكنْ إلى أيِّ مدى يوجدُ هذا الترديد في القرآن الكريم؟ ، وما هي كلُّ الأنواع أو الفنون البلاغية التي تعتمد الترديد في جوهرها واستخْدَمَها القرآنُ الكريم؟، ثمّ ما دلالات ورودها في الآيات القرآنية؟.

كلّ هذا جاء البحْثُ ليُجيب عليه، وليجمَعَ خيوط الترديد على مستوى الصوت أو الألفاظ أو التراكيب أو الموضوعات، ويرصُدَ منهجيةً تفي بكلِّ الفنون البلاغية التي ترتكز على وظيفة الترديد فيها؛ وتحدّدُ ثلاثة أقسام تُدْرج ضِمنها كلّ الطرق التكرارية؛ وأيضا تُثبتُ نماذجَ وافرةً من القرآن الكريم، دون أن تستقصيَ جميعها.

فكان مَنْهجُ البحث وصفيا تحليليا في غالبه، بحيث أعدْتُ ضبط المتفرّقات من فنونٍ بلاغية شتى تحت أصولٍ وضوابطَ تجمَعُها وتحكُمُها طبيعَتُها الترديدية، وتخلّلَتْ بعضَ النصوص تحليلاتٌ بلاغية اقتضاها مقامُها.

ورأيْتُ أن أجعله في مدخل وثلاثة أبواب وخاتمة؛ تحدّثت في المدخل عن لمحة تاريخية عامة حول نشوء الترديد في البلاغة كتمهيد للباب الأوّل:

- الباب الأوّل: الترديد مفهومه وأنماطه في الدراسات البلاغية والقرآنية

تحدّثتُ فيه عن الترديد مصطلحاً ومفهوماً، فقد عرف هذا المصطلح اضطراباً عند البلاغيين، ولذلك انْقَسَم هذا الباب ثلاثة فصول: تناولْتُ في الفصل الأوّل مسار مصطلح الترديد في كتب أشهر البلاغيين، وبيّنْتُ الاضطراب الذي عرفه، فآثرْتُه على مصطلح التكرار. أما الفصل الثاني والثالث فكان الحديث فيهما عن مسار مفهوم الترديد – ظاهرة ترديد الحروف والألفاظ

والدلالة – في الدراسات البلاغية والدرسات القرآنية. وانتقيت ثلاثة مؤلّفات بلاغية وثلاثة أخرى قرآنية أدرس فيها الظاهرة.

فكانت فُصولُ الباب الأوّل كالتالي:

الفصل الأول : مصطلح الترديد في البلاغة العربية

إنَّ مُصطلح الترديد عُرف من قديمٍ في كُتب البلاغة العربية إلاَّ أنَّه لم يَسْتَقِرَّ على تعريفٍ ثابت، إذ شَهِدْنا له أربع مفاهيمَ من القرن الرابع الهجري إلى القرن الثاني عشر من الهجرة؛ وقد اخْتَرْنا منها أعمَّها وأشملَها لغيرها من فُنون البديع التي تمتاز بالوظيفة الترديدية، فكان الترديد في هذا البحث بمعنى كلِّ إعادةٍ وَرَدَتْ في القرآن الكريم بأيِّ شكْلٍ كانت.

الفصل الثاني : الترديد في الدراسات البلاغية

اختَرْنا بعض الدراسات التي تمتاز بالأهمِّية والسَّبْق في طُروق هذه الظاهرة من أيِّ جانبٍ من جوانبها؛ فوَجَدْنا هذه الدراسات تناوَلَتْ هذا المفهوم تحت اسم التكرار، نَظراً لأنَّ بعْضَها أُلِّفَ في وقتٍ لم تأخُذ فيه المصطلحات البلاغية بعدُ مكانها الثابت؛ أو لأنَّ البعض استعمل لفظ التكرار بمعناه اللُّغوي، ولم يهتمّ لمعناه الاصطلاحيّ الذي أقرَّتْهُ كُتب السكاكي والقزويني وما تَبِعَها مِنْ شُروح.

وقد اخْتَلَفَت هذه الدراسات في تطرُّقها لهذا الموضوع، ولكنَّها في أجمعها اتَّفقت على تناول الأساليب الترديدية في كلّ مستوياتها: الحرف، الكلمة، التركيب، والدلالة القريبة والبعيدة.

لفظ التكرار في بدايات نشوء البلاغة كان معناه مُتَّسعا أكثر عن معناه الاصطلاحي الذي أُثبِتَ له فيما بعد، ظهر ذلك عند نموذجين من القدامى ممن كان لهم هذا الاتساع في الفهم وهما ابنُ الأثير في كتابه المثل السائر، وابنُ البناء المراكشي صاحب كتاب الروض المريع في صناعة البديع ، كما أنَّ من المتأخِّرين المحْدَثين من تابع هذا الفهم وحمَلَ هو أيضا مصطلحَ التكرار على الشمول، وأشهر نموذج على ذلك هي الأديبة الشاعرة نازك الملائكة في كتابها قضايا الشعر المعاصر.

إن ابن الأثير ربما كان أوّل من فصّل في التكرار، إذ عرَّفَهُ ووضع له أقساما وصلت عنده إلى ستة أقسام، وهي كما بيّنّا مُتداخلة في كثير من الأحيان، وقد حَوَتْ هذه الأقسام أساليبا ترديدية مُتنوِّعة، منها ما فيه ترديد الحرف ومنها ترديد الكلمة ومنها ترديد الجملة، وانضوى عنده فيها ذكر الخاصّ بعد العامّ، والإيضاح بعد الإبهام، وجعل منها أيضا الترادف.

أمّا ابن البناء المراكشي – وهو في الزمن بعد ابن الأثير– فربما هو الأول من نظر للتكرار بذلك الشمول أكثر من ابن الأثير، فقد خصّص له قِسْما كاملا من كتابه بعنوان التكرير، وقسَّمه إلى قِسْمَيْن كلّ قسم يضمُّ تحته أقساما

من الأساليب الترديدية المتنوّعة، منها العكس والتبديل، ومنها التصدير، ومنها الجناس والمشاكلة والسجع والموازنة.

ومن المحدثين نازك الملائكة، وقد تناولت التكرار في كتابها تناولا جديدا في الشعر العربي، وأوضَحَتْ فيه رؤيتها، ووضعت له أقساما من منظور جديد خالَفَتْ به أقسام القدامى؛ ومفهومها للتكرار مفهومٌ واسع شامل يبدأ من ترديد الحرف في الكلمة إلى ترديد مقطع كامل، ونظرتها تُدخل فيه كل المتشابهات المعنوية واللفظية على وجه الخصوص.

الفصل الثالث : الترديد في الدراسات القرآنية

أُلِّفَت الدراساتُ القرآنية بالأخصِّ كرُدود على شُبُهات مُثارة حول هذه الأساليب، لذلك كان اهتمامها بالدرجة الأولى هو ردّ الشبهات وليس دراسة الظاهرة، وقد أسهب أصحابها في تمثيلاتهم القرآنية وتحليلها تفسيريا وليس بلاغيا.

في هذه الدراسات كانت النظرة نفسها للمصطلح؛ وقد أُلِّفَت هذه الدراساتُ كرُدود على شُبُهات مُثارة حول أساليب الترديد في القرآن الكريم. وأبرز من تناولها ثلاثة، الأوّل ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن، والثاني الخطيب الإسكافي في كتابه درّة التنزيل وغرّة التأويل، والثالث العلاّمة الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن.

يُعدُّ ابن قتيبة – في كتابه تأويل مشكل القرآن– الأوّل في هذا المجال الذي يتناول ما أُشْكِل من الآيات القرآنية، وقد تحدّث عن التكرار كأحد الأمور التي قد تُشكل، وكان مفهومه واسعا كما رأينا أدخل فيه حتى ترديد القصص القرآني.

والإسكافيّ في كتابه درّة التنزيل وغرّة التأويل أوّل تأليف في مجال التشابه اللفظي، وهو مخصّص في توجيه كلّ الألفاظ أو الآيات القرآنية التي قد تظهر بمظهر التشابه والتكرير الزائد، فيجتهد أصحابُ هذا المنهج في التفريق ما أمكن بين تلك المتشابهات، ليخرجوا في الأخير أن ذلك ليس من التكرار. وأوضَحْنا أنّ نظرتهم كانت شاملةً للتكرار سواء الحرف أو الكلمة أو التركيب أو ما تردّد معنىً، وكان ذلك على مستوى كامل القرآن الكريم باعتباره نصّا موحّدا متلاحم السور، فقد تكون الآية الأولى في سورة، والأخرى المشابهة لها في سورة أخرى، ومع ذلك يعدّونهما من المتشابه ويبيِّنون مواطن الاختلاف.

أمّا الزركشيَّ في كتابه البرهان فقد اشتمل على مبحثٍ للتكرار مفصّل، وضَعَ فيه – دون النصِّ على ذلك– تعريفا لغويا واصطلاحيا للتكرار، وأعقبه بذكر سبعة أغراض بلاغية له، وبعدها تحدّث عن ترديد القصة في القرآن وذكر لها أيضا بعض الدلالات التي جاء لأجلها الترديد وقد تابعه في هذه الفوائد كثير من العلماء.

- الباب الثاني: أساليب الترديد في القرآن الكريم

لقد جاء الترديد في القرآن الكريم على أساليبَ كثيرةٍ، كلُّها أتت لفائدة بلاغية جعلت منها التعبير الأمثل في سياقها الذي وضعت له، بحيث ابتعد الترديد القرآني عن كل مللٍ أو ما شابه ينتابُ السامعَ والقارئ مما قد يعتور كلام البشر، وقد سبق أنْ شرحنا مقصودنا بالترديد على أنه كلُّ ما أعيد من حرف أو كلمة أو تركيب أو معنى؛ وبذلك تتنوَّع أساليبُه وطرُقُه، فالشكل الذي يتردّد بمعناه سواء كان اللّفظَ نفْسَه أومن اشتقاقه أو كان جملةً أعيدت بذاتها أو طرأ عليها تغييرٌ طفيف: كلُّهُ يدْخُلُ تحت مُسَمَّى الترديد اللُّغوي؛ أما الذي يشمَل المضمون دون الشكْل فنطلقُ عليه اسم الترديد الدلالي، وبقي ما يكون على مُستوى الحرف أو الوزن أو العدد، فقد يتردَّد حرفٌ في الكلام بصورة تجعل لهذا التردُّد نصيبا ومساهمة في إضفاء صفة التأثيرية والجمالية على الكلام، ويُشاركه في هذا أيضا تردُّد الوزن بحيث تتطابق الحركات والسكنات على مُسْتوى مَلْحوظ، فيَمْنح هذا الترديد إيقاعا جماليا بديعا، مما سمح لنا أنْ نسمِّيه الترديد الإيقاعي.

وتجدُرُ الإشارةُ أنَّ هاته الأنواعَ في القرآن الكريم – من سورة البقرة إلى سورة الناس – توجَدُ على مُسْتَوَيَيْن؛ فحتى نستطيع أنْ نلْمحَ

وقوعَ الترديد لابدَّ أنْ يُشترطَ بين طرفَيْه التقاربُ في بَعْض أساليبه، فالمسْتَوى الأوّل ما تكون فيه أطرافُ الترْديد متقاربة، والمسْتوى الثاني ما تكون أطرافُه متباعدةً ولا يشترط فيها ذلك بالضرورة، إلاّ ربّما ما يكون من ترْديد القصَص أو الترديد الموضوعي، فطابَعُها يفرِضُ تباعُدَها بين سُوَر القرآن.

ودراسةُ أساليب الترديد التي اشْتَمل عليها القرآن الكريم تَسْتلْزِمُ تصنيفَ كلّ محاور النسَق الترديدي في البلاغة، أو الأنماط البلاغية التي جَوْهَرُها الوظيفة الترديدية، ومحاولةُ التمثيل لكلٍّ منها بما توافر من آيات القرآن الكريم، ونذكُر بعض ما فيها من أسرار الجمال ما أمكن ذلك.

وعلى هذا ينقسم الباب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول : الترديد اللُّغوي

وهو الشكْلُ الذي يتردَّد بالمعنى نفسه، وقدْ يكون هذا الشكْلُ كَلِمةً أُعيدَتْ بذاتها أو بما اشتُقَّ منها، وقد يكون جملةً أعيدت بذاتها أو بأغلب تركيبها، مع اتفاق المعنى في كلّ. وبذلك نَفْصِل بينهما في مبحثين: الأوّل ترديد لفظي يخصُّ اللفظ نفسه أو بما هو من اشتقاقه، والثاني ترديد تركيبي وهو خاصّ بترديد تراكيب كاملة إما بتغيير وإما بدونه. ويندرج تحت الترديد اللفظي

الأقسام التالية: التكرار(الإطنابي)، المشاكلة، التصدير، تشابه الأطراف، الإرصاد، العكس، السلب والإيجاب، والمراجعة.

الفصل الثاني : الترديد الدلالي

نقصِدُ بالترديد الدلالي كلّ جملةٍ أو جُمَلٍ أُعيدَ مَضْمونُها بصياغةٍ مُغايِرة، أو هو إعادتُهم مع اختلاف الدالِّ واتِّفاق المدلول؛ وهو على قسمين: فإمَّا أنْ يتقاربَ - مكانيا- الطرفان المتَّفقان في المدلول، وإمَّا أنْ يتباعدا.

وطبيعة القسم الأوَّل تفرضُ أنْ يكون المدلول المتردِّدُ المتقاربُ على شكلِ جملة ويسمى الترديد الدلالي القريب (بين مَعْنَيَيْن متقاربين)، ويندرج ضمن الترديد الدلالي القريب الأقسام التالية: التذييل، ذكر الخاص بعد العام، ذكر العام بعد الخاص، والإيضاح بعد الإبهام.

وطبيعة القسم الثاني تفْرِضُ أن يكون المدلول المتباعدُ على شكل موضوعٍ تعرِضُه جملٌ متعدِّدة، ويسمى الترديد الدلالي البعيد (المَوْضُوعي)، ويدخل فيه بالخصوص ترديد القصص.

الفصل الثالث : الترديد الإيقاعي

إنَّ الإيقاع في أيّ عَمَلٍ أدبيّ يُقدِّمُ مُساهمةً أساسية في العملية الإبداعية، بحيث يُشكّل أحد الركائز التي تزيد الصورة الأدبية جودة وجمالا؛ والترديد في الإيقاع يشمل جانبين، فقد يتردَّدُ الصوْتُ بأبعاد متقاربة تُضفي نغَماً مسموعا

وملحوظا على تراكيبه، وهو الترديد الصوتي؛ ويدخل ضمن الترديد الصوتي الأقسام التالية: التجانس الصوتي، السجع، الالتزام، والجناس.

وقد تتماثل من تركيبين حركاتٌ وسكناتٌ تبثُّ في عُمْق الكلام مُوسيقى خفيّةً تسري في النفس ويُدركها الحسّ، وهذا في الشعر هو السرّ البديع الذي يكمُنُ في أنساقه وأوزانه، وهو الترديد النسَقي. ويدخل ضمن الترديد النسقي: الموازنة، والازدواج، والترديد الرقمي.

- الباب الثالث : بلاغة أساليب الترديد في القرآن الكريم

قد رأينا في الفصول السابقة مدى تنوُّع الأساليب الترديدية التي وظفها القرآن، وقد اختلفت حسب الشكل وحسب المضمون، وإن كان بدهيا استحالة الفصل بين الشكل والمضمون إلاّ أنّ طبيعة البحث فرضت علينا هذه القسمة التجريدية، كما كان طبيعيا أنّ ما يعود تحت أساليب الترديد اللغويّ كلّه يعود بالضرورة لأساليب الترديد الإيقاعي، فالصورة هي هي قد تردّدت، لذلك كانت دلالات تلك الأساليب ازدواجية الوظيفة: معنى وإيقاعا، ونحن هنا عرضنا بشيء من التفصيل التمثيلي عن بلاغة كل الأساليب الترديدية التي مرّت معنا، ما هي دلالاتها في القرآن الكريم؟ ، وحتما رأينا أنّ بعض تلك الأساليب تتضافر فيه أكثر من دلالة، ويحمل في طياته أكثر من غرض، وكلها

مسوقة في خصوص السياق القرآني، والذي هو المثل الأعلى للبيان العربي، والذي يجب أن تُتّبع خطاه ويُقتفى أثره، حتى يبلغ الأديب درجةً أرقى في أسلوبه وكتاباته.

وباستقراء جلّ ما كتبه علماؤنا في تحديد دلالات الترديد في القرآن الكريم، وجدنا عدداً من الأغراض والفوائد، منها ما هو من صميم بلاغتها، ومنها ما هو إضافيّ طارئ لمقامه، وتبيّن أنهم اشتركوا في العديد منها، وتميّز أكثر من واحد باجتهاده في بعضها؛ لأنّ البلاغة تعْتَمد في صميمها على الذوق السليم والحسّ المرهف والمادّة الغزيرة في استكناه مكامن الجمال والتأثير.

ويُعدُّ الزركشيُّ مِن أوائل مَن أشار في كتابه إلى بعض الفوائد البلاغية للتكرار، بلغت سبع فوائد – كما مرَّ معنا-؛ وكثير ممّن أتوا بعده أخذوها نصّا أو أضافوا بعض ما تنبَّهوا له من أغراضٍ أُخَر، وقد اتَّسَمَتْ جُهودُ القدامى باستقصاء ما أمْكن من أنواع الفوائد، في حين اتّسَمَتَ جهودُ المحدثين في أغلبها على التصنيف.

وعرضنا في هذا الباب أهمَّ ما جاءَتْ لأجله أساليبُ الترديد في القرآن على فصلين:

الفصل الأوّل: دلالات الأساليب التي تقارب طرفاها

توجد اثنتا عشرة دلالة هي:

- التأكيد.
- التطرية والتجديد.
- التعظيم والتهويل.
- الوعيد والتهديد.
- التخصيص والتفسير.
- التعجُّب.
- تعدُّد المتعلَّق.
- استمالة القلوب لقبول الخطاب.
- التعاقُب والاستيعاب.
- تحقيق التناسب.
- الانفعال.
- الترنُّم النغَمي.

الفصل الثاني: دلالات القصص القرآني باعتباره النوع الغالب في الترديد الموضوعي (أي الذي تباعد طرفاه).

إنَّ القصص القرآني من أبرز موضوعات القرآن الكريم ترديدا، وأكثرها عناية من العلماء في هذا المجال، لما شهده من مؤلفات وردود على شبهات المغرضين الطاعنين في القرآن الكريم.

ودلالات ترديده هي:

- بيان بلاغة القرآن وإعجازه.
- التحدّي والتبكيت.
- جذب النفوس إلى سماع القصة بالمغايرة بين أساليبها.
- تمكين العظة والعبرة وإيقاظ الهمم.
- تسلية قلب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.
- ترهيب الجاحدين وإنذارهم بما جرَتْ عليه سنن الله من عقاب المكذّبين.
- تأكيد الجانب الغيبيّ وتثبيته في القلوب.

وقد كان من مَنْهجي إثبات معاني القرآن الكريم من التفاسير المشهورة، وأبرز من اعتمَدْتُ تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر ابن عاشور، لما يتميَّز به تفسيرُه من البحث البلاغي في غالبه؛ مع تفاسيرَ أخرى استعنْتُ بها كتفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، وتفسير الآلوسي، والتفسير المنير للشيخ وهبة الزحيلي. كما استعنت أيضا بكتب المتشابه اللَّفظي بضع مرّات.

وختاما، فإنَّ هذا الجهد من صُنع بشر، فقد يكون فيه من الزلل والخطأ ما يكون، فما كان مِنْ صوابٍ فمن الله. والحمد لله أوَّلا وآخرا.

إعداد الطالب: شعيب يحيى

إشراف الأستاذ الدكتور: شريفي عبد اللطيف

السنة الدراسية: 2015/2014م